د. السيد أمين شلبى
من الحرب الباردة
إلى البحث عن نظام دولى جديد
الهيئة المصرية
العامة للكتاب
عاطف

من الحرب البـاردة
إلى البحث عن نظام دولى جديد

د. السيد أمين شلبى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

مقدمة

هذا الكتاب هو مواصلة لما بدأناه من دراسة العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبروز الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى كأقوى قوتين على المسرح الدولى ، وارتباط ذلك بالحرب الباردة فى تطورها وشمولها لكل مناطق العالم واستمرارها قرابة أربعة عقود . وقد عالجنا هذا المنظور على مرحلتين : بدأت الأولى (*) بتشقق التحالف ضد النازية وظهور التنافسات على مناطق النفوذ والقوة التى بدأت بالمسرح الأوربى وتطورت الى مناطق العـــالم ، وقد اكتملت هذه المرحلة بأزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦١ والتى وضعت القوتان وجها لوجه أمام امكان مواجهة نووية · أما المرحلة الثانية (**) فهى التى اتخذنا لها اطارا زمنيا من عام ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦ ، ومنذ أن بدأت محاولات القوتين الجادة لادخال عناصر الاستقرار فى علاقاتهما خاصـــة العسكرية والاستراتيجية بعدما تكشفت عنه تجربة الأزمة الكوبية ، وتطور هذه المحاولات فى منتصف السبعينيات لبناء اطار السلام والتعاون من خلال ٤ مؤتمرات قمة أمريكية سوفيتية والتوصل الى عدد من التعاقدات وقواعد السلوك الدولى ، وقد انتهت هـــذه المرحلة بتراجع عملية الوفاق أمام ما أظهرته التجربة من استـــمرار مصـــادر التوتر والاختـــلاف فى الرؤى الأيديلوجية والأهداف الاستراتيجية ·

(*) قراءة جديدة للحرب الباردة · دار المعـارف ، ١٩٨٣ ·

(**) الوفاق الأمريكى السوفيتى ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨١ ·

وتجيء هـذه الدراسـة لكى تستكمل ما توقفنا عنده منذ بدأ هذا التراجع ثم الانتكاس واستمرار تراكم الأزمات حتى بلغت علاقات الكويتية مرحلة جديدة من الحرب الباردة انتهت فيها كل صور الحذر وهو الأمر الذى استمر فى تجدد القيادة السوفيتية ومجيء ميخائيل جورباتشوف (مارس ١٩٨٥) ، يحمل معه تفكيرا سياسيا جديدا لبلاده وللعالم وهو التفكير الذى انتهت تطبيقاته داخليا الى انهاء النظام السوفيتى ، وخارجيا الى تصفية الاتحاد السوفيتى كقوة منافسة ومن ثم الى تصفية المصـدر الأساسى للحرب الباردة •

ومثلما حـدث فى فترات تاريخيـة سابقة من انهيار النظـام الدولى السائد ،والتطلع الى بناء نظام دولى جديد ، فان انتهاء النظام الدولى الذى سيطر على العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب الثانية ، قد أذن بالبحث عن نظام دولى جديد ، وهو البحث الذى حاولنا أن نرصد أصداءه وتفاعلاته والتوقعات حول القوة أو القوى التى ستحكمه •

على مدى السنوات التى استغرقها اعداد هذا الكتاب ، وبدأت منذ أوائل الثمانينـات ، كنت دائم الامتنان للعون القيم الذى قدمه أمنـاء وأمينـات مكتبة الكونجرس الأمريكى ، ومكتبة معهد نوبل للسـلام فى أوسلو ، وهو العون الذى بدونه لم يكن هـذا الكتاب ليخرج على هـذا المسـتوى •

السيد أمين شلبى

سنوات التحول : ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨

١ ـ كارتر وسقوط وفاق السبعينيات .

٢ ـ رونالد ريجان : التفاوض من مركز القوة .

٣ ـ تغير الأجيال فى الاتحاد السوفيتى : مجئ جورباتشوف .

٤ ـ من المواجهة الى التفاوض : مؤتمرات القمة .

٥ ـ عوامل التحول فى القوتين .

تقــــديم :

تميزت عملية الوفاق الأمريكي السوفيتي منذ أن بدأت ارهاصاتها الأولى فى أعقاب أزمة الصواريخ عام ١٩٦٢ وما استخلصته منها القوتين من دروس حول وجوب اعادة ترتيب وترشيد علاقاتهما وخاصة فى جوانبها النووية ، تميزت هذه العملية بعدد من المراحل التى تداخلت فيها عوامل التقدم بل والتوقعات الكبيرة بعوامل التراجع بل والانتكاس · وقد بدأت هذه العملية تأخذ مجراها وخطواتها العملية بالاتفاقيتين الهامتين اللتين تم التوصل اليهما فى أعقاب الأزمة الكوبية (١) وهما : اتفاقية الحظر الجزئى للتجارب النووية : Partial agreement on Nuclear Arms. (١٩٦٣) ، واتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية Nuclear Non Proliferation Treaty. (١٩٦٨) ·

ورغم أن هذا الاتجاه الايجابى ما لبث أن تداخل معه تطور سلبى وهو الأزمة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨ ، الا أن عوامل ودوافع التقدم ما لبثت أن تحركت من جديد فى أواخر الستينيات – سبتمبر ١٩٦٩ – حيث بدأت المفاوضات حول أخطر جوانب عـلاقات التسلح بين القوتين وأكثرها تعقيدا وهى الأسلحة الاستراتيجية (٢) ، والتى ستدور حولها ما سوف يعرف بمحادثات SALT ، بل وستصبح فى الواقع محور العملية

---

(١) Northedge ; F.S. (ed.) "The foreign Policy of the Powers" faber and faber, London, 1968, p. 63.

(٢) Maizon & Rhinelnxer (eds) ê'SALT, the Moscow Agreements and beyond" Macmillan, London, 1974, pp.

الواسعة التى ستمتد عبر السبعينيات وتشهد ما سيعرف بعصر مؤتمرات القمة حيث سيلتقى زعماء القوتين ٤ مرات ما بين أعوام ١٩٧٢ (قمة موسكو ١٩٧٤) فلاديفوستوك) (٣) وعلى مدى ادارتين أمريكتين هما ادارة نيكسون وفورد ، والتى سيتم خلالها ـ بالاضافة الى اتفاقيات SALT 1 التوصل وصياغة عدد عريض من الاتفاقيات والتعاقدات ومبادىء السلوك التى شملت كافة جوانب علاقات القوتين وفاقت ما تم التوصل اليه بين القوتين منذ تأسيس علاقات دبلوماسية بينهما عام ١٩٣٣ ٠

غير أن هذا التقدم ومناخ الاستبشار والتوقعات الكبيرة التى أحاطت به لم يكن يخلو من عوامل التوتر وتهديد ما تحقق من تقدم ، وهو ما بدا بوضوح خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الشرق الأوسط والتى شهدت احتمالات مواجهة عسكرية بين القوتين ٠ ورغم أن هذا الحدث والأسلوب الذى أدارت به القوتين الأزمة قد أثبت أن جانب التعاون قد تغلب على التنافس والصراع ، فان ثمة من اعتبر أن حرب أكتوبر ومواقف القوتين من أصدقائهما وحلفائهما خلالها كانت أول الشروخ التى بدأت تدب فى علاقات الوفاق الجديدة (٤) ٠

واذا كانت القوتان قد تجاوزتا حرب أكتوبر ، واستمر اتجاه الوفاق بعدها يأخذ مجراه فيما عكسته قمتى موسكو ـ ١٩٧٤ ـ وفلاديفوستوك ١٩٧٤ ـ الا ان اختلاف نقطة انطلاق ومفهوم كلا منهما لسياسة الوفاق بدأت تخلق ظلالا كثيفة حول هذه السياسة ومستقبلها ٠

ورغم الأزمات التى تعرضت لها سياسة الوفاق كما صاغها نيكسون وكيسنجر منذ منتصف السبعينيات ، الا أن مجىء ادارة ديموقراطية بزعامة جيمى كارتر عام ١٩٧٧ جعلت من أولوياتها استمرار البحث عن علاقة رشيدة بين القوتين فى مجال سباق التسلح الاستراتيجى مكن من التوصل الى اتفاقية SALT 2 ٠ فى يونيو عام ١٩٧٩ ٠ غير أنه مثلما

---

(٣) راجع الفصل الاول خصص لهذه المؤتمرات فى : السيد أمين شلبى « الوفاق الأمريكى السوفيتى : ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦ » ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨١ ٠

(٤) Mandelbaum, Michel, "The luck of the President" foreign Affairs, 1985, p. 490.

تداخلت في مراحل أخرى عددا من الأزمات لكي تؤخر أو تعيق اتجاه التقدم، فقد تداخلت هذه المرة أزمة أخرى وان كانت أشد وقعا وأكثر تأثيرا وهي التدخل العسكري السوفيتي في أفغانستان في ديسمبر ١٩٧٩ ، (٥) وهو الحدث الذي جاء لكي يجهز على اتافقية سولت الثانية ، بل وربما على كافة جوانب التقدم التي حققتهاسياسة الوفاق في مرحلة اندفاعها الأولى ، ولكي ترتد بعلاقات القوتين الى مناخ وافتراضات وسلوك الحرب الباردة في أحلك أيامها ·

وقد توافق هذا التطور مع مجيء ادارة جمهورية ورئيس أمريكي هو رونالد ريجان الذي اعتبر أنه جاء بتفويض شعبي لاستعادة مكانة وهيبة أمريكا في العالم ، وعمل وفقا لعقيدة محافظة تصور العالم باعتباره مسرحا لمواجهة بين الحق المطلق الذي تمثله الولايات المتحدة ، والشر والرغبة في التوسع والسيطرة الذي يمثله الاتحاد السوفيتي (٦) · وكان التطبيق العملي لهذا التصور يعني بناء القوة العسكرية الأمريكية التي تمكن اذا ما دخلت الولايات المتحدة في مفاوضات حول خفض التسلح ـ أن تتفاوض « من موقع القوة » ، وتأكيد الارادة والمصالح الأمريكية أينما بدا هذا مهددا · وقد سيطرت هذه المفاهيم على ادارة ريجان وبشكل مصمم حتى نهاية فترة ولايتها الأولى عام ١٩٨٤ ، وشكلت توجهاتها على المستوى الايديلوجي والعملي ، والتوجهات التي وصلت معها العلاقات الأمريكية السوفيتية الى أدنى مستوى لها منذ أزمة الصواريخ الكوبية ، وأذنت بما أصبح يعرف « بالحرب الباردة الجديدة » ، وهي الفترة التي نستطيع أن نحددها زمنيا منذ ديسمبر ١٩٧٩ وهو تاريخ التدخل السوفيتي في أفغانستان ، حتى بدايات عام ١٩٨٥ حين استؤنفت بشكل جاد محادثات خفض التسلح ومحاولة وقف تيار التدهور في العلاقات وتجاوزت هذه المحاولات الى الشروع في عصر جديد من عصور مؤتمرات القمة يذكر بفترة السبعينيات ، وبلغت لقاءات القمة بين ريجان والزعيم السوفيتي

---

(٥) — Garthoff, Raymond, "Detente and Confrontation" The Brookings Institution, Washington D.C., 1985, p. 972.

(٦) — Gaddis, John Lewis, "The United States and the end of the Cold War, Oxford Univer ity Press, 1992, p. 122.

الجديد ميخائيل جورباتشوف حتى مايو ١٩٨٨ ، ٤ مؤتمرات قمة • وقد أذنت هذه اللقاءات ومضامينها بتحقيق نقلة نوعية فى علاقات القوتين بل فى هيكل واتجاه النظام الدولى •

وقد توافق هذا التطور ـ أو كان من أهم دوافعه ـ مع تطور هام داخل الاتحاد السوفيتى بمجيىء قيادة جديدة قرأت الواقع فى بلادها وفى العالم بفكر جديد ، وانتهت الى أن احتفاظ الاتحاد السوفيتى بمكانة القوة الأعظم يتطلب اعادة بناء قواعده الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية ، وأساليب وأدوات ادارة الاقتصاد وعلاقات الانتاج فيه فضلا عن بناء سياسى وفكرى جديد يتمشى مع ذلك ، وأن هذا يتطلب ولا يتحقق الا فى بيئة سلمية دولية تتجاوب وتخدم هذه العملية التاريخية للتطور السوفيتى •

سوف نتعرض فى هذه الدراسة لظهور ما سمى « بالحرب الباردة الجديدة » ، والتفاعلات التى صاحبتها سواء على المستوى الداخلى الأمريكى أو العلاقة الأمريكية السوفيتية ، وتطور هذا الى ما أصبح يسمى « بالوفاق الجديد » ، وسوف نتتبع هذا التطور عبر ثلاث مراحل أساسية :

(أ) مرحلة الأصول التى صدرت عنها هذه الحرب الباردة الجديدة مع نهاية ادارة كارتر ، وما أحدثته من نقلة حادة فى فكر وممارسات ادارته خاصة فى أعقاب التدخل السوفيتى فى أفغانستان ، وما أطلقته فى السياسة الأمريكية من سياسات وبرامج ونظريات جاءت فى الواقع احياء ومواصلة لنظريات الحرب الباردة فى أصولها الأولى •

(ب) تبلور هذا الاتجاه وتعمقه واتخاذه أبعادا أشمل خلال ادارة ريجان خاصة فى فترته الأولى •

(ج) بداية تراجع هذه المرحلة من تدهور العلاقات وبداية العودة الى أساليب التفاوض ومحاولات التهدئة ، والعوامل الموضوعية فى الواقع الداخلى بشكل خاص لكلا القوتين وفى البيئة الدولية المحيطة التى ساعدت على هذا التطور :

سنوات كارتر وسقوط وفاق السبعينات

كانت السنوات الثلاث الأولى من ادارة كارتر مواصلة وبناء على سياسة الوفاق التى شرع فيها نيكسون وكسينجر ومفهومهما الاستراتيجى حول اعادة تكييف النظام الدولى والانتقال به من المواجهة الى التفاوض ، ويستند على علاقات مع الاتحاد السوفيتى تعتمد على موازنة عناصر التنافس الكامنة فى هذه العلاقات مع دوافع التعاون وضبط النفس · وعلى الرغم مما بدا من تراجع هذه السياسة وافتقارها لقوة الاندفاع مع منتصف السبعينيات ، الا أن ادارة كارتر ـ ووزير خارجيتها سايروس فانس بوجه خاص ـ جاءت بتصميم على اعادة احياء هذه السياسة واعتمدت فى هذا على تصور أن الوفاق مع الاتحاد السوفيتى هو الشرط المسبق للتطبيق الناجح للاستراتيجية الأمريكية وأنه فقط فى ظل ظروف من علاقات تعاون مع الاتحاد السوفيتى ـ وخاصة من خلال التوصل الى اتفاقيات سولت ٢ مرضية ـ تستطيع الولايات المتحدة أن تتحرك بثقة لكى تعيد بناء التوازنات الاقليمية حول أطراف الاتحاد السوفيتى فى آسيا ، والشرق الأوسط ، وأوربا ، وتقيم نظم أمن مستقرة ، وتعيد تحديد التزاماتها الأمنية ومواقع القوات الأمريكية فى الخارج (١) ·

والواقع أن مركز اهتمام ادارة كارتر ، وهو شخصيا ، كانت قضايا التسلح والقدرات التدميرية التى بلغتها نظم التسلح الاستراتيجية ،

(١) Thornton, Richard, "The Carter Years, Towards a new Global order", A Washington Institute 1991, p. 3.

فرغم الاهتمام الذى أعطاه كارتر لقضايا حقوق الانسان (*) ، الا أنه كان مهموما بوجه خاص بقضايا التسلح والأخطار التى تمثلها ، وقد كتب فى مذكراته يصور ذلك فقال « .. كان من الواضح مما يقدم لى من معلومات عن التسلح ان كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لديها من الأسلحة ما يمكنها من تدمير كل منشأة عسكرية هامة ومركز مدنى وسكانى الأمر والذى يمكن أن يقتل الملايين وربما مئات الملايين على كل جانب » .. ثم تساءل فى النهاية « لماذا اذن لا نتحكم فى كل هذه التهديدات (٢) » ..

وفى سبيل هذا الهدف كان كارتر مستعدا لأن يتجاوز مسلمات ومفاهيم سادت السياسة الأمريكية حول نوايا الاتحاد السوفيتى النهائية ، وأن يرفض ، كما عبر مع بدأ ادارته « هذا الخوف المبالغ فيه من الشيوعية ، والذى أدى بنا أن نحتضن أى ديكتاتور يشاركنا هذا الخوف » (٣) . وكان يفضل تجاوز هذه التصورات التقليدية وأن يعمل بدلا منها على التوصل الى اتفاقيات خاصة حول القضية الرئيسية وهى الحد من التسلح .

(*) ابدى كارتر سواء خلال حملته الانتخابية أو فى السنوات الأولى من حكمه اهتماما بقضية حقوق الانسان والزم نفسه بها وبمكانها فى السياسة الخارجية الاميريكية حيث وصفها عام ١٩٧٧ بانها « روح السياسية الأميريكية الخارجية .. » وأنشأ لها ادارة خاصة بوزارة الخارجية الاميريكية :

Asheton, S.R. "The Search of Detente" Macmilan, 1989, p. 144.

وحين ووجه بالمازق التقليدى فى الاختيار بين الواقعية التى كانت تجعل السياسة الأمريكية تتغاضى عن اعتبارات حقوق الانسان وتدفعها لتأييد الديكتاتوريات وبين اتباع المثالية قال « .... لقد كنت مدركا للحجج الشائعة والمقبولة بان علينا أن نختار بين المثالية والواقعية ؛ بين الجانب الاخلاقى وممارسة القوة ، ولكن رفضت هذه الحجج ، فبالنسبة لى فان اثبات المثالية الأمريكية هو أسلوب واقعى وعملى للسياسة الأميريكية ، كما أن الأسس الاخلاقية هى افضل اساس للقوة والتفوق الأمريكى :

Carter, Jimmy, "Keeping faith" Collins, 1982, pp. 142, 143-144.

(٢) — Carter, "Keeping Faith", p. 212.

(٣) — Cathoff ; "Detente and Confrontation, p. 568.

حول هذا التوجه العام ، كان كارتر أكثر ميلا الى فكر وزير خارجيته سايروس فانس من مستشاره للأمن القومي زبجنيو برجنسكى • وقد فصل سايروس فانس اختلاف رؤيته عن برجنسكى حول أسلوب التعامل مع الاتحاد السوفيتى بقوله : « كان برجنسكى مقتنعا بشكل متزايد بان الأفعال السوفيتية هى جزء من استراتيجية أوسع ، وأن هذا لا يتفق مع سياستنا فى موازنة المنافسة بالتعاون ، وان علينا وحلفاءنا أن نتخذ من الاجراءات ما يجعل المغامرة السوفيتية أكثر تكلفة ، وأن لم نفعل هذا فسوف نضعف الثقة فينا • أما أنا فلم أكن أعتقد أن التصرفات السوفيتية فى القرن الافريقى هى جزء من خطة سوفيتية كبرى Grand design وانما هى محاولة لاستغلال الفرص ، وان لم يكن هذا يعنى أن التصرفات السوفيتية غير هامة ، ولكن شعرت أن الواقعية تتطلب منا أن نتعامل مع هذه المشكلات فى سياقها المحلى التى تكمن فى جذورها » (٤) (*) •

وقد انتهى هذا الخلاف بين تيارى فانس وبرجنسكى بتغلب فانس والاستمرار ونجاح المفاوضات التى كانت جارية مع الاتحـــاد الســـوفيتى

---

(٤) Vance, Cyrus. "Hard Choices". Simon & Schuster, 1983, p. 84.

(★) وكان ممن شارك فانس فى ارائه ، وتاثر بهم ، الأستاذ ماريشـال شولمان مستشاره للشئون السوفيتية والأستاذ بجامعة كولومبيا والذى ظل يجادل برجنسكى لمدة ربع قرن حول أرائه عن الاتحاد السوفيتى • فقد شارك فانس وجهة نظر شولمان بأن السلام بين القوتين يعتمد على المفاوضات والروابط الاقتصادية وليس كما تصور برجنسكى بالنظر الى كل ازمة فى أركان العالم كتحدى سوفيتى • وعلى عكس برجنسكى كان فانس وشولمان يريان أن أية مشكلة اقليمية لا يجب أن تسمح بتعريض محادثات سولت للخطر وكان شولمان يأمل فى أن يؤثر فى السوفيت من خلال ما أسماه بـ Soft Linkage وخاصة حاجة السوفيت الشديدة للمساعدة الاقتصادية ، وكانت آمال شولمان تعتمد فى هذا على من أسماهم « بالمعتدلين داخل النظام » من الفنيين والمهنيين الشبان اللذين يريدون التعـاون والعمل مع الغرب لتحسين المجتمع السوفيتى •

أيضا ممن كانوا يشاركون فانس ارائه داخل الادارة أن اندرويانج مندوب الولايات المتحدة الدائم فى الأمم المتحدة وخاصة حول قضية تعاون الولايات المتحدة مع الدول النامية اذا ما بقيت بعيدة عن الصراع بين القوتين :

La faber, Walter, "America, Russia and the Cold War" 6 edition, McGraw Hile, 1991, p. 287.

حول التوصل الى اتفاقية ثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية وتم توقيعها فى فينا فى يونيو عام ١٩٧٩ فى اجتماع بين الرئيس الأمريكى كارتر والزعيم السوفيتى برجنيف • وكان هذا فى الواقع انجازا هاما سواء فى مجال مفاوضات الحد من التسلح أو فى اتجاه علاقات القوتين بوجه عام • فقد حقق الاتفاق ما كانت القوتان تسعيان اليه منذ التوصل الى اتفاق سولت الأول فى قمة موسكو عام ١٩٧٢ ، كما جاء اجتماع الرئيسين الأمريكى والسوفيتى أول لقاء بين القوتين على مستوى القمة منذ خمس سنوات •

ورغم التوقيع على اتفاقية سولت الثانية ، الا أنها ما لبثت أن واجهت صعوبات داخل الكونجرس حول التصديق النهائى عليها ، وتوافق هذا فى بداياته مع ما أثاره بعض أعضاء الكونجرس بأن وجود قوات سوفيتية فى كوبا هو نقض لما اتفق عليه فى تسوية أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ • وعلى الرغم من أنه قد تبين للادارة الأمريكية عند فحص هذا الموضوع ، أن هذه القوات السوفيتية ليست شيئا جديدا بل كانت موجودة منذ انتهاء الأزمة الكوبية ، الا أن المناخ الذى أشاعته اثارة هذه الضجة قد أثار ظلالا ضاعف من تعقيد الجدل الدائر فى دوائر الكونجرس الأمريكى حول اتفاقية سولت الثانية (٥) •

غير أن التطور السلبى الحاسم تمثل فى التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان فى ديسمبر عام ١٩٧٩ أى بعد خمس شهور فقط من توقيع اتفاقية سولت الثانية • وقد جاء هذا التدخل لكى يحدث تحولا حادا فى فكر الرئيس الأمريكى وفى اتجاه ادارته ، وجعل من العام الأخير لهذه الادارة بداية سلسلة التراجع فى العلاقات الأمريكية السوفيتية •

وقد كان من الطبيعى أن يجد برجنسكى فى الغزو السوفيتى لأفغانستان ، والذى اجهض اتفاقية سولت الثانية ، تأييدا عمليا لرأيه

---

(٥) Vance, "Hard Choises", pp. 359-361.

الذى أبداه فى حواره مع فانس (*) ، وتياره ، ومنذ تطـور التدخل السوفيتى فى القرن الافريقى وموقفه من وجوب التصـدى للسـياسة السوفيتية فى هذه المناطق وربط ذلك بمحادثات سولت ، لذلك نراه يكتب بعد أفغانستان : « ... لقد تأملت حولى متى بدأت الأمور تتطور بشكل خاطىء حقا فى العلاقات الأمريكية السوفيتية . ووجهة نظرى ترجع الى عام ١٩٧٩ ، فقد طالبت فى اجتماع لمجلس الأمن القومى أن نرسل حاملة طائرات كرد فعل لارسال السوفيت قوات كوبية الى اثيـوبيا ، فى هذا لم يعارضنى فقط سـايروس فانس وأيضـا هارولد براون ، وأيدهم الرئيس أكثر مما أيدنى ، ولم نرد على السلوك السوفيتى .. ثم جـاء المسمار الأخير فى نعش اتفاقية السولت بالغزو السـوفيتى لأفغانستان ، ولهذا كان استخدامى لعبارة « ان السـولت ترقد مدفـونة فى رمال الأوجادين » (٦) .

أما كارتر فقد تحدث ، بعد الغزو السوفيتى لأفغانستان ، عما أحدثه فى تصوره للسياسة والنوايا السوفيتية بقوله « ان رأيى فى السوفيت قد تغير بشكل جذرى فى الأسبوع الماضى أكثر مما تغير فى العامين ونصف الماضيين ، والآن فقط يدرك العالم حجم العمـل الذى قام به السـوفيت بغزوهم أفغانستان .. فما الذى سأفعله الآن ؟ حول هذا لا أستطيع أن أجيب بالتحديد ، ولكن للمرة الثانية أستطيع أن أقول أن عمل السوفيت قد غير من رأيى بشكل جذرى حول أهدافهم النهائية أكثر من أى شىء فقط منذ توليت السلطة » (٧) .

(*) على الرغم من التصرف السوفيتى فى أفغانستان ، فقد ظل فانس متمسـكا برأيه ، ورفض الاشتراك فى الحملة التى شنها كارتر ضد السوفيت بعد الغزو وكان يعتقد أن السوفيت قد غزوا أفغانستان لأن لديهم « مشكلة خطيرة على حدودهم ، وأكثر من ذلك ليس لديهم الكثير لكى يخسروه فى علاقاتهم مع الولايات المتحدة : راجع :

Lafaber, "America, Russia and the Cold War", Op. cit., p. 237-288.

(٦) Brzezin ki ; Zbigniev, "Power and Principle" Farrar. Strous, Giraux, 1989, p. 189.

(٧) Gaddis, Smith, "Morality, Reason and Power, American Policy in the Carter Years" Hill and Warng, 1986, pp. 225-230.

وبناء على هذا التطـــور بدأ كارتر في سلسلة من الاجراءات تجاه السوفيت كان أولها هو اعادة النظر في أهم انجاز حققته ادارته في علاقتها مع الاتحاد السوفيتي وهو اتفاقية سولت الثانية • فقد بعث كارتر في ٣ يناير ١٩٨٠ برسالة الى زعيم الأغلبية الديموقراطية في مجلس الشيوخ يطلب منه وقف التصديق على الاتفاقية • أما تصوره الشامل لاتجاه العلاقة المستقبلة مع السوفيت فقد ارتقى الى ما يشبه نظرية جديدة ذكرت بنظرية ترومان وسياسة الاحتواء القديمة (٨) • ففي خطابه عن حالة الاتحاد السوفيتي في يناير ١٩٨٠ سجل كارتر تحوله الكامل الى التركيز على القوة العسكرية باعتبارها أولوية أولى ، ووصف تصوره لما يمثله الغزو السوفيتي من تهديد استراتيجي بقوله « ••• ان الاجراء السوفيتي قد وضع القوات العســكرية السوفيتية على حدود ٣٠٠ ميل من المحيط الهندى ، وعلى مقربة من مضيق هرمز وهو الممر الذى يمر من خــلاله معظم بترول العالم • ان الاتحاد السوفيتي يحاول الآن ان يدعم مركزه الاستراتيجي الأمر الذى يفرض تهديدا خطيرا لحركة الملاحة الحرة لدول الشرق الأوسط » (٩) • ثم أعقب هذا باعلانه لما سوف يعرف بنظرية كارتر والتى جاءت كاستمرار ومواصلة لنظريات صاغها رؤساء أمريكيين سابقين مثل ترومان وأيزنهاور ، فقال : فليكن موقفنا واضح بشكل كامل : ان اى محاولة من أية قوة خارجية لكسب السيطرة على الخليج الفارسى سينظر اليها كهجوم على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، ومثل هذا الهجوم ســوف يقاوم بكل الوســائل اللازمة بما فيها القوة العســكرية » (١٠) •

أما الاجراءات العملية التى أقدم عليها كارتر للرد على التـــدخل السوفيتي في أفغانستان والتى جسدت مدى تحوله عن أسلوبه السابق في ادارة علاقاته مع الاتحاد السوفيتي ، فقد تمثلت في :

(أ) اعلانه عن حظر بيع القمح السوفيتي ، ودعوته للدول المصدرة للقمح أن تحذو حذوه •

---

(٨) — Garthoff, "Detente and Confrontation", pp. 974.

(٩) — Gaddith, "Morality, Reason and Power", p. 230.

(١٠) — Carter, "Keeping Faith," p. 483.

(ب) الغاء الاشتراك الأمريكي في دورة الألعاب الأولمبية في موسكو عام ١٩٨٠ وشنه حملة لمقاطعتها عالميا ، مقارنا بينها وبين الأولمبيات التي نظمها هتلر عام ١٩٣٦ لتضخيم مكانته ٠

(جـ) مطالبته بزيادة الانفاق العسكري بمعدل ٥٪ سنويا ، بعد ان كان قد طالب عام ١٩٧٧ بأن تكون هذه الزيادة في حدود ٣٪ ٠

(د) مطالبته الكونجرس بالعودة الى نظام التجنيد الاجبارى لكل أمريكي يبلغ سن ١٩ ، الأمر الذى استجاب له الكونجرس مباشرة ٠

(هـ) اعلانه أن ادارته سـوف تعمل على دعم الموقف الأمريكي عسكريا ، وقدرتها على نشر القوة العسكرية بشكل سريع ، وأن البحث يدور عن قواعد جوية وبحرية في منطقة شـمال شرق افريقيا والخليج الفارسي ٠ (ويبدو مدى تحول كارتر في هذا الشأن حيث نذكر انه في حملته الانتخابية عام ١٩٧٦ كان دائم التحذير من الميل الى ارسال قوات أمريكية للقتال بعيدا عن الأراضي الأمريكية) ٠

(و) وبينما كان كارتر في الماضي يحذر وينتقد وكالة المخابرات الأمريكية على ممارستها في الخارج ، نجده بعد أفغانستان يقول : « أننا في وضع لابد أن نزيل معه القيود التي لا داعي لها على قدرة أمريكا على جمع المعلومات » (١١) ٠

وقد عقب المحللون على تحول كارتر هذا بالقول : « ٠٠ كأن ترومان قد بعث من جديد » (١٢) ٠

أما رد الفعل السوفيتي على الاجراءات الأمريكية ، فقد جاء خليطا من الدفاع والتبرير وشرح الدوافع التي حدت بالقيادة السوفيتية الى هذا الاجراء ، بل واعتبار أن الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين قد ساهموا في

---

(١١) Grafforth, "Detente and Confrontation".
Brzezinski, "Power and Principle", pp. 43/-438.

(١٢) — Poodhoreiz, Norman, "The Reagan Road to Detente
Foreign Affairs, America and the world, 1984, p. 447.

خلق البيئة الدولية والاقليمية من حول الاتحاد السوفيتي التي جعلت من هـذا الاجراء ضرورة لحماية الأمن السوفيتي ، وقد قرن السوفيت ذلك بالتعبير عن الاندهاش والتساؤل عما اذا كان الاجراء السـوفيتي في أفغانستان يتناسب مع حجم ما أثارته الولايات المتحدة وما أقدمت عليه من اجراءات . في هذا بدأت الأزفستيا بالقول : «...ان التطورات قد أجبرتنا على أن نختار بين أن نتدخل بقواتنا أو أن ندع الثورة الأفغانية تهزم ، وتتحول أفغانستان الى ايران الشاه أخرى ، وقد اخترنا أن نتدخل ... وكنا نعلم ان هذا القرار لن يكون مقبولا في العالم المعاصر ، ولكن كنا ندرك أيضا أننا سوف نكف عن أن نكون قوة عظمى اذا امتنعنا عن تحمل عبء اتخاذ قرارات غير شعبية ولكنها قرارات ضرورية ، قرارات استثنائية ومدفوعة بظروف استثنائية للغاية .. » (١٣) . لذلك حاول الخبير السوفيتي بريماكوف أن يضع القرار السوفيتي في السياق الدولى فقال «...لقد اتخذ في سياق دولى معين ، حين كثفت الولايات المتحدة مواجهتها مع الاتحاد السوفيتي ، ودعونا نذكر قرار عام ١٩٧٧ لانشاء قوات الانتقال السريع ، وقراره الثانى عام ١٩٧٩ بزيادة ميزانيات أعضائه العسكرية زيادة كبيرة ، وبشـكل مستمر في المستقبل بغض النظـر عن امكانية التحسن في الموقف الدولى ، وقرار الناتو عام ١٩٧٩ بنشر الصواريخ المتوسطة في أوربا ، والوجود الدائم للأسـطول الأمريكى في المحيط الهندى ، ومحاوله اللعب « بالـورقة الصـينية » ضـد الاتحاد السـوفيتى » (١٤) .

بالاضـافة الى هـذه التبريرات فقد تسـاءلت البرافدا عما اذا كان الاجراء السوفيتي حقا يبرر الاضرار باتجاه الخطوات الايجابية التى تحققت فى العلاقات الأمريكية السوفيتية « .. وهل تأثرت حقا لمصالح الأمريكية القومية بالوجود المؤقت للقوات السوفيتية فى أفغانستان ؟ وهل يبرر

---

(١٣) — "Super powers in Collision, The New Cold War" Penguin 1982, p. 57.

(١٤) — Primakov, Yevegeny, "The Super Powers in the Middle East" All Foreign Policy and defense Review, 1986, p. 29.
— Super power in Collision", p. 57.

هذا أن يعود العالم الى حافة الحرب الباردة مرة أخرى ؟ وهل من الحكمة أن نسمح لردود أفعالنا العاطفية أن تلغى كل الانجازات التى شيدناها عبر حقبة من الزمن ؟ » (*) ٠

وأيا كان التقييم السوفيتى لرد الفعل الأمريكى تجاه التدخل فى أفغانستان ، فانه من المهم هو كيف رؤى هذا الحدث فى الدوائر الأمريكية وخاصة ذات التحفظات التقليدية على مجرى الوفاق مع السوفيتى كما تحقق منذ السبعينات ، وعلى المستوى السوفيتى خلال هذه الفترة التى رأوه مناقضا لمبادىء الوفاق ذاته واستغلالا له لخدمة الأهداف السوفيتية النهائية سواء فى مجالى التسلح ، والتوسع فى مناطق العالم الثالث ٠ فقد استعادت هذه الدوائر السجل السوفيتى منذ التدخل فى المجر عام ١٩٥٦ ، ثم فى تشيكوسلوفاكية عـــام ١٩٦٨ مع تسجيلهم لفارق هو ان المجـر وتشيكوسلوفاكية كان ينظـر اليهـا فى نهـــاية الأمر وفقـــا لاعتبارات الجيوبوليكتيكية على أنها تقع ضمن منطقة النفوذ السوفيتى وحزامه الأمنى، أما افغانستان فقد نظروا اليها على أنها كانت تاريخيا تحتفظ بنظامها السياسى والاجتماعى وتقع دوليا ضمن اطار عدم الانحياز ، وتحتفظ تاريخيا بعلاقات سلمية مع الاتحاد السوفيتى ٠ كذلك جعل التطور فى افغانستان هــذه الدوائر الأمريكية تستدعى سلوك الاتحــاد الســوفيتى خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ فى الشرق الأوسط والدعم الذى قدمه للجانب العربى خلال الحرب ، الأمر الذى رأوه تشجيعا للعرب على اللجوء للعمل العسكرى فضلا عما تصوروه من خرق السوفيت « لاعلان المبادىء » بعدم ابلاغ الجانب الأمريكى باحتمالات التطور فى هذه المنطقة ٠ هذا فضلا عن اثارة التدخل السوفيتى فى أنجولا ، والقرن الافريقى ، واليمن الجنوبى والتذكير بالتطور الذى أضاف للنفوذ السوفيتى فى منطقة عانت فيها السياسة الأمريكية هزيمة سياسية وعسكرية وهى جنوب شرق آسيا بتوحيد فيتنام تحت الحكم الشيوعى ، وبالغزو الفيتنامى لكمبوديا ٠

(★) وايضا : — Kremer, "A policy of missed opportunities" Newy Times 15, Feb. 1980.

ولم تكتفى هذه الدوائر الأمريكية بتسجيل هذه السياسة والمكاسب السوفيتية ، وانما قارنتها بما اعتبرته نيلا من الهيبة والمكانة الأمريكية وما لحق بها من ضعف وتراجع نتيجة للتطورات فى ايران التى كانت أحد مرتكزات الاستراتيجية الأمريكية فى منطقة حيوية مثل الخليج بسقوط الشـــاه ومجيىء نظام معادى للولايات المتحدة وتداعياته التى تمثلت فى قضية الرهائن الأمريكية • كل هذا خلق مناخا من الاحبــاط والاحساس بالعجز وتراجع النفوذ والقوة الأمريكية جعل كارتر نفسه يقول أن الأمة تمر بوعكة Melaise ، وأزمة ثقة « •• التى تضرب فى صميم قلب وروح ارادتنا القومية •• ان تفتت ثقتنا فى المستقبل انما يهدد بتدمير النسيج الاجتماعى والسياسى لأمريكا •• لقد اعتقدنا دائما فى شىء يدعى التقدم ، وكان لدينا دائما ثقة فى ان أيام أطفالنا ستكون أفضل من أيامنا ••• ان شعبنا يفقد هذه الثقة ، فلأول مرة فى التاريخ تعتقد الأغلبية أن السنوات الخمس القادمة ستكون أسوأ من الماضــية •• ان ثلثى شعبنا لا يذهب للتصـــويت ، وانتاجية عمالنا تنخفض فعلا وكذلك استعداد الأمريكيين للادخار للمستقبل » (١٥) •

وهكذا نرى من هذا العرض الموجز لسجل كارتر وادارته كيف أنه جاء بمحاولة طموحة وغير مسبوقة كى يحول كل أساس السياسة الخارجية من القوة الى المبدأ ، وكيف أنه ، وبشكل خاص فيما يتعلق بادارة ادارته للعلاقة الأمريكية السوفيتية ، قد انتهت بشكل مختلف تماما عما بدأت به ادارته ، فقد بدأ بتصميم على دعم اتفاقيات خفض التسلح والبناء على ما تحقق ، وبتوازن فى النظــر الى التهديد السوفيتى وعــدم المغالاة فى تصويره ، وانتهى بنبذ اتفاقيات التسلح التى أبرمها ، وبتضحيم الخطر والنــوايا الســوفيتية ومدى تهــديدها للســلام خاصة بعد التدخل فى أفغانســـتان •

وفى الوقت الذى بدأ به كارتر يمثل هذه الأهداف الطموحة الا أنه فشل فى تحديد أولوياته وكانت النتيجة عمل الكثير ولكن فى أهداف

---

(١٥) History of our Time ; William Chafe & Hstikoff. (eds 1, 3th edition, Oxford Univer ity Press, 1991, p. 441-442.

متعارضة وافتقار التكامل نحو ما يمكن أن يوصف بالاستراتيجية الكبرى Grand Design هـذا فضـــلا عن سوء توقيتاته والتنفيـذ غير المتماسك والمرتجل للسياسات كل هذا فى اطار من التضارب والتناقض بين شخصيات ادارته الرئيســـية (١٦) ، وبشكل يجعل بعض المؤرخين لا يذكرون له الا نواياه الطيبة والتى لم تكن تكفى خاصة فى مناخ السبعينات (١٧) ·

وقد تراوح تقييم كارتر وادارته ما بين النقد الحاد لسياساته ، وبين التذكير بعدد من انجازاته ، بل ببعض الظروف السيئة التى صادفته مثل الغزو السوفيتى لأفغانستان ، وأزمة الرهائن الأمريكيين فى طهران ·

فقد ركز التيار الناقد والمهاجم لسياساته على تصوراته الأساســية واقامة استراتيجية على أساس من استعداد السوفيت للتعاون فى الوقت الذى كان القادة السوفيت يسلكون طريقا مختلفا من البناء المســـتمر للأسلحة الاستراتيجية والتقليدية ونشاط جيبولوتيكى واسع لتغيير التوازن الجيوبولوتيكى على حساب الولايات المتحدة مستخدمين الوفاق لوقف بناء الولايات المتحدة لقدرتها لا كقاعدة لنظام عالمى جديد · وقد نال سايروس فانس وزير خارجيــة كارتر قدرا كبيرا من الهجـوم ، وأعتبر أنه كانت تتسلط عليه سياسة الوفاق مع السوفيت بأى ثمن ، وأخضع كل مبادرته السياسية لهذا الهدف ، فى مقابل تصرفات السوفيت المناقضة للوفاق ، كان فانس يقدم التنازلات ، وهو ما قرأه السوفيت بوضوح ، وتلاعبوا به وجعلوه يواصل سياسته فى الوقت الذى كانوا يصيغون فيه سياستهم الخاصة ، وقد بدت نتائج هذه السياسة فى كل مجالات الســـياسة الخارجية : فى جنوب غرب وجنوب شرق آسيا ، وأمريكا الوسطى ، وفى العلاقات الأمريكية السوفيتية ·

وهكذا انتهى هذا التيـــار النـــاقد لادارة كارتر الى أنه قد ترك استراتجية أمريكية مشوشة ، والشعب الأمريكى غاضبا حول ما اعتبره

---

(١٦) — Ashton, S. R. "The search of detente" Macmilan, 1989, p. 141.

(١٧) — Gaddis, John Lewis, "The United States and the end of the Cold War" Oxford University Press, 1442, p. 120.

عدم قدرة كارتر على قيادة الأمة حيث تميزت ارادته بالفشل فى القيادة ، وعدم الحسم ، والافتقار الى الخيال ، ومحاولة كسب الوقت واللجوء الى أنصاف الحلول والقرارات ، ومع نهاية سنواته الأربع فى السلطة عام ١٩٨٠ ، كانت الولايات المتحدة ، فى تقدير هذه التيار ، أسوأ مما كانت عليه عندما جء الى الحكم ، وفشلت محاولته ، مواصلة واحياء وفاق السبعينيات (١٨) ٠

وفى مقابل هذا النقد العنيف لادارة كارتر ، يذهب مؤرخون آخرون لادارته الى انصافه بالتذكير بانجازات سياسته الخارجية الأخرى والمحددة : من توصله لمعاهدة قناة بنما ، واصلاحه للصورة الأمريكية فى أفريقيا والتوصل الى اتفاقية لانكستر التى حققت استقلال زيمبابوى ، وتوقيع اتفاقية سولت الثانية ، واستكمال بناء العلاقة مع الصين الشعبية ، واتفاقيات كامب دافيد ، كل هذا فيما يقولون حققته فى فترة زمنية وجيزة هى أربع سنوات ٠

ويميل بعض مؤرخى السياسة الأمريكية وعهود الرئاسة فيها الى اعتبار كارتر رئيسا سيىء الحظ ، فقبل شهر واحد من غزو السوفيت لأفغانستان والذى هز الثقة فى سياسة كارتر وأسلوب تعامله مع السوفيت، وقعت أزمة الرهائن الأمريكية فى طهران فى ٤ نوفمبر ١٩٧٩ ، وقبل عام واحد من انتخابات الرئاسة الأمريكية وبحيث كانت مفترقا خطيرا فى رئاسة كارتر ، وظلت صورة الرهائن على شاشات التليفزيون تحيط بها الجماهير الايرانية الغاضبة تهتف بالموت لأمريكا وتحرق العلم الأمريكى ، ظلت هذه الصورة تتعمق فى الضمير الأمريكى وأصبح مشهد الرهائن الأمريكيين جزءا من الحياة الأمريكية ، وأصبحت شاشات التليفزيون تحص يوما بعد يوم الأيام التى مرت على انتجازهم ، وأصبحت عناوين نشراتها تحمل عنوان : أمريكا الرهينة **America Held Hostage** ٠ وللمفارقة فان الهجوم الايرانى على كارتر جعل الشعب الأمريكى يلتف حوله وأصبح يجسد الأمة وبدأت اسهمه ترتفع لدى الرأى العام ، غير

---

(١٨) — **Thornton. Richard, "The Carter Years ..." Op cit., pp. 539-543.**

أن ما أجهز عليه وحول التيار تماما كان كارثة فشل محاولة انقاذ الرهائن وتحطم الطائرات الأمريكية التى قامت بهذه المهمة (١٩) ٠

وحقيقة ، كان مما ضاعف من ظروف كارتر السيئة أن الشـــعب الأمريكى حين قيم الاحباطات التى صاحبت ادارة كارتر ، رآها كذلك كامتداد لسلسلة من الاحباطات الأمريكية وعلى امتداد ٤ رؤساء سابقين خلفوا وراءهم الشكوك حول الرئاسة الأمريكية بل والهدف الأمريكى ذاته ، فقد اغتيل كنيدى ، وأبعد جونسون بفعل أزمة فيتنام ، وأجبر نيكسون على الاستقالة وسط فضيحة ووترجيت ، وكان فورد أول رئيس منذ هووفر ينحيه الناخبين عن المنصب (٢٠) ٠

بالاضافة الى من تعاطفوا مع كارتر كرئيس سيىء الحظ ، فان بعض المحللين والمؤرخين لهذه بدأوا ينظرون اليه بشكل أكثر ايجابية ، ويركزون على دوافعه الأخلاقية ٠ فقد اعتبر بعضهم ان كارتر رأى دوره كرئيس على أنه وصى على المصلحة العامة حتى لو كان هذا يتطلب اتخاذه لاجراءات غير شعبية قد تضره سياسيا ، وأن مصاعبه قد نشأت من أنه قد صمم على أن يقول للشعب الأمريكى ما لم يكن يحب أن يسمعه نظام وأســلوب حياته ، هو فى هذا لم يكن مهتما بشكل كبير بما هو ممكن سياسيا أو ضروريا وانما بما هو صحيح سياسيا ٠ وعلى المستوى الشخصى كان كارتر عند هذا الرأى غاية فى الذكاء ومطلع جدا على الأمور ٠٠٠ وبكل المعايير كان أحد ألمع الرؤساء ، وعلى عكس أسلافه لم يكن – مثل جونسون أو نيكسون ، وضيعا أو متآمرا ، فعلى المستوى الشخصى والعام كان مراعيا لشعور الآخرين وعطوفا وكريما (٢١) ٠

وفى اطار هذا التيار المتعاطف مع كارتر تبدو مفارقة أن قضــــية الرهائن الأمريكيين فى طهران ١٩٧٩ – ١٩٨٠ ، والتى كانت حاسمة فى

---

(١٩) — Johnson, Haynes, "Sleepwalking through history, America in the Reagan Years" W.W. Norton and Company, 1991,

(٢٠) — William Chahe & H. Stikoff (eds.) "History of our time", p. 28.

(٢١) — Kaufman, Burton, "The Presidency of James E. Carter" University of Kan as, 1993, pp. 1-3, 213.

هزيمته ، كانت من عوامل رد اعتباره ، خاصة حين قورنت بالطريقة التى عالجت بها ادارة ريجان قضية الرهائن الأمريكيين فى لبنان عام ١٩٨٤ ، وبعـــد ما تكشــف عن المفاوضـــات مع ايــران لمقـــاضيتهم بتزويدها بالســـلاح (٢٢) ٠

لماذا فشل وفاق السبعينات :

يدفع ما انتهت اليه حقبة السبعينات من فشـــل سياسة الوفاق الى استعادة وتأمل صعود وسقوط هذه السياسية منذ أن بدأت خطواتها الحثيثة فى مستهل السبعينات بالشروع فى محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وما تلاها من ازدهار مفـاجىء لروح الوفاق ومضمونه بين أعوام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٤ وتجسد هذا الازدهار فى مؤتمرات القمــة الأربعة بين نيكســون وبرجنيف ، ثم بدأ تراجع هــذه الســياسة تحت ضغط معارضيها فى الولايات المتحدة (تعديل جاكسون ــ فانيك حول شروط التجارة) ، ثم بالتدخل السوفيتى فى أنجولا ، ثم محاولة احيائها من جديد خلال السنوات الأولى لادارة كارتر ، حتى تصدعها بفعــل الغزو السوفيتى لأفغانستان ٠٠ يدفع هذا الى محـــاولة التعـرف وتحديد الأسباب التى كانت وراء هذه الترتيبات والعوامل التى أدت الى تراجع وفشل هذه الخبرة التاريخية والتى كانت فى دوافعها المباشرة محاولة حقيقية من جانب القوتين لاعادة تنظيم وترتيب علاقتهم بما تحتويه من عناصر معقدة تتضمن التنافس والاختلاف مثلما تتضمن ضرورات التعاون وتستهدف فى النهاية استبعاد أو على الأقل تضييق امكانيات المواجهـة بينهما ٠

فى هذا الشأن ، استخلص عدد من مؤرخى العلاقات الأمريكيـــة

---

(٢٢) — Dumbrell, John, "The Carter Presidency, A re evaluation Manchister University Press, 1993.

السوفيتية (٢٣) أن من أهم أسباب فشل سياسة الوفاق بالشكل الذى تطورت به خلال السبعينات ما يلى :

١ ـ الاختلاف حول التصورات الأساسية

Differences on basic conceptions

كان من أبرز أسباب الفشل النهائى لسياسة الوفاق فى السبعينات هو الاختلاف الأساسى لتصور كلا القوتين حول الدور الرئيسى للوفاق وأهدافه • فقد تصورت الولايات المتحدة ، وبعبارات هنرى كيسنجر على أنه « الطريق لادارة والتحكم فى بروز القوة السوفيتية فى السياسة الدولية وفى عالم يحكمه التعادل النووى » (٢٤) • أما الاتحاد السوفيتى فقد رأى الوفاق على أنه الوسيلة لادارة انتقال الولايات المتحدة من تفوقها السابق الى دور أكثر تواضعا فى السياسة الدولية وفى عصر من التعادل النووى •

وحين طور كلا من نيكسون وكيسنجر استراتيجية الوفاق لكى تحل محل المواجهة ، فقد كان توقعهم الرئيسى ان الاتحاد السوفيتى بدخوله أكثر فأكثر فى شبكة من العلاقات مع النظام العالمى القائم ، فانه سوف يتصالح تدريجيا مع هذا النظام ويقبل قواعده ، ويخفف توقعاته الأيديلوجية حول الثورة العالمية • وهو التصور الذى لم يقبله الاتحاد السوفيتى حتى فى قمة ازدهار علاقة الوفاق واعتبر أن دوافعه الأيدلوجية لن تتأثر بسياسة الوفاق بل ربما ستتكثف (٢٥) • وعلى الرغم من

---

(٢٣) راجع بوجه خاص الفصل الذى خصصه : Raymond Garthof.
Detente and Confrontation
The failure of American Soviet Detente in the 1990s, pp. 1968-1088.

وأيضا :

Stevenson, Richard, "The Rise and fall of detente" University of Illinois Press, 1985.

(٢٤) — Departement of State Bulletin, No. 1908, January, 1975, p. 70.

(٢٥) — Daily Review, Novosti, June, 29, 1972.

ادراك واعتراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بجوهر سياسة الوفاق والحاجة الى تفادى الحرب والأهمية الأساسية لذلك ، الا أنه بقيت تصورات مختلفة حول الطريق الذى ستسلكه البشرية وحول اطار السياسات العالمية ٠

الفشل فى التوصل الى اجراءات تعاونية :

كان السبب الثانى فى انهيار الوفاق هو الفشل فى التحول الى استخدام أكبر الاجراءات تعاونية لمواجهة احتياجات الأمن ٠ وقد كان الدرس الرئيسى للفشل فى التصديق على اتفاقية سولت ٢ ، هو ان الحد من التسلح لايستطيع ان يقف وحده أو يساند وفاقا سياسيا لايحتكم على عناصر قوته الذاتية ٠ وحتى اتفاقية سولت الأولى والتى ساهمت فى خلق مناخ الوفاق ودفعه كانت تستحق ذلك فى ذاتها ، قد أصبحت نقطة خلاف حين تعرض الوفاق للهجوم ٠

غير ان هذا لايجعلنا ننكر أن ثمة اجراءات وجهود لاقامة نظام لادارة الأزمات وتفاديها قد تحققت مثل اتفاقية عام ١٩٧١ لتفادى الحرب عن طريق الصدفة أو سوء التقدير ، وحول تحديث الخط الساخن ، واتفاقات عام ١٩٧٢ لتفادى الحوادث فى البحر بين الأساطيل الأمريكية والسوفيتية ، واتفاقية عام ١٩٧٣ لمنع الحرب النووية (٢٦) ٠

الفشل فى تحديد قواعد للسكون Code of Conduct

أما السبب الثالث فى تراجع الوفاق فقد كان فى عدم القدرة على تحويل الاعتراف بالتعادل النووى الى مستوى سياسى مشترك كل يحكم أفعالهم القوتين التنافسية فى العالم ٠ ويقع اللوم فى هذا فى الواقع على الجانب الأمريكى اذ انه فى الوقت الذى اعترفت فيه للاتحاد السوفيتى بالتعادل النووى ، Nuclear Parity الا نها لم تقر له بالتعادل السياسى ، وهو الوضع الذى جعل موسكو حريصة دائما على تأكيد ذاتها ٠

---

(٢٦) Kis ings Archive, 1973, p. 25999.

وقد مثل الوضع بالنسبة لأفغانستان نموذجا على اختلاف النظر بين القوتين لقواعد سلوكهما ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة أن الاتحاد السوفيتي بغزوه لأفغانستان قد خالف مبادىء السلوك ، وحاول أن يحصل على مكاسب على حساب المصالح الأمريكية وأن يمد خطوط مواصلاته الى منطقة الخليج ، أما الاتحاد السوفيتي فقد رأى ، لتطورات محلية ، واقليمية ودولية ، أن أفغانستان تتحول الى حزام معادى على حدوده الملاصقة للشمال المسلم فى الاتحاد السوفيتي ، كما رأى التطورات فى أفغانستان حلقة أخرى فى مخطط أمريكى ـ صينى يابانى لاحتوائه •

وهكذا ففى التصور السوفيتي فان الولايات المتحدة تتصرف بشكل مناقض للمبادىء الضمنية للسلوك ، فهى لاتحترم المصالح السوفيتية الحيوية فى منطقة آمنة ، كما احترم الاتحاد السوفيتي المصالح الأمنية للولايات المتحدة فى مناطقه الأمنية مثل أمريكا الوسطى ، وشيلى والدومنيكان ، وتساءل : هل نظرية مونرو تختلف اختلافا أساسيا عن نظرية برجنيف ؟ • فالولايات المتحدة لم تجعل الأفعال الأمريكية فى مناطق تلتصق بالاتحاد السوفيتي مثل فيتنام مثل ضربها لهانوى وحصار هايفرنج على قرب قمة موسكو عام ١٩٧٢ حجر الزاوية فى العلاقات الأمريكية السوفيتية فى الوقت الذى حولت فيه الولايات المتحدة موضوع أفغانستان الى تحدى سياسى عالمى عريض وسمحت لهذا الحدث أن يقوض انجازات الوفاق •

كذلك رأى السوفيت أن الولايات المتحدة تستخدم معيارا ثنائيا ليس فقط مقارنة بالأفعال الأمريكية ، وانما أيضا بالنسبة التصرفات الصينية فالولايات المتحدة لم تفعل شيئا حين غزت الصين دولة شيوعية صغيرة مجاورة هى فيتنام ، بل استمرت واتسعت علاقتها الثنائية معها •

يتصل بذلك أيضا المظالم Grivances السوفيتية تجاه الولايات المتحدة :

(أ) علاقة التحالف النشطة التى طورتها الولايات المتحدة تجاه الصين على أساس معادى للسوفيت من تقديم مساعدة عسكرية للصين ،

واقامتها تسهيلات للمخابرات وجمع المعلومات ، وتشجيع الصين على غزو فيتنام وتسليح بول بوت فى كمبوديا •

(ب) وفى الشرق الأوسط كانت الولايات المتحدة وراء اتجاه الحكم فى مصر والسودان والصومال والابتعاد عن الاتحاد السوفيتى ، وكذلك فى اقصاء الاتحاد السوفيتى عن الترتيبات السياسية فى الشرق الأوسط عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ •

(ج) مناوئة الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتى فى أفغانستان بتشجيعه لشخصيات مثل راود ، وفى بولندا بزيارة نيكسون لها ولايران عقب قمة موسكو الأولى ١٩٧٢ •

وهكذا توحى هذه الخبرة أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كان عليهما أن يعترفا بالحاجة الى أن يضعا فى حسابهما مصالح كلا منهما ، ليس من وجهة نظر غيريه ، ولكن من وجهة نظر مصالحهما الخاصة ، واتباع ضبط النفس • وقد أدى الافتقار لذلك الى نشوء فجوة بين الجانبين نتيجة لعدم قدرتهما تصور وجهة نظر ومصالح كل جانب ، وقد كانت هذه الفجوة تزيد وتتسع أكثر مما تقل ، وكان نتيجة ذلك أن تضاءلت الثقة التى كان رصيدها فى الأصل ضئيلا •

تقييم النوايا ، والتصورات ، ووجهات النظر

Intentions, Perception, Perspections

أكدت خبرة حقبة الوفاق أهمية التقييم الصحيح من كل جانب لنوايا الطرف الآخر وليس مجرد طموحاته أو قدراته • فقد قيم كارتر التدخل السوفيتى فى أفغانستان على أنه توسع وتهديد للخليج وبتروله ، ومن هذا التقييم تطورت سلسلة الاجراءات العقابية الأمريكية ، وهى الاجراءات التى دعمت الاعتقاد السوفيتى فى التهديدات التى يتعرض لها ، وهو التصور الذى كان فى الأساس وراء عمله فى أفغانستان ، بينما لو كانت الولايات المتحدة قد تبنت اجراءات وردود فعل تهدف الى تخفيف مخاوفه التى لا أساس لها لكان هذا طريقا أكثر فعالية • وهكذا كان من

الأهمية المبالغة بالنسبة للجانبين التقييم الصحيح لنـوايا ودوافع كل جانب • وتدفع هذه الحقيقة الى استخلاص أنه اذا كان التوتر الدولى هو محصلة التهديدات المتصورة ، فان الوفاق بمفهومه الصحيح يمـكن أن يوصف بأنه تخفيف للتهديدات المتصورة •

نفوذ وتاثير القادة فى القوتين:

كان نجاح أو فشل عملية الوفاق حتى منذ بداياتهـا الأولى عقب أزمة الصواريخ الكوبية مرتبطا بالمصير السياسى للقادة والزعماء الذين شجعوا سياسة الوفاق • فقد كانت الضغوط الداخلية وراء تراجـع خروشوف عن « روح جنيف » ، كما تراجع خروشـوف وأيزنهاور عن ارتباطاهما بروح جنيف على أثـر أزمات المجر والسويس عام ١٩٥٦ ، كما ساعد سقوط خروشوف على الركود الذى لحق بعـلاقات الوفاق التى تولدت عن وأعقبت أزمة الصواريخ الكوبية ، ومن ناحية أخرى ارتبط تدهور وفاق السبعينات بشكل وثيق بسقوط نيكسون •

أما التراجع الحاد الذى لحق بالوفاق فى نهاية السبعينات والذى سوف تنبعث منه وتتجدد الحرب البارده من جديد ، فان المؤرخين يلقون المسئولية فى ذلك على ادارة كارتر من ناحيـة وعلى الاتحـاد السوفيتى وخاصة برجنيف وقيادته ، فعلى المستوى الأمريكى اختـار كارتر أسوأ توقيت لكى يحول فيه أساس السياسة الخاصة الأمريكيـة من القوة الى المبدأ From Power to Princple حيث حاول وشرع فى ذلك فى وقت كانت تهتز فيه الثقة الأمريكيـة ، وكانت أزمة الطـاقة تثبت العجز الأمريكى ، وحيث كان الميزان العسكرى يبدو أنه يتحول فى صـالح السوفيت • ولم يكن توقيته فقط سيئا وانما ضاعف منه الطبيعة غير المتماسكة لسياسته ، وربما كان ما يشفع لكارتر أن نواياه كانت طيبة ، الا أنه وفى مناخ نهاية السبعينات ، فان النوايا وحدها لم تكن كافية •

أما المسئولية الأكبر فان هذا الرأى يراها تقع على الاتحاد السوفيتى وعلى زعيمه المستر برجنيف ، فرغم أن الاتحـاد السوفيتى وبالنظر بمشكلاته الاقتصادية والاجتماعية على المدى الطويل كان فى حاجة ماسة

الى الوفاق ، فقد فشل برجنيف فى أن يرى فى كارتر نظيرا أمريكيا يشارك باخلاص فى هذا الهدف ، وبدلا من هذا رأى فى حماسة المرتبك مؤامرة ضد مصالح الاتحاد السوفيتى • وتضافر مع هذا زج الاتحاد السوفيتى بشكل أكثر فى سياسة التوسع الامبريالى Imperial over extension (٢٧) •

شبيهة تلك السياسة التى اتبعتها الولايات المتحدة فى الخمسينيات والستينات ، بالاضافة الى عدد من الممارسات وتأكيد القوة السوفيتية فى عدد من بلدان العالم الثالث ، بلغت هذه السياسة ذروتها فى التدخل العسكرى فى أفغانستان ، وهو الحدث الذى شوه كما رأينا صورة الاتحاد السوفيتى فى العالم الثالث ، وأسرع بمعدلات البناء العسكرى الأمريكى وزاد من تصميم الناتو على نشر جيل جديد من الصواريخ قادر على ضرب موسكو ذاتها •

غير أن وفاق السبعينات لم يكن فى رأى بعض الخبراء الذين كانوا قريبين جدا من فكره ودبلوماسيته لم يذهب هباء ، ولم يكن رغم تراجعه بدون فائدة ، فعندهم كانه للمرة الأولى فى سنوات ما بعد الحرب كان على الساسة والرأى العام أن يواجه سؤالا هاما جدا : ما الذى يجب أن نعتبره طبيعيا فى العلاقات الدولية ؟ وما هى العلاقات الطبيعية من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ؟ وهل العداوة القاسية والتى وجدت تعبيرا عنها فى حرب ساخنة أو باردة ؟ أم أنه من الممكن أن تصبح علاقات أكثر تحضرا والتى لاتستبعد التناقض وعدم الاتفاق غير انها تقوم على تقييم واقعى للمصالح المشتركة والاستعداد ليس فقط للعيش فى سلام والتسامح المتبادل ولكن أيضا للتعاون على قدم المساواة والمنفعة المتبادلة • ويضيف هذا الرأى أن وفاق السبعينات على الأقل قد نجح فى تقويض الاعتقاد بأننا مقضى ومحكوم علينا بعلاقات سيئة ، وبالحرب الباردة والمواجهة العسكرية ، فى هذا الشأن ، فقد قدم الوفاق باعثا ليس فقط

---

(٢٧) Gaddis, John Lewis, "The United States and the end of the Cold War", Oxford University Press, 1992, p. 120.

على الأمل ، ولكن للاعتقاد والايمان بان البحث عن بديل للحرب الباردة وعلاقاتها ليس عـديم المعنى والجـدوى ، كمـا أصبح الكثيرين من الناس لاينظرون الى استمرار الحرب الباردة باعتباره القاعدة • كذلك يرون فى تجربة الوفاق شيئا ايجابيا بالنسبة للاتحـاد السـوفيتى من حيث الدور الذى لعبه الوفاق فى تطور التفكير السوفيتى فى السياسة الخارجية ، وقد بدا هذا التأثير مبكرا ، ورغم أنه مر بكثير من الصعوبات خلال سنوات التوتر ، فان ثمـــة عـلاقة واستمرارية بين أفكار المؤتمر العشرين وبين التفكير السياسى الجديد (٢٨) •

---

(٢٨) Arbatov, George, "The System, An Insiden's life in Soviet Politics", Time's book, 1992 p. 210-211.

ادارة ريجان : التفاوض من مركز القوة

على الرغم من شدة وتصميم الاجراءات التى اتخذها كارتر للرد على التصرف السوفيتى فى أفغانستان ، الا أنها لم تفلح فى تهدئة المشاعر التى أثارها العمل السوفيتى،ولا أن تحسن من صورة الادارة ورئيسها(١)٠ وأهم من هذا توافق هذا التطور مع قرب انهاء رئاسة كارتر الأولى وبدأ حملة انتخابات الرئاسة ٠ وهكذا بدأ الاعداد لهذه الانتخابات فى وقت سيطر فيه الاحساس بتراجع الهيبة والمكانة الأمريكية وفعالية السياسة الخارجية الأمريكية وافتقاد الثقة فى اتجاهها ، واقترن هذا التصور للادارة الأمريكية ورئيسها على أنها ادارة تمزق الخلافات شخصياتها الرئيسية ، ويتسم رئيسها بالضعف والتردد ، وانه حين تحولت لهجته وسياسته فان خطة المتشدد كان مدعاة للتشويش أكثر مما كان مقنعا (٢) ٠

وقد استغل الحزب الجمهورى مرشحه رونالد ريجان هذا المناخ وجعل من شعار معركته الانتخابية العمل على استعادة مكانة الولايات المتحدة ، والتصدى للتوسع السوفيتى ، واقترنت أدبيات حملتهم الانتخابية بنظرة محافظة الى الاتحاد السوفيتى أعادت الى الأزهان ليس فقط صورة الحرب الباردة وانما ما اقترن بظهور الثورة البولشفية عام ١٩١٧ ، وعن طبيعة

---

(١) — Dumbrell, ê"The Carter Presidency..." Op. cit., p. 203.

(٢) — Ashton, S.R. "The Search of Detente" op. cit.

النظام ونواياه ومدى الثقة فيه وفى قادته وبالتالى حول أسلوب التعامل معهم • فقد قدم الاتحاد السوفيتى على أنه قوة تكمن فيها العدوانيـــة وبصورة لايمكن تغييرها من خلال المفاوضات أو بالاتفاقيات وانما من خلال مواجهته من موقع القوة وممارسة ضغوط جادة ومتماسـكة عليه تجبره على تغيير طبيعته وشخصيته (*) •

وقد غذى هذا الاتجاه فى الادارة الجديدة وبشر له تيار المحافظين الجدد New Conservatives وهو التيـــار الذى ظهر فى أوائل الستينات واشـــتد فى أواخر السبعينات ولعب دورا مؤثرا فى اســقاط كارتر ونجاح ريجان ، وساهمت أفكاره فى صـــياغة مفاهيم واتجاهات ادارته وبشكل خاص خلال العامين الأولين من حكمه ! ، وقد استخدم هذا التيار قوته واستغل أن الشعب الأمريكى بعد تجربة فيتنام ، ووترجيت ، وأزمة الرهائن ، يريد أن يؤكد نفسه ، ويثبت صـحة الوضع الأمريكى والفلسفة الأمريكية ، وأن القوة الأمريكية التى تأثرت يمــكن استعادتها وفيما يتعلق بتصور هذا التيار للاتحاد السوفيتى ، فقد رأوا أن جوهر الصراع معه يكمن فى هيكل نظامه وسياساته ، وعلى هذا فقد تصـــوروا

(★) فى أول مؤتمر عقده ريجان فى ٢٩ يناير ١٩٨١ ، سأله أحد الصحفيين عما اذا كان يعتقد أن الاتحاد السوفيتى مازال مصمما على السيطرة على العــالم الأمر الذى قد يؤدى الى استمرار الحرب الباردة أو أنه فى ضوء الظروف الراهنة فان الوفاق أمر محقق ؟ وأجـابه ريجـان : « ••• حتى الآن فان الوفـاق كان طريقـا ذو اتجاه واحد وقد استخدمه الاتحـاد السوفيتى لدفع أهدافه الخاصة • وليس على أن أفكر فى اجابة عما اعتقدوه عن نواياهم • فقد كرروها • ولا أعرف زعيما سوفيتيا منذ الثورة بما فيهم القيادة الحالية لم يكرر أكثر من مرة فى العديد من المؤتمـرات الشيوعية التى عقدوها تمسكهم وتصميمهم أن هدفهم هو تشجيع الثورة العالمية واقامة دولة شيوعية عالمية واحدة • وطالما يعلنون ذلك علانية فان الأخلاق الوحيدة التى يعترفون بها هى تلك التى تدفع وتخدم قضيتهم بما يعنى أنهم يحتفظون لأنفسهم بالحق فى أن يرتكبوا أى جريمة ، وأن يكذبوا ويخدعوا من أجل تحقيق ذلك • أعتقد أننا حين نتعامل معهم حتى فى الوفاق فيجب أن نراعى ذلك ونأخذه فى الحسبان » راجع :

Canon, Lou, "President Reagan, the role of a life time" Simon & Schuster, 1991, p. 282.

أن هذا الصراع لايحل بمجرد تطويعه Mellowing ، وانما ســوف ينتهى بموت أحد النظامين أو تحوله (٣) ·

وهكذا جاء ريجـــان الى الحكم بتصميم على تبنى مواقف أكثر قوة وجرأة لكى يوقف ما رآه اضمحلالا أمريكيا ورده الى السياســات التى اتبعت خلال السبعينات وهى الحقبة التى رآها فترة تدهور لاتبعث على الراحة والاطمئنان داخليا ودوليا ومعنويا واقتصاديا ، ورأى أن مصدر المشكلة هى القيادة الضعيفة خاصة فى فترة كارتر وليس نتيجة ضعف كامن فى أمريكا التى مازالت عنده تحتفظ بالقــدرة على أن تظل الأمة المسيطرة فى العالم ولكنها تتطلب الرجوع الى القيمة التقليدية التى تنهمها قيادات قوية توقف الاتجاه نحو الاضمحلال : فعلى المستوى الاقتصادى كان تشخيص الادارة الجديدة للتراجع الأمريكى هو أن الولايات المتحدة قد فقدت الأمل بجـذور ديناميكيتها التاريخية وهى قوة السوق الحـر وبقدرة على توليد الثروة ، كما أشاروا الى ان ثمة بعدا معنويا فى هذا التراجع الاقتصادى ، فقد خلقت سياسات الرفاهية الاجتماعية وبرامجها ما أصبح يعرف بحضارة التوكل ·

The Culture of dependency

والتى جعلت الناس القادرين على تحمـــل المسئولية يعتمدون فى احتياجاتهم واحتيــاجات عائلتهم على الدولة لكى ترعاهم منذ المولد حتى موتهم (٤) · وقد صاحب هذه الادانة الشاملة لأمراض أمريـكا الداخلية ادانة لسياستها على المستوى الدولى · وهنـــا أيضا رآها ريجان وفكرة المحافظ تفقد الصلة بمصادرها الحقيقية التى مازالت صادقة كما كانت دائما : فالنضال الكبير فى العـــالم المعاصر هو بين الحرية والعبودية ،

---

(٣) راجع : المهنا ، ابراهيم عبد العزيز ، « التفكير المحافظ الأمريكى »، السياسة الدولية ، يناير ١٩٨٩ ·

وأيضا :

"The Reagn Paradox", Bell, Corall, Billing & Sons, 1989, p. 13.

(٤) Burman, Stephen, "America and the World", The transedance of the US hegemony", Harvester wheatgheaf, 1991, p. 156.

ومن هذا النضال كانت أمريكا هي حاملة لشعل الحرية ، بينما الشيوعية وبالتحديد الاتحاد السوفيتي هو تجسيد للعبودية • ووضوح هذا التقسيم ، عند الفكر المحافظ ، كان يجب أن يعطي الولايات المتحدة ثقة أعظم في النفس وفي دورها على المسرح العالمي ، ولكن في السنوات الأخيرة فقدت أمريكا ثقتها ، وكان هذا نتيجة لعقدة ذنب زكاها الليبراليون ، والتي ألقت الشك على أمريكا كمدافعة عن الحرية ، وما زاد الأمر تعقيدا ، عند أصحاب هذا الفكر ، أنه في فترة ما بعد الحرب الفيتنامية ، كانت هذه العقلية المعذبة بالذنب قد عبرت عن نفسها في التحيز ضد العسكرية وأدى الى خفض الانفاق العسكري الذي استمر لكي يسمح بالانفاق على البرامج الاجتماعية ، كل هذا كان يحدث في الوقت الذي كان الاتحاد السوفيتي فيه لا يشغله هذا الذنب ، وانما يشغله البناء العسكري الشامل • وهكذا استخلص ريجان ومدرسة المحافظين والمحافظين الجدد التي حملته الى الحكم أن الدفاع القوي هو الشرط الرئيسي للقوة الأمريكية والمكانة الأمريكية ، وانه اذا أريد وقف تراجع وضع أمريكا الدولي ومواجهة القوة السوفيتية واتجاهها المتوسع ، فان القوة العسكرية والبناء العسكري يجب أن يكون له الأولوية المطلقة (٥) •

ونتيجة لهذا التحليل كان البعد العسكري والاستراتيجي في العلاقة مع الاتحاد السوفيتي موضع تركيز الادارة الجديدة والفكر المحافظ التي صاحبها من حيث تصورهم أن أمن ومكانة الولايات المتحدة لا تتحقق الا من خلال التفوق العسكري ، وأن اتفاقيات الحد من التسلح لم يستفد منها الا الاتحاد السوفيتي ، وأنه حتى لو قبلت الولايات المتحدة التفاوض فيجب أن لاتقدم عليه الا بعد بناء قوتها العسكرية ، وان هذا البناء سوف يتيح عددا من الحلول للتحديات الخارجية التي تواجهها الولايات المتحدة ؛

---

(٥) Ibid, pp. 156-157.

راجع أيضا في مظاهر الروح المحافظة التي سيطرت في الثمانينات وبدت حتى في سلسلة من الأفلام السينمائية التي انطلقت من مقدمة أن الحاضر يمكن اصلاحه بالعودة الى الماضي ، وأن القرن الامريكي يمكن أن يستمر ويتواصل باستعادة الأفكار والقيم التقليدية ، وهي الروح والفلسفة التي كان رونالد ريجان ـ الممثل الذي تحول الى سياسي ـ أكثر من عرضها وشرحها بوضوح :
=

(أ) فسوف يمكنها من التفاوض من موقع القوة (*)

(ب) وسوف يجبر موسكو على التفاوض حول اتفاقيات نزع السلاح بشروط أقل مما وافق عليه المفاوضون الأمريكيون • مفاوضات سولت ۱ ، ۲ •

وتقدم نظرة ريجان لقوة الولايات المتحدة العسكرية حين جاء للسلطة تفسيرا لما سيقدم عليه من برامج للبناء العسكرى سيعتبر أكبر ما أقدمت عليه ادارة أمريكية فى زمن السلم ، فنجده يروى فى مذكراته « حين وصلت الى واشنطون عام ١٩٨١ ، كان نسيج عضلاتنا العسكرية ضامرا وهزيلا بحيث كانت قدرتنا على الاستجابة بشكل فعال لهجوم سوفيتى موضع شك كبير ، فلم تكن الطائرات المقاتلة تطير ولا البواخر تبحر لأنها كانت تفتقر بشكل حاد لقطع الغيار ، وكان أفضل رجالنا يتركون الخدمة العسكرية ، معنويات المتطوعين فى الجيش فى الحضيض ، ولم تكن أسلحتنا الاستراتيجية والصواريخ ، والقاذفات التى تشكل أساس قوتنا الرادعة ، لم تكن تحدثت منذ حقبة ، فى الوقت الذى أنشأ فيه الاتحاد السوفيتى آلة حرب تهدد بخسوف آلتنا العسكرية فى كل مستوى » (٦) •

كذلك عبر كاسبر واينبرجر وزير الدفاع فى ادارة ريجان عن هذا التصور فروى كذلك فى مذكراته أنه خلال الأيام الأولى من الادارة كان هناك تحديدا لاتجاهاتها المقبلة ازاء الاتحاد السوفيتى :

١ ـ أن يكون واضحا تماما أن الولايات المتحدة سوف تقبل على أعمال حازمة تجاه أى أفعال تكون مناقضة للحرية أو تهديد لأصدقائها •

٢ ـ انه كان هناك ادراكا واضحا أن قدراتنا العسكرية قد انخفضت بشكل محزن ، وأن ريجان كان يدرك هذا وكان مصمما أن يدخر

= Judio, John, "Grand Illusions Critics and Champions of the American Century" Farer, Straus Giraux. New York, 1992, p. 223.

(٦) Reagan, Ronald, "An American Life", Simon & Schuster, 1990, p. 13.

القدرة العسكرية التي يمكن أن تساند مواقف أمريكا والتي بدونها سوف تصبح مواقفها خالية من أي مضمون ٠

كذلك لخص واينبرجر في حديث له مع السفير السوفيتي دوبرينين في الأيام الأولى للادارة الجديدة « أنه من المهم أن يدرك السوفيت ويدرك العالم ان الولايات المتحدة قد تغيرت ، وانها سوف تمتلك خلال هذه الادارة قوة أعظم وكذلك تصميما وحزما آكثر ٠٠ » (٧) ٠

وقد استمر هذا التصور لما تتعرض له الولايات المتحدة من تهديد عسكري سوفيتي وتناقص القدرة العسكرية الأمريكية مقابل تزايدها على الجانب السوفيتي ، فقد صدرت عام ١٩٨٣ وثيقة دفاعية تصف القدرة العسكرية السوفيتية وما تمثله من تهديد للولايات المتحدة « أن الولايات المتحدة تواجه في الثمانينيات تحديات خطيرة لأمنها القومي ٠ فقد تآكلت مناطق تقليدية للتفوق الأمريكي على الاتحاد السوفيتي بسبب البناء العسكري السوفيتي الشامل للقوة العسكرية والذى لم يقابل بشكل كافي من الولايات المتحدة وحلفائها ٠٠ وزيادة على ذلك فقد شجع الاتحاد السوفتي وأيد حروب التحرير الوطنية وسوف يستمر في هذا ، وهكذا كان السوفيت يفرضون تهديدا خطيرا للولايات المتحدة وحلفائها ومصالحها على كل مستويات الصراع وعلى نطاق واسع » (٨) (*)

---

(٧) Weinberger, Casper, "fighting for Peace" Michel Jonson, London, 1990, pp. 25-26.

(٨) Oberdofer, Don, "The turn from the cold war to a new Era", Posidom Press, 1991, p. 38.

(★) كان ثمة تضارب في تصور انذار ريجان للاتحاد السوفيتي : فمن ناحية كانت كما رأينا تصور الاتحاد السوفيتي كقوة عسكرية متزايدة ومهددة ، وتنظر الى المستقبل بشكل متشائم حيث كانت ترى عنصر الوقت فيه الى جانب السوفيت ٠ غير أنه من ناحية أخرى كان يختلط بهذا التشاؤم احساس قوى بالثقة بالنفس بدا بوضوح فيما تنبأ به ريجان عام ١٩٨١ « بأن الغرب لنا يحتوى فقط الشيوعية ، انه سوف يعلو عليها ٠٠ وهو لن يهتم بادانتها ولكنه سوف يلفظها كفصل غريب في التاريخ الانساني الذى تكتب صفحاته الآن » ٠

Gaddis, John Lewis, "The United States and the end of the cold war", p. 123.

وهكذا مثلت فلسفة ريجان كما أوضحها منذ حملته الانتخابية ، ومنذ تسلمه السلطة حول مضمون وأسلوب ادارته للعلاقة مع الاتحاد السوفيتي وتركيزه على الطابع الصراعي والمواجهة تحولا أساسيا عن السياسات الخارجية للحقبة الماضية · فحيث أدار الرؤساء الأمريكيين : نيكسون ، وفورد ، وكارتر (حتى نهاية السنة الثالثة من ادارته) السياسة الخارجية والعلاقة مع الاتحاد السوفيتي بشكل حاولوا فيه التكيف مع ضرورات عالم متغير ، وقد اتبع ثلاثتهم دبلوماسية نشطة لتعويض تعدد القوى الدولية التي أصبحت واضحة بشكل كبير في نهاية الستينات ، أما رونالد ريجان ، فقد جاء لكي يقلب هذا المنطق ، فعنده لم تكن الولايات المتحدة هي المطالبة أو المسئولة عن التكيف مع العالم ، ان أمريكا القوية الواثقة من نفسها يمكن أن تجعل العالم يتكيف معها (٩) ·

فبالنسبة لريجان لم تكن أمريكا تواجه مشكلات معقدة تتطلب سياسة خارجية أمريكية تعتمد على المناورة والتكيف ، فالمشكلة لم تكن في عالم معقد وانما كانت ببساطة في الادارة الأمريكية ، فاذا استعادت أمريكا روحها وقوتها ، فانها سوف توقف النمو العسكري السوفيتي المعادي الذي تحقق في الحقبة الماضية · ومن هذ التصور نبع تحديد أشمل للمصالح الأمريكية ، فاذا شجع الفشل في التصدي للسوفيت في أي مكان مزيدا من العدوان ، واذا كان السوفيت هم مصدر تحديات جذرية للوضع القائم في كل مكان تقريبا ، فان ذلك يفرض تهديدا حيويا للمصالح الأمريكية ويتطلب بدوره بناء عسكريا ضخما لمواجهته (١٠) ·

بهذا التصور عن الولايات المتحدة ، صورتها الراهنة وما يجب أن تكون عليه ، وعن الاتحاد السوفيتي وطبيعة نظامه ونواياه وكيف يمكن التعامل معه ، جاء رونالد ريجان الى الحكم في يناير عام ١٩٨١ لكي يمثل واحدا من أكثر الرؤساء الذين عرفتهم أمريكا محافظة وأقلهم استعدادا

---

(٩) —. Leselic H. Gelb, & Anthony Lake, "four more years : Diplomacy restored ?". Foreign Affairs, America and the World, 1984, p. 466.

(١٠) Ibid., p. 470.
— Cox, Michel, "From the Truman Doctrine to the Second Sup power Detente : The ri e and Fall of the Cold War" Journal of Peace Research, No. 1, 1990, p. 35.

للمساومة مع الاتحاد السوفيتي (١٠م١) ، وقد كان مما له مغزى حول اتجاه سياسته الخارجية خاصة تجاه الاتحاد السوفيتي اختياره لالكسندر هيج وزيرا للخارجية • وقد اختاره أساسـا لموقفه من اتفاقية سولت ٢ وانتقاده لها الأمر الذى أقنع ريجان أنه يتفق معه فى نظرته الى اتفاقيات التسلح مع السوفيت (١٠م٢) •

وقد بدأ الكسندر هيجج سياسته بالاعلان عن أنه ليس هناك شيء جوهرى يمكن التحدث عنه مع السوفيت ، ولا شيء يمكن التفاوض حوله حتى يبدأ الاتحاد السوفيتي فى اثبات استعداده كقوة مسئولة ، كما ذهب الى القول « ••• ان اشاراتنا للسوفيت يجب أن تكون تحذيرا واضحا أن وقت مغامراتهم التى لا يتحكم فيها شيء فى العالم الثالث قد انتهى وان قدرة الولايات المتحدة على أن تتسامح مع تصرفات عملائهم فى كوبا وليبيا قد تجاوزت حدودها » (١١) •

وبشكل عام حدد هيجج عند بدء عمله كوزير للخارجية الأعمدة الأربعة لسياسة ريجان الخارجية فى : ــ

(أ) استعادة قوة أمريكا العسكرية والاقتصادية •

(ب) تدعيم تحالفاتها •

(ج) التقدم فى الأقطار الخارجية •

(د) علاقة مع السوفيت تقوم على توقع تحكم أكثر من جانب السوفيت فى سلوكهم •

وقد صبغ هذا التوجه ووجه ممارسات الادارة الأمريكية الجديدة ازاء الاتحاد السوفيتي سواء تلك المتصلة بالعلاقات المباشرة أو فى المناطق والمجالات التى تتأثر فيها علاقات القوتين وتتداخل وذلك على الوجه التالى :

(١٠ م١) بدأ موقف ريجان من قضايا الحد من التسلح واتفاقياتها كذلك من اسناده لشئونها لاكثر نقاد هذه الاتفاقيات : يوجين روستو ، Paul Neitze ، وريتشارد بيرل •• والذين بدت اتجاهاتهم ومقترحاتهم تبدو فى نظر نقادهم أنها تستهدف تخريب عملية التفاوض حول التسلح أكثر من تقدمها :

(١٠ م٢) Gaddis, "The United States and the end of the cold war". p. 121.

(١١) Haig, Alexander, "Caveat, Realism, Reagan and Foreign Policy" weildenfeld and Nillson, London, 1984, p. 96.

١ ـ ففي مجال بناء القوة العسكرية ، شرعت الادارة في تقوية نظمها الدفاعية ، وأصرت على مستوى من الانفاق يواجه متطلبات مستويات عالية من التقدم ، على أساس أن هذا يخدم الموقف الأمريكي والغرب في أي مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي بمستوياته المختلفة ·بل أنه قد بدأت تتردد في أرجاء الادارة أفكارا حول الحرب النووية المحدودة ، اعتقادا بأنها أصبحت أكثر احتمالا من صراع اقليمي محدود يتضمن استخدام القوى النووية والتقليدية (١٢) ، وتصورت هذه الأفكار أن هذه الحرب يمكن شنها اذا ما أعد لها بشكل دقيق ، واستراتيجية فعالة ، ونتيجة لذلك ، تصورت هذه الأفكار أن على الولايات المتحدة أن تعد لقدرة قارية نووية · والواقع أن هذه الأفكار لم تكن جديدة فقد سبق أن ترددت في البنتاجون خلال ادارة كارتر ولكن ليس بهذا التصميم التي بدت عليه في الادارة الجديدة (١٣) ·

٢ ـ كما تبنت الادارة مفهوم أن التعاون الاقتصادي والتكنولوجي مع السوفيت سوف ينتهي بدعم لبنائه العسكري ، ولذلك اتجهت الى فرض حظر على الشركات الأمريكية والأوربية التي تساهم في بناء خط أنابيب غاز سيبريا ، الأمر الذي لم يتقبله الأوربيون وخلق ظلالا في العلاقات الأمريكية الأوربية (١٤) ·

٣ ـ وفي مجال حقوق الانسان ، فقد بدأت الادارة عهدها برفض تناول ادارة كارتر لهذا الموضوع ومعلنة أن أمريكا لا تستطيع أن تعادي شركائها في العالم الثالث لما لهم من أهمية في الصراع ضد الشيوعية ·

٤ ـ وارتباطا بمفهومها حول العالم الثالث ، والذي لم ترى فيه الادارة الا أرضا للصراع بين الشرق والغرب ، فقد انعكس هذا على تصورها للأمم المتحدة والمنظمات المتعددة الأطراف ، باعتبار أغلبية دول العالم الثالث فيها ، واتخاذها هذه المنظمات للتهجم على الولايات المتحدة ·

---

(١٢) — Dibel, Tenny, "Reagan's Mixed Legacy" foreign policy, Summer, 1989, pp. 37-39.

(١٣) — Calleo, David, "Beyond American Hegemony" Basic books Inc. Publishers, New York, 1987 p. 72.

(١٤) — Knight, Andrew, "Ronald Reagan's Watershed Year ?" Foreign Affairs, 1982, p. 512.

ولم تقتصر الممارسات الأمريكية فى هذه المرحلة على الجوانب المتصلة مباشرة بالعلاقات الأمريكية السوفيتية ، وانما امتدت أيضا الى المناطق التى تدخل فى سياق التنافس بين القوتين وشملت مختلف مناطق العالم التى تتداخل فيها علاقاتهما : ـ

(أ) ففى منطقة الشرق الأوسط ، وركزت الولايات المتحدة على التعامل مع مشكلاتها من منظور المواجهة العالمية مع الاتحاد السوفيتى ، وكان هذا هو أساس المفهوم الذى صاغه الكسندر هيج حول « التوافق الاستراتيجى (١٥) Stratigic Conscensus الذى دعا دول المنطقة أن تتبناه ، واعتمد هذا المفهوم على أن ما يهدد نظام الأمن الاقليمى فى الشرق الأوسط ليس النزاعات المحلية فيه أو المصادر الحقيقية التى تهدد استقراره ، وانما الأخطار الخارجية التى تتهدده وفى مركزها الخطر السوفيتى . وحين لم تظهر الأقطار العربية كما كان متوقعا تقبلا لهذا المفهوم ، اتجه هيج الى تحقيقه فى العلاقة الأمريكية الاسرائيلية بتوقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى Stratigic Memorandum مع اسرائيل فى ديسمبر عام ١٩٨١ (١٦) .

(ب) وفى منطقة اقليمية حساسة أخرى وهى منطقة الكاريبى ، لم يشغل هيج نفسه بتحليل الأوضاع السياسية الداخلية لدول هذه المنطقة وخاصة نيكارجوا والسلفادور ، وانما يركز على المطالبة بأن يضغط الاتحاد السوفيتى على كوبا التى اعتبرها مسئولة عن اضطراب الوضع فى هذه المنطقة والا فان الولايات المتحدة يجب أن تستخدم قوتها الاقتصادية ونفوذها السياسى مع واقع قوتها العسكرية لكى تضغط على كوبا ولكى تعالج الوضع « فى منبعه » Retam to the source (١٧) .

(جـ) وفى العلاقة مع الصين الشعبية ، اتجه ريجان مع بدايات حكمه ، واتساقا مع ما جاء به من عدم التضحية ، بالأصدقاء ، الى تزويد

---

(١٥) — Quandt, William, "Ten Years After Camp David" The brookings Institution, 1988, p. 362.

(١٦) — Chance, James, "The Turbulent Tenure of Alexander Haig," The New York Times book Review.

(١٧) — Hoffman, Stanley, "The Vicar Revenge" The New York Review of books.

تايوان بالأسلحة الأمر الذى هدد العلاقة الأمريكية مع بكين بالأبعاد الاستراتيجية والتوازنات الدولية التى تضمنها بيان شنغهاى فى فبراير عام ١٩٧٢ فى تطويرها وتطبيقها بالكامل فى عهد كارتر •

غير انه ما هو مهم فى هذه المرحلة من ادارة ريجان فى تعاملها وادارتها للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، هو مفهومها الاستراتيجى ومحدداته والذى يحكم أهدافها البعيدة ، فى هذا الخصوص يعتبر هنرى كيسنجر ان استراتيجية ريجان كانت تستند على اقتناع بأن الشيوعية يمكن هزيمتها وتدميرها لا مجرد احتوائها أو اصلاحها (١٨) ، وكان ذلك يرتبط برؤية الواقع وعناصر الضعف فى الكيان السوفيتى ، ويستدل على ذلك بخطاب ألقاه ريجان فى البرلمان البريطانى فى يونيو عام ١٩٨٢ يقول فيه محللا التناقض القائم فى الواقع السوفيتى ودلالاته « ••• بمعنى ساخر كان ماركس على حق • اننا نشهد الآن أزمة ثورية عظيمة تتصارع فيها متطلبات النظام الاقتصادى بشكل مباشر مع متطلبات النظام السياسى• غير ان هذه الأزمة لا تجرى فى الغرب غير الماركسى ، ولكن فى بيت ماركس ولينين ، فى الاتحاد السوفيتى •• وعام بعد عام فان النظام السوفيتى يهدر أفضل مصادره فى صنع أدوات الدمار ، ويفرض الانكماش المستمر للنمو الاقتصادى مع تزايد الانتاج الحربى عبئا ثقيلا على الشعب السوفيتى• ان ما نشاهده هو كيان سياسى لم يعد يتمشى مع قاعدته الاقتصادية ، ومجتمع تعيق القوى السياسية قواه الانتاجية » (١٩) •

ويؤكد خبير سوفيتى هذه الرؤية الأمريكية وهو يحلل ضعف الناتج القوى السوفيتى مقارنة بالناتج القوى للولايات المتحدة وحلفائها ، والاستراتيجية الأمريكية لاجهاد الاقتصاد السوفيتى ، « سرعان ما أدرك الأمريكان ان مجموع الناتج فى الدخل القومى السوفيتى كان ، أصغر ثلاث أو أربع مرات من دخلهم ودخل حلفائهم ، وان هذا الوضع يقدم فرصة سليمة وآمنة لتقويض قوة الاتحاد السوفيتى ، وربما لكى يتنزل به بعد

---

(١٨) — Kissinger, Henerry, "Diplomacy" ; New York, Simon and Scuhster, 1994, p. 773.

(١٩) — Ibid, p. 768.

ذلك هزيمة كاملة Total defeat من خلال اجهاده اقتصاديا • وخلال السنوات الأولى من ادارة ريجان تطور مفهوم الاستراتيجية التنافسية : Competitive Strategy مثلما فعلت خططها للبناء العسكرى والتى هدفت بوجه خاص وفقا للوثيقة الأمريكية التى تسربت للصحف فى هذا الوقت جعل الاستثمارات الأمريكية فى الدفاع شيئا عديم القيمة ، ويصف الخبير السوفيتى ان هدف برامج الدفاع الأمريكية كان اجبار الاتحاد السوفيتى على التنافس فى أكثر المجالات تكلفة واجهادا (٢٠) •

من التشدد الى محاولات التهدئه :

غير ان ادارة ريجان ما لبثت أن تبينت أن هذه الممارسات المتشددة لم تحقق تقدما يذكر فى مسائل السياسة الخارجية بل على العكس هددت عددا من الانجازات التى حققتها ادارات سابقة مثل التقارب مع الصين ، كما خلقت توترات فى العلاقة مع الحلفاء الأطلنطيين ، وفى الشرق الأوسط الذى تصاعد فيه الصراع والتوتر واحتمالات التورط الأمريكى فيه نتيجة للغزو الاسرائيلى للبنان والذى نشأ الاعتقاد بأن سياسات هيج فى التركيز على التحالف مع اسرائيل قد شجعت عليه (٢١) •

لذلك ظهرت الحاجة لا الى التخلى عن المرتكزات الرئيسية لفكر وسياسة الادارة ، وانما لايجاد عنصر توازن فى توجهاتها وممارساتها(٢٢)، وكان من مقدمات ذلك تعيين جورج شولتز وزيرا للخارجية فى يونيو عام ١٩٨٢ ، وبدأت فى الظهور اتجاهات تغير ملحوظ فى الأسلوب والى حد ما فى المضمون • ومرة أخرى لم يكن ذلك يعنى انفصال الرئيس الأمريكى عن نظرته العاطفية التى تجد جذورها فى غريزته السياسية وأيديلوجيته ، وانما لتعرضه لحقائق العالم واكتسابه للخبرة العملية بشئونه ، وهى الخبرة التى أظهرت له الحاجة الى قدر من المرونة والواقعية الأمر الذى أظهر معه ريجان قابلية واستعدادا للتغير والاستجابة للمتغيرات الدولية

---

(٢٠) Arbatov, "The Sy tem..", op. cit., p. 204.

(٢١) — Zeev, "Green Light, Lebanon", Foreign Policy, spring 1983, pp. 73-85.

(٢٢) — Dibel, "Reagan's Mixed Legacy", pp. 37-39.

الجديدة · كذلك ساهم في تعزيز هذا الاتجاه مجيء جورج شولتز كوزير للخارجيــة في يونيو عـام ١٩٨٢ ، ولم يكن ذلك لأنه كان يختلف عن الكسندر هيج في توجهاته الأساسية ولكن لنمط شخصيته وخصائصها (*) واسلوبه الهادىء ، وتحرره من الطموح السياسى ، وادراكه للطابع المعقد للقضايا ، والاستعداد للحلول الوسط ، وأكثر من هذا قدراته على بناء علاقات عمل متناسقة مع شخصيات الادارة ، والعمل بروح الفريق (٢٣) ·

وقد بدأ المراقبون يرصدون محاولات ادخال عناصر جديدة من المرونة فى سياسات الادارة والتى بدأت تظهر فى : ـ

(أ) البدأ فى اعطاء قدر من الاهتمام لمحادثات الحد من التسلح ، وذهبت فى هذا الى التقدم بمقترحات اعتبرتها أكثر مرونة من مقترحاتها السابقة المعروفة بـ Zero option والتى كانت تطالب بسحب السوفيت لصواريخهم مقابل عدم اقامة صواريخ برشنج وكروز فى أوربا ، واقترحت بدلا من ذلك الاتفاق على أعداد متساوية من الصـــواريخ على الجانبين على أقل مستوى تقبله موسكو ·

(ب) رفع الحظر عن الشركات الأوروبيـــة والأمريكية التى تبيــع

(★) عبر جورج شولتز بشكل فلسفى عن اتجـاهاته بقولـه فى خطـاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر عام ١٩٨٢ ·

اننا يجب أن ندرك الطابع المعقد لهذا العالم ، كما يجب أن لا نتعلق بأوهام الكمال ، أو الخطط التى لايمكن تحقيقها ، او الحلول التى تحقق من خلال الضغط · انها مسئولية القادة ان لا يغذوا الشهية للوعود السهلة والتاكيدات الضخمة » ·

كما عبر عن فلسفته العامة بعقيدة للشاعر كارل ستندبرج والتى يقول فيها ان رحاله سال ابو الهول ان يتحدث وان يفصح عن الحكمة التى اختزنها عبر العصـور فقال أبو الهول : « لا تتوقع الكثير جدا » ·

Do not expect too much.

(٢٣) — The Christian Science Monitor, June, 15, 1983 US New and World Report, November 8, 1982.

التكنولوجيا بـ مشروع غاز سيبريا ، وأنهى بذلك التوتر الذى نشأ فى العلاقة مع الأوربيين حول هذا الموضوع (٢٤) ٠

(جـ) كما بدأت الادارة الأمريكية تخفض من الربط الصارم الذى كانت تقيمه بين ما تطالب به السوفيت من تغيير سلوكهم فى المنـاطق الاقليمية ، وبين التقدم على جبهات أخرى ، واعتبر شولتز ان هذه السياسة لم تكن فى صالح الولايات المتحدة ، وضرب مثلا على ذلك بقرار حظر بيع القمح للاتحاد السوفيتى خلال ادارة كارتر (٢٥) ٠

---

(٢٤) — Talbott, Strope, "The Road to zero "Time, Dec. 14, 1978.

كان هذا المشروع يمثل صفقة تجارية ضخمة بين شركات أوربيـة ، بـدعم من حكوماتها ، والاتحاد السوفيتى لمد خط انابيب الغاز الطبيعى من سيبريا ٠ وقد أثر قرار الادارة الأمريكية ـ ٢٩ ديسمبر ١٩٨١ ـ على ٦٠ شركة أمريكية ، ونفذ هذا الاثر الى الشركات الامريكية فى أوربا ، الامر الذى أثار اعتراض القادة الأوربيين وهدد بأزمة فى العلاقات الأمريكية الأوربية ، فضلا عما أثاره داخل الشركات الأمريكية ٠ وقد ذكر شولتز فى معارضة لهذا القرار بالخسارة التى لحقت بالمزارعين الأمريكيين من قرار ادارة نيكسون فرض قيود على بيع فول الصويا ، وعدم قدرتهم استعادة الأسواق التى فقدوها بسبب هذا القرار :

Shultz, George, "Turmoil and Triumph, my Years as Secretary of States" Charles Scribner's son, New York, 1943.

(٢٥) Shultz, George "Management the NS. Soviet relationship over the long term" Current Policy No. 624, the United States Department of State, October, 18 1984, pp. 2-3.

ارتبط اعتراض شولتز بموقفه من مفهوم علاقة الارتباط Linkage الذى تبناه كلا من نيكسون وكيسنجر فى ادارة العلاقات الامريكية السوفيتية وهو المفهوم الذى تصور علاقة ارتباط بين كل ظواهر وجوانب هذه العلاقات ، وحاول أن يستخدم رغبة السوفيت فى تحقيق ثقلا فى مجال ما مثل التجارة كوسيلة لتحقيق تقدم فى مجالات أخرى تهم الولايات المتحدة مثل تقييد التسلح فى المناطق الاقليمية أو حقوق الانسان (راجع تفصيلا لهذا المفهوم فى : السيد أمين شلبى : الوفاق الأمريكى السوفيتى ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦ ـ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨١ ص ١٧١ ـ ١٧٣) ٠ أما شولتز فقد كان من رأيه وجوب التعامل من كل قضـية على حـده ، ودافع عن رأيـه قـائلا « ٠٠ هل نرفض أن نعقد اتفاقا ما مع السوفيت فى مجال ما اذا فعلوا شيئا يغضبنـا فى مجـال آخر ؟ وهل سيعطينـا هـذا الأسـلوب قوة ضـغط اكثر على السوفيت وسلوكهم ؟ أو أنه سوف يضعنا موضع الدفاع ويجعل دبلوماسيتنا تبدو غير متماسكة ؟ ٠٠ من الواضح أن علاقة الارتباط ليست مجرد حقيقة من حقائق حياة ، وانما المسألة معقدة من مسائل اساسية ٠٠ وهى كأداة من أدوات السياسة لها حدودها ، واذا ما طبقت بشكل جامد فانها قد تسلم المبادرة للسوفيت وتسمح لهم أن يقرروا مـدى وطابع العلاقة » ٠

Shultz, "Turmoil and Thruimph ..." op. cit., pp. 488-489.

(د) كذلك بدأ شولتز يعالج بهدوء العقبة الرئيسية فى العلاقة مع الصين وهى مبيعات السلاح الأمريكى لتايوان حيث توصل الطرفان الى اتفاق تعهدت فيه الادارة الأمريكية بأنها « لا تنشد اتباع سياسات طويلة الأجل لمبيعات السلاح لتايوان ، وفى هذه المبيعات التى تزيد سواء فى الكم أو الكيف عن مستوى السنوات الماضية ، وأنها تعتزم تدريجيا تخفيض مبيعاتها من السلاح لتايوان عبر فترة من الزمن يتم فيها التوصل الى اتفاق نهائى ٠٠ » ٠

(هـ) وبينما تجاهلت الادارة الأمريكية فى عامها الأول العناصر المحلية فى النزاع العربى الاسرائيلى ، وركزت بدلا من ذلك على ما تتصور أنه يخدم اعتبارات استراتيجيتها الأوسع والتنافس مع السوفيت فى هذه المنطقة ، وهو التصور الذى قاد كما رأينا الى التنسيق الاستراتيجى مع اسرائيل بعد ان فشل السكندر هيج فى اقناع العرب بمفهومه حول : التوافق الاستراتيجى ، نجد أن عهد شولتز شهد تقدم الادارة بما عرف بمبادرة ريجان للشرق الأوسط ، والتى تضمنت عددا من العناصر التى تعالج مسائل رئيسية وضرورية لتقدم عملية السلام فى المنطقة مثل دعوتها لتجميد المستوطنات الاسرائيلية (٢٦) ٠

غير ان عناصر التوازن التى كانت قد بدأت تدخل السياسة الأمريكية خلال ادارة ريجان ما لبثت أن تراجعت بحيث لم يظهر أى تأثير ايجابى فى مسار العلاقات الأمريكية ــ السوفيتية ، وكان ذلك بفعل ثلاث تطورات رئيسية :

أولا : الاعلان عن مبادرة الدفاع الاستراتيجى :

Strategic Defense Initative. SDI

فى ٢٣ مارس عام ١٩٨٣ ، ألقى ريجان خطابا ضمنه فقرة عن برامجه للتسلح ، دعا فيها العلماء الأمريكيين أن يتوصلوا الى وسائل لجعل الأسلحة النووية : عقيمة وبالية : Impotent and obsolete ، وفصل ذلك بقوله :

---

(٢٦) Kreczko Alan, "Support Reagan Initiative" Foreign Policy Winter, 1982, pp. 141-142.

« الن يكون من الأفضل أن تنقذ الحياة أكثر مما ننتقم لها (*) ، السنا قادرين أن نثبت نوايانا الطيبة والسلمية باستخدام كل قدراتنا وعبقريتنا للوصول الى استقرار دائم وخفيق ؟ أظن اننا قادرين ، بل ويجب علينا ٠٠ فبعد مناقشات دقيقة مع مستشارى بما فيهم رئيس الأركان ، أعتقد أن هناك وسيلة لذلك ، ودعونى أشاركهم هذه الرؤية للمستقبل التى تقدم الأمل ، اننا نشرع فى برنامج لمواجهة الصـــواريخ السوفيتية المهددة باجراءات دفاعية ٠ ودعونا نتحول الى قوتنـــا التكنولوجية التى أقامت قاعدتنا الصناعية والتى أعطتنا نوعية الحياة التى نتمتع بها اليوم ٠ بهذه الاعتبارات فى وضعنا اليوم ، فكنت أدعو علماءنا ، ومجتمعنا العلمى ، هؤلاء الذين أعطونا الأسلحة النووية ، أن يحولوا قدراتهم العظيمة لقضية البشرية والسلام ، وأن يقدموا لنا وسائل جعل هذه الأسلحة النووية عقيمة وبالية » (٢٧) ٠

وفى التوضيحات التى قدمها ممثلو الادارة لهذه الفقرة أوضحوا أن الهدف الأول من هذه المبادرة هو تطوير طرق ووسائل تدمير الصواريخ المعادية بسلسلة من الهجمات عبر كل طرق طيرانها منذ لحظة اطلاقها حتى دخولهـــا مجال الولايات المتحدة ، وقد افترضت الادارة بمشروعهـــا هذا استخدام التكنولوجيا الحديثة لبناء درع Shield فى الفضــــاء ضـــد الصواريخ المهاجمة وبحيث يصبح الحد الأدنى لما يقدمه هو المساعدة على حماية الصواريخ الأمريكية وسد : Window of Vulnarability الثغرة التى تتعرض فيهـــا للخطر ولحماية المدن الأمريكية ٠ كما ذهب

(★) يروى مؤرخى حياة ريجان الاصول الفلسفية لمبادرته بانه كان يسيطر عليه الاعتقاد بنبوءة الانجليل حول المعركة الكبرى بين الشر والخير Armagddon ، وانه كان يترجم هذا على العصر الراهن بتوقع كارثة نووية ، ولهذا فقد تصور مبادرة الدفاع الاستراتيجى كدرع لحماية امريكا من هذه الكارثة ، وكان يقول « اننا الجيل الذى يمكن أن يشهد هذه المعركة » ٠

Canon. Lou, "President Reagan, the role of a Lifetime", pp. 288-291.

اما الأصول العملية لهذه الفكرة فقد نشأت عنده خلال اجتماع فى البيت الابيض حين تدخل ماكفرلين الذى كان نائبا لمستشار الأمن القومى وقال : سيدى الرئيس : لمدة ٥٧ عاما كنا نعتمد على الردع الهجومى القائم على هجوم نووى مضاد ولكن للمرة الأولى فى التاريخ فاننا نسمع هنا أن ربما كان هناك طريقا اخر يمكننـــا أن نهزم أى هجوم بالدفاع ضده وعبر الزمن يمكن أن نعتمد بشكل اقل على الاسلحة النووية » وكان ماكفرلين يعقب بذلك على ما ذكره رئيس الأركان Vessey « انه من الأفضل أن نحمى الأمريكيين اكثر مما ننتقم لهم » ٠

(٢٧) Oberdofer, "The turn, from the cold war to a new era", p. 27.

— Oberdofer, "The Turn ...", pp. 27-28.

ممثلو الادارة وريجان نفسه بعد ذلك الى أنه اذا ما تطورت هذه الأسلحة الاستراتيجية الدفاعية الشاملة فانه يمكن مشاركة السوفييت فيها فضلا عن استخدامها كغطاء لأوربا • وهكذا تصورت الادارة أن المبادرة هي ثورة تكنولوجية سوف تجعل الأسلحة النووية الهجومية شيئا عديم الفائدة ، وانه بناء على مستوى الدفاع المطلق Absolute Defense، فان مفهوم الردع النووى Nuclear Deterence الذى حكم المعادلة النووية خلال العقود الماضية سوف يختفى » (٢٨) •

وقد أثار الاعلان عن المبادرة جدلا واسعا في الولايات المتحدة بين من أيدوها على نفس الخطوط التى قدمتها الادارة وبين من عاجفوها واعتبروا انها غير قابلة للتحقق فنيا (*) •

أما فى الاتحاد السوفيتي فقد جاء رد الفعل حادا ومباشرا ووصل الى درجة تشبيه ريجان بعد القائه لخطابه بهتلر ، أما على المستوى الاستراتيجي فقد رؤوا المبادرة باعتبار أن هدفها الرئيسى هو قلب وتغيير المعادلة الاستراتيجية بين القوتين وحصول الولايات المتحدة على فرصة الضربة الأولى First Strike ، الأمر الذى يغير أساسا من الأسس التى بنيت عليها اتفاقيات سولت الأولى ومب مبادىء التعادل Parity والأمن المتبادل Equal Security ، وبشكل عام اعتبر السوفيت أن المبادرة هى مرحلة جديدة ومتقدمة فى صراع التسلح بين القوتين تدفعه الولايات المتحدة الى مجال جديد هو مجال الفضاء أو ما عبروا عنه بـ Militarization of Space (٢٩) •

---

(٢٨) — Callo, Davir, "Beyond American hegemony" p. 76.
The President Choice : Star War or Arms Control" Foreign Affairs, Winter, 1984-1985, pp. 264.

(*) كان ممن عارضوا مبادرة الدفاع الاسرائيلية الثلاث : جورج كينان ماكجورج بندى ، وجيمس سليزنجر راجع :
The President Choice : Star war or arms controle, Foreign Affairs, 1984?1985, pp. 264-266.

(٢٩) — Canon, Lou, "President Reagan, the role of a life time", p. 742.

وبعبـــارة أخرى رأى الاتحاد الســـوفيتى أنه بمبـــادرة الدفاع الاستراتيجى ، كان الأساس الذى يجعل الاتحاد السوفيتى قوة أعظم سوف يزال ٠٠ وأكثر من هذا فان خلق درع مضاد للصواريخ سوف يجعل من الممكن نظريا أن تشن الولايات المتحدة هجوما فجائيـــا بدون خوف من الانتقام ٠ أما الموقف الآخر الذى عبرت عنه التعليقات السوفيتية ووصفته بأنه مخيف ، فهو أن يضطر الاتحاد السوفيتى الى الدخول فى سباق آخر تكنولوجى ومكلف قد لا يقوى عليه ومن المحتمل أن لا يفوز فيه ٠ وقد بلور آندربوف رد الفعل السوفيتى فى مقابلة مع البرافدا فى ٢٦ مارس اتهم فيها ريجان بالكذب المتعمد حول قوة الاتحاد السوفيتى العسكرية ، وقال أن الـSDI هى خطة لنزع ســـلاح الاتحاد السوفيتى فى مواجهة التهديد الأمريكى النووى (٣٠) ٠

٢ ـ اسقاط طائرة الخطوط الجوية الكورية :

ففى ٢٨ سبتمبر ١٩٨٣ أسـقط الاتحاد السوفيتى طائرة تابعـة للخطوط الجوية الكورية الجنوبية فوق الأراضى السوفيتية واتهموها بالقيام بأعمال تجسسية وراح ضحية هذا الحادث ٢٧٩ من بينهم أمريكيين ٠ وقد أثار هذا الحادث غضبا شديدا فى الولايات المتحدة ، واستخدم من جانب القوى التقليدية لاثبات صحة تصوراتهـا عن السلوك السوفيتى ونواياه ، بل ذهب الرئيس الأمريكى نفسه الى القول « أن السوفيت بهذا الحادث قـد أثبتوا أنهم غـير مؤهلين لأن يكونوا أعضـــاء فى الأسرة الدولية » (٣١) ٠ ومنعت الســلطات الأمريكية طائرة وزير الخارجية الأمريكى جروميكو من الهبوط فى نيبورك لحضور اجتماعات دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ٠ وقد جاء رد الفعل السوفيتى متفقا مع النمط التقليدى وخاصة فى المناسبات التى يتصـور أنها تمس أمنه القومى حيث اعتبر

---

(٣٠) — Oberdofer, "The Turn ..", p. 29.

(٣١) The Washingtod Port, Sept. 25, 1982.

أن هذا الحادث يرتبط بصميم الأمن القومي السوفيتي ، وأنه لا يستحق الاعتذار من جانبهم ، بل وذهب جروميكو وهو يواجه عاصفة الاحتجاج في اجتماع لمؤتمر الأمن الأوربي في مدريد الى أن الاتحاد السوفيتي « سوف يفعل نفس الشيء اذا ما تكرر هذا الحادث » (٣٢) ٠

غير أنه مما تجدر الاشارة اليه أنه رغم الغضب والاحتجاج الذى أثاره هذا الحادث في الولايات المتحدة ، الا أن الادارة الأمريكية اختارت أن لا تتعرض لأمور جوهرية في العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، فلم توقف صفقة القمح التى كانت قد وقعت قبل الحادث ، وأهم من هذا لم تؤجل اجتماعات جنيف حول الحد من التسلح (*) (٣٣) ٠

٣ ـ فشل التوصل الى اتفاق حول الصواريخ المتوسطة المدى في اوربا :

كان القرار الذى اتخذه الناتو في ديسمبر ١٩٧٩ بنشر صواريخ برشنج وكروز الأمريكية في الأراضي الأوربية قد قام على أساس ما عرف بـ Dual Track ويقضي بأن نشر الصواريخ الأمريكية سوف يتم اذا يتم التوصل الى الاتفاق في المفاوضات التى ستجرى مع الاتحاد السوفيتي

---

(٣٢) Time, January 2, 1984.

(★) استخدم بعض المحللين ذلك لكى يدللوا عما اعتبروه مازقا بين اقوال ريجان وافعاله : Declaratory and Functional Policy فبينما كانت اقوال ريجان تتسم بالتشدد كانت سياسته العملية غير ذلك :

راجع :

Bell, Corall, "The Reagan Paradox" Billing & sons, 1989, pp. 15-17.

واعتبر البعض أن هذه الخاصية كانت من أهم الجوانب في سياسة ريجان وأنها أحد العوامل الهامة في نجاحه ، وبالاضافة الى سلوكه في حادث اسقاط الطائرة الكورية ، يشيرون الى مواقف سابقة لم تتطابق الاجراءات العلمية مع التصريحات البلاغية والادانات المتشددة ، فالعقوبات التى فرضها على النظام في بولندا عند اعلانه الاحكام العرفية كانت معقولة ومحسوبة بدقة ، وتراجعه عن اجرائه لوقف بناء خط انابيب غاز سيبيريا ، ورغم ادانته لـ SALT 2 واعتبارها معيبة بشكل قاتل ، الا انه التزم ببنودها خلال كل ادارته الاولى ـ وفي ادارته الثانية سمح فقط بخرق رمزى للاتفاقية ٠

(٣٣) Kenneth W. Thompson, ed. "foreign Policy in the Reagan Presidency" University of Virginia, 1993, p. 9.

حول صواريخه SS 20 ، وحدد لهذه المفاوضـات موعدا هو ديسمبر عام ١٩٨٣ . ومع عدم التوصل الى اتفاق فى هذا التاريخ نفذت أقطار الناتو قرارها وبدأ بالفعل وصول الصواريخ الأمريكية الى المانيا الغربية وبريطانيا الأمر الذى رد عليه الاتحاد السوفيتى بالانسحاب من المفاوضـات دون تحديد موعد للعودة اليها ، ولم يقتصر انسحاب السوفيت من هذا المستوى من المفاوضات المتعلق بالصواريخ المتوسطة المدى INF ، بل شمل أيضا الانسحاب من محادثات الأسلحة الاستراتيجية Start ، ومحادثات الخفض المتوازن والمتبادل للأسلحة التقليدية فى أوربا MBFR

وقد وصف الأثر الذى تركه انسحاب السوفيت من مفاوضات الحد من التسلح ووقف المفاوضات بأنها تركت القوتين العظمتين للمرة الأولى منذ ١٤ عاما بدون محادثات حول تقييد التسلح من أى نوع بل وحتى أى صلات دبلوماسية منظمة (٣٤) . وقد أدى هذا المناخ ببعض مؤرخى العلاقات الأمريكية السوفيتية الى أن يصفوا سياسة ريجان بعبارات قاسية واعتبروها مسئولة عن الجمود ان لم يكن التدهور فى علاقات القوتين ، فقد كتب والتر لافبر « .. مع اقتراب نهاية سنوات ريجان الأربعـة فى البيت الأبيض ، فان أحد نتائجها هو تحول العلاقات الأمريكية السوفيتية ، كما عبر بقلق أحد مستشارى ريجان العسكريين « الى أسوأ ما تصيبه ذاكرتى » ، كمـا وصف هـذه السياسة بالفشـل وبالجمود الأمريكون الذى منعته ومنعت مستشاريه من فهم علاقات القوى الجديدة » (٣٥) . كما جعل هذا الوضـــع جورج كينـان يصف حالة العلاقات الأمريكية السـوفيتية فى هذا الوقت بأن المعنى الوحيـد لسلوك القوتين هو أنهما يندفعان بشكل عنيد نحو الحرب (٣٦) .

وهكذا اكتملت حلقـات التراجع والتدهور فى العلاقات الأمريكية السـوفيتية على كافة الجبهات الأيديلوجية ، والثنائيـة ، ثم فى أخطر

(٣٤) — Time, January 2, 1984.

(٣٥) — La faber, walter, "America-Russia and the cold war 1945-1984" 5th editiod. (Alfred A. Knoph 1985), p. 314.

(٣٦) — Kenneth, Foreign Policy in the Reagan Presidency op. cit., p. 160.

مجالاتها وهو مجال التسلح ، والفشل فى التوصل الى اتفاقيات تسهم فى ترشيده وكبح جماح التنافس فيه .

وقد أعاد هذا الوضع الى الأذهان مرحلة الحرب الباردة الأولى بافتراضاتها النظرية القائمة عى العداء الأيديلوجى ، وامكانيات المواجهة وأزماتها ، وتصاعد سباق التسلح ، وجمود امكانات التعاون الثنائى ، وهو الوضع الذى جعل البعض يصفون المرحلة الجديدة بالحرب الباردة الجديدة ، بل واعتبرت بعض الوجوه انها قد تكون أخطر من المرحلة الأولى بالنظر الى الأبعاد التى أخذها التسلح النووى على الجانبين (٣٧) .

وقد كان من الطبيعى أن تولد هذه الحالة المتدهورة للعلاقات الأمريكية السوفيتية قلقا متزايدا سواء على المستوى الأمريكى أو بين الحلفاء الأوروبيين ومن الرأى العام العالمى . كما حدث أن توافق هذا مع حلول معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام ١٩٨٤ ، وكادت قضية الأمن الدولى وحالة العلاقات بين القوتين والتدهور الحادث فيها أن تسيطر على مناقشاتها . وقد استخدمها وركز عليها الديموقراطيون للهجوم على ريجان وادارته واعتبروا أن التصورات الأساسية لريجان عن السوفييت وأسلوبه فى ادارة العلاقات معهم هى المسئولة عن الحالة التى وصلت اليها العلاقات ، كما أشاروا أن الرئيس الأمريكى هو الوحيد بين الرؤساء الأمريكيين منذ ما بعد الحرب الثانية الذى لم يجتمع مع القادة السوفيت (٣٨) .

أما الجانب الجمهورى فقد اعتمد فى رده على هذه الحملة على أن الأسس التى بنت الادارة عليها سياستها والقائمة على « الواقعية ، والقوة والتفاوض » (*) قد خلقت الظروف الموضوعية لعلاقات بناءة وأكثر أمنا

---

(٣٧) "Super power in collision" the New Cold war", p. 10.

(٣٨) — Hoffman, Stanely. "Fog on the summit", the New York Review of book , January 19, 1986.

(*) فى خطاب ريجان فى ٢٦ يناير ١٩٨٤ حول العلاقات الأمريكية السوفيتية ، حدد الواقعية Realism بأنها رؤية الاشياء بوضوح .
Clear eyed understanding.
وحدد القوة Strength بأنها أكثر من مجرد القوة العسكرية ، فالقوة الاقتصادية حاسمة Cruuial ، كما اعتبر أن القوة جوهرية كى نتفاوض بنجاح .
أما التفاوض Negotiation ، فقد أكد أنه رغم « أن التزامنا بالتفاوض لا يتزعزع ، الا أننا نصر على أن يكون حول المشكلات الحقيقية وليست حول المناخ المحيط بالمفاوضات : Atmospherics
راجع :
The New York Times January, 17, 1984.

لسنوات قادمة ، كما دافعت عن غياب الاتصالات على مستوى القمة بأن ذلك يعود الى تغير ظروف القيادة السوفيتية التى شهدت ثلاث رؤساء خلال السنوات الثلاث الماضية ٠

وبفعل اعتبارات المعركة الانتخابية الرئاسية ، وعوامل موضوعية أخرى ، بدأت ادارة ريجان تبدى اشارات تصالحية تجاه الاتحاد السوفيتى وتدعو الى أن الوقت قد حان لوقف التدهور فى العلاقات والبدأ فى بناء علاقات أكثر ثباتا ٠ وقد اعتبرت الادارة أن الشروط التى اشترطتها عند مجيئها للدخول فى مباحثات جادة مع السوفيت قد تحققت ٠ ففى خطابه الذى افتتح به الحملة الانتخابية لولايته الثانية ذكر ريجان « لقد قطعنا شوطا طويلا منذ حقبة السبعينيات ، وهى السنوات التى بدت فيها الولايات المتحدة يملأها الشك فى نفسها ، وأهملت دفاعاتها ، فى الوقت الذى زاد فيه الاتحاد السوفيتى من قوته العسكرية وفكر فى توسيع نفوذه بالقوة المسلحة والتهديدات ، ومنذ ثلاث سنوات حصلنا على تفويض من الشعب الأمريكى لأن نغير هذا الطريق ، وقد فعلنا ، وبتأييد من الشعب والكونجرس الأمريكى ، أوقفنا الانحدار الأمريكى ، فاقتصادنا اليوم يستعيد قوته بشكل أفضل منذ الستينيات ، وأعدنا بناء دفاعاتنا على أساس متين ، والتزامنا بالدفاع عن قيمنا لم يكن أكثر وضوحا مما هو عليه اليوم » (٣٩) ٠ وقد أعاد وزير خارجيته شولتز تأييد هذا المعنى فى أبريل عام ١٩٨٤ ، فقال « لقد أعدنا الآن بناء قوتنا بحيث نستطيع الآن أن ندافع عن مصالحنا ونثنى الآخرين عن طريق العنف » (٤٠) ٠

أما الاتحاد السوفيتى فقد قابل هذه الاشارات فى البداية بالشك واعتبرها جزءا من الحملة الانتخابية وطالب « بأفعال محددة » كدليل على حسن النية ، وربط هذا بشروط مثل ازالة الصواريخ الأمريكية المتوسطة المدى من أوربا ، والموافقة على مبدأ الاعلان عن عدم البدأ باستخدام القوة No Flixyuje ٠ كما جاء رد الفعل أكثر قوة من جروميكو خلال اجتماعات

(٣٩) — Brando, H. W., "The Devil We knew" Oxford University Press, 1993, p. 187.

(٤٠) — Mayenes, Charles William, "Last Opporlunilies" Foreign Affair, America and the World, 1985, p. 414.

مؤتمر الأمن ونزع السلاح فى استكهولم ، فقد اتهم الولايات المتحدة بأنها خربت محادثات الصواريخ المتوسطة المدى فى أوربا ، وبالقيام بأعمال ارهابية فى لبنان ، وأمريكا الوسطى ، ووصف السياســـة الخارجية للولايات المتحدة بأنها « الخطر الرئيسى على السلام » ، واعتبر أن تخفيف التوتر بين القوتين يجب أن يرتكز على « الأفعـال وليس على الألاعيب اللفظية » التى لجأت اليها الولايات المتحدة مؤخرا ، وقال أن الاتحـاد السوفيتى مستعد « لمحادثات جادة » وكذلك ليس « لمحادثات يمكن أن تستخدم لتغطية خطط متشددة » (٤١) ٠

وقد توافقت هذه المرحلة مع وفاة يورى آندربوف ٠

والذى كانت تجربته مع الولايات المتحدة وادرة ريجان قد أوصلته الى الاعتقاد فى بيان أذيع باسمه فى ٢٨ ديسمبر ١٩٨٣ « أنه اذا كان لدى أى فرد أى أوهام حول امكانية تطور الى الأحسن فى سياسة الادارة الحالية ، فان مثل هذه الأوهام قد تبددت تماما بالتطورات الأخيرة » (٤٢)٠ وبدا أن وفاة آندربوف ومجيىء ميخائيل شرننكو يقدم فرصة لاحداث تقدم فى الاتصالات الدبلوماسية بين موسكو وواشنطن ، وساعد على هذا حضور نائب الرئيس الأمريكى بوش جنازة آندربوف ، وما كان معروفا عن ارتباط شرننكو ، ومن خـلال علاقته الوثيقة مع برجنيف بسياسة الوفاق ، وذكر فى هذا خطابا قويا كان قد ألقاه فى الدفاع عن سياسة الوفاق قبل وفاة برجنيف بوقت قصير ، بل أنه وقبل شهرين من وفاة آندربوف ألمح شرننكو فى خطاب له فى ٢ مارس ١٩٨٤ أنه فى الامكان ايجاد طريق عكس الجمود فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وفى هذا الخطاب قدم شرننكو مجموعة من المقترحات ضمنها اقتراحا لنزع السلاح فى الفضاء ـ الأمر الذى سيصبح موضع تركيز الدبلوماسية السوفيتية ـ ، أكثر من تركيزها على سحب الصواريخ الأمريكية من أوربا ، كما أعقب هذا باقتراح مفاجىء فى ٢٩ يونيو ١٩٨٤ بالبدء فى مفاوضات حول معاهدة لمنع تسليح الفضاء وحظر النظم المضادة للصواريخ (٤٣) ٠

---

(٤١) — Stratigic Survey, iiss, London, 1984-1985, p. 30.

(٤٢) — Time ,January 2, 1984.

(٤٣) Canon, Lou, "President Reagan...", p. 743.

وقد شجع هذا التطور فى القيادة السوفيتية الرئيس الأمريكى ان يواصل اشاراته التصالحية تجاه السوفيت ، ففى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٤ ، عدد مجموعة من الأهداف المحددة لتنظيم العلاقة مع الاتحاد السوفيتى حددها فيما يلى :

١ ـ خفض وازالة التهديد باستخدام القوة فى المنازعات الدولية ٠

٢ ـ الشروع فى مفاوضات دورية على المستوى السياسى حول المشكلات الاقليمية بهدف تفادى سوء التقدير وخفض امكانيـــات المخاطرة بمواجهة أمريكية سوفيتية ٠

٣ ـ الاستعداد لمناقشة مسائل واسعة النطاق ذات الاهتمام المشترك مثل العلاقة بين القوى الدفاعية والهجومية وما يسمى بـ Space Defense

٤ ـ بناء علاقة عمل أفضل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تتميز بالتعاون الأشمل ٠

ويلاحظ ابداء ريجان الاستعداد لملاقاة الاهتمام الرئيس السوفيتى بموضوع أسلحة الفضاء والربط بينه وبين الأسلحة الهجومية ٠

كذلك كان من الواضح أن الاتحاد السوفيتى فى تقييمه لسير واتجاه معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية قد استخلص أن عليه أن يتعامل مع ادارة ريجان لمدة أربع أعوام أخرى ، وربما كان هذا هو ما دفع وزير الخارجية السوفيتى الى الاجتماع ، وفى قلب المعركة الانتخابية ، مع كل من وزير الخـــارجية الأمريكى ، ومع الرئيس الأمريكى فى أكتـــوبر ١٩٨٤ (٤٤) ٠

وقد استمر هذا الاتجاه بعد انتخابات الرئاســـة الأمريكية ونجاح ريجان الساحق على منافسه الديموقراطى والتر مونديل ، وبدأ الاستعداد الجدى للتوصل الى اتفاقيات للحد من التسلح يطفو على جدول أعمال الفترة الثانية لادارة ريجان ، وقيل فى هذا أن « محارب » الحرب الباردة

---

(٤٤) — Newsweek, October 8, 1984.

الجديدة يريد أن يدخل التاريخ برصيد من ساهم فى قضية الأمن والسلام العالمى (٤٥) وأن سياساته المتشددة مع السوفيت لم تكن خلال فترة ولايته الأولى الا توفيرا للظروف الموضوعية الملائمة لمفاوضات جادة وعلى أساس من القوة والثقة الأمريكية ، واتصالا بهذا فاخر ريجان أنه منذ جاء الى الحكم ، « لم يتوسع السوفيت بوصة واحدة » •

وفى اطار الاستعداد لبدء محادثات الحد من التسلح ، بدأت الادارة الأمريكية فى تطوير مفاهيمها لاجتذاب الاتحاد السوفيتى من جديد الى عملية التفاوض ، وفى سبيل هذا طورت ما عرف ب Ambrella Talks وأرادت بهذا المفهوم أن يتضمن جميع مسائل الحد من التسلح وأن تشمل على وجه التحديد : الصواريخ العابرة للقارات IBM ، أسلحة الفضاء Space Arms ، الأسلحة الكيماوية ، واجراءات بناء الثقة Confidence building Measuers والقوات التقليدية فى أوربا Conventional Arms (٤٦) • وقد تصورت ادارة ريجان أنها بهذا المفهوم تعطى أساسا واسعا للمفاوضات تتعدى به أى عقبة تظهر فى مستوى ما من هذه المستويات بحيث اذا ما تعثرت فى احداها كان هذا لا يعيق الانتقال الى المستوى الآخر بدون افشال المحادثات برمتها وتوقفها •

ومن ناحية أخرى كان واضحا أن تركيز الاتحاد السوفيتى فى أية مفاوضات مقبلة سيكون حول أسلحة الفضاء والصواريخ الدفاعية التى تبلورت فى مبادرة ريجان الدفاع الاشتراكى ، فبالاضافة الى رد الفعل السوفيتى المباشر من رؤية هذه المبادرة كمحاولة لقلب موازين القوى ونقض لمفهوم التفاعل الاستراتيجى ، فانه لابد أن فى تصوير القادة السوفيت أيضا ـ رغم بعض البيانات السوفيتية التى قالت أنه فى الامكان قبول هذا التحدى الجديد ، وانتاج صواريخ دفاعية مماثلة وبشكل أرخص مما يتكلفه مبادرة الدفاع الاستراتيجى الأمريكية ، على الرغم من هذا ، فلابد أنه كان فى التقدير السوفيتى ان هذا السباق الجديد اذا ما استدرجوا اليه فسيكون عبئا اضافيا على قدراتهم الاقتصادية • لذلك بادرت

---

(٤٥) — Kai er, Robert, "The summit in Geneva" The Washington port, Nave. 17, 1985.

(٤٦) — The New York Times, Nov. 16, 1984.

موسكو فى هذه المرحلة التمهيدية الى اقتراح وضع Moratorium على اختبار جميع أسلحة الفضاء الجديدة الأمر الذى لم تقبله واشنطون ٠ فى هذه الفترة التمهيدية أيضا لبدء عملية المفاوضـــات ، ثار النقاش والتساؤل حول مكان مبادرة الدفاع الاستراتيجى فى عملية التفاوض وهل تهدف بها الادارة أن يكون bargaining Chip لدفع السوفيت أن يكونوا أكثر مرونة والحصـــول منهم على تنازلات أكثر فى جـوانب أخـرى من المفاوضات ، أم أنها تمثل خطا ثابتاً فى نظام الدفاع الأمريكى ٠ حول هذه التساؤلات كانت الادارة تؤكد أنها لن تتخلى عن أسلحة الفضاء فى مقابل خفض الأسلحة النووية الســـوفيتية ، وأكد وزير الدفاع كاسبر وايتبرجر أن مبادرة الدفاع الاستراتيجى « هى الشىء الوحيد الذى يقدم الأمل الحقيقى للعالم والذى نتخلى عنها » ٠

أما التطور العملى الذى تم فى اتجاه بدء محادثات خفض التسلح فهو الاتفاق على اجتماع جورج شولتز وآندريه جروميكو فى جنيف فى ٨ ــ ٩ يناير عام ١٩٨٥ ، وتضمن الاتفاق ان تشمل المحادثات « مجموعة مسائل تتعلق بأسلحة الفضاء ، والأسلحة النووية والاستراتيجية ، والمتوســطة المـــــدى ، وبحيث تبحث كل المســـــائل فى علاقاتهــــا المتبــادلة : In its entire interrelationship وواضح انه كان يقصد بهذه العبارة طمأنه الجانب الســـوفيتى بان أســـلحة الفضـــاء ستكون محل بحث فى المفاوضـــــات (٤٧) ٠

غير أن التفسير السوفيتى جاء مختلفا عن التوقع الأمريكى لبحث المسائل مجتمعة وفقــا لمفهوم الـ Ambrella Talks ٠ فبينمــــا كانت الولايات المتحدة تتصور أن فشل المفاوضات وعدم تحقيقها لتقدم فى جانب لا يعنى اعاقة الاتفاق فى جانب آخر ، وبمعنى عملى انه يمكن تحقيق اتفاق حول الأسلحة الهجومية دون اتفاق حول أسلحة الفضاء ، جاء التفسير السوفيتى يحمل الاصرار على أن « لا تنفصل » محادثات حظر أسلحة الفضاء عن القضايا المتصلة بالأسلحة الاستراتيجية المتوسطة ٠ وقد حدد

---

(٤٧) — The Woshington Post, Nov. 25, 1984.

جروميكو هذا المفهوم بقوله « انه اذا لم يتم تحقيق تقدم حول مسائل الفضاء فانه سيكون من التزيد الحديث عن امكانية خفض الأسلحة الاستراتيجية » ·

وسط هذا الاتجاه لاحياء محادثات خفض التسلح ، واحتمالات اعادة بناء العلاقة الأمريكية السوفيتية ووقف التدهور فيها ، حدث تطور داخلي بالغ الأثر في الاتحاد السوفيتي حيث تولى زعيم سوفيتي جديد ـ ٥٤ عاما عندئذ ـ هو ميخائيل جورباتشوف في مارس عام ١٩٨٥ · وقد نظر الى هذا التطور بداءه في السياسة الأمريكية على أنه تحقيقا لما ظل الكثيرين يتوقعونه على مدى الحقبة الماضية من تغير في أجيال القيادة السوفيتية (٤٨) Generational Change ، بما يعني مجيء شخصيات تنتمي الى جيل نشأ وتكون في ظروف تاريخية مختلفة عن الجيل الذى نشأ وشارك في ظروف وأحداث الثورة البولشفية،وهى الظروف التى شكلت الاطار الفكرى والعملي لأفعال وردود أفعال جيل القادة الذى نشأ في هذه الظروف · ومع وضوح انفصال جورباتشوف بحكم السن عن هذه الظروف وتفتحه على ظروف موضوعية مختلفة اقترنت فيها عناصر القوة السوفيتية بعناصر الضعف وتراكم مشكلات النظام ومعضلاته الأيدلوجية والاقتصادية والتكنولوجية ، ظهر توقع أن يكون تناوله وادارته للسياسة السوفيتية أكثر مرونة ومن منظور جديد ، الا أن هذه التوقعات قد اقترنت أيضا بالتنبية الى أن « الزعيم الشاب » الجديد هو في نهاية الأمر من صنع النظام ومؤسساته ، وانه لم يصل الى هذه المرتبة في سلم بقيادة لو لم يكن لديه ارتباط بقواعد النظام وأهدافه النهائية (٤٩) ·

ومع عدم تغيير هذا التقييم ـ الذى أصدر أساسا عن الدوائر الاجتماعية ـ حول مدى ما ستظهره القيادة الجديدة من اتفاق أو ابتعاد عن أساسيات السياسة السوفيتية التقليدية ، فان ثمة اقتناع بأن الجديد الذى سيقدمه جورباتشوف سيكون في أسلوب تقديم السياسة السوفيتية الى العالم وبشكل أكثر حيوية مقترنا بمبادرات سلمية في مجالات مختلفة Peace offiensive ·

---

(٤٨) — Oberdofer, "The Turn ..." op. cit., p. 108.

(٤٩) Nixon, Richard, "Unloking the door", The Washington Times, March 7, 1986.

أما الادارة الأمريكية ، فقد ساور بعض أعضائها ومؤسساتها شكوك حول نوايا جورباتشوف النهائية ، وحول امكانيات وقدرة النظام ذاته على التغيير ، عبر عن هذا الاتجاه روبرت جيتى عضـــو مجلس الأمن القومى الأمريكي الذى اعتبر جورباتشوف لينينيا يحاول أن يقفز فوق ستالين ، ويعود الى سياسة لينين الاقتصـــادية الجديدة .N.S.P كأسلوب لاعادة امتلاك ديناميكية الماضي • وقد تصور هذا الرأى ان ثمة اجماعا فى المكتب السياسى على الحاجة الى فترة التقاط للأنفاس مع الغرب وخفض للتوتر معه تمكن الاتحاد السوفيتى من احياء الداخل وتجميع القوى استعدادا لفترة أخرى من الصراع • أما وكالة المخابرات الأمريكية فقد أبدت شكوكا كبيرا على احتمالات امكانات التغيير فى النظام السوفيتى « ان الاتحاد السوفيتى لن يتغير أبدا ، ولا يستطيع أن يتغير أيا كان سوء اقتصادهم الداخل ومشكلاتهم الاجتماعية » (٥٠) •

غير ان هذه الشكوك التى ســـاورت بعض شخصيات ومؤسسات الادارة لم تمنع الادارة الأمريكية من استكشاف الوضع الجديد وقيادته ، وحمل جورج بوش نائب الرئيس الأمريكى خلال توجهه لحضور جنـازة شرننكو ، دعـــوة لجورباتشوف لعقد اجتماع قمة ، وبينما كانت الادارة تشترط فى الماضى الاعداد الجيد لأى اجتماع قمة أمريكى سوفيتى ، والتأكد من أنه سيصدر عنه نتائج ايجابية ، فان بياناتها هذه المرة لم تعد تتضمن هذه الشروط ، واعتبر وزير الخارجية شولتز أن الظرف الراهن يمثل Moment of Opportunity لتحقيق تقدم شامل Across the board فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وأن الرئيس الأمريكى « يعتزم باصرار الامساك بهذه اللحظة لاجراء حوار على مستوى عالى لتحسين العلاقات » • أما ما يميز هذه اللحظة عن ما سبقتها ، فقد فسره شولتز بأنها تتميز بثلاث خصائص :

(أ) ما جرى من مناقشات واسعة حول مسائل متعددة بين البلدين فى العام الماضى •

---

(٥٠) Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., pp. 586-1003.

(ب) أن الادارة الأمريكية قد بلورت موقفها ٠

(جـ) القيادة الجديدة فى الاتحاد السوفيتى ٠

(د) بدء محادثات خفض التسلح ٠

كذلك حـــدد شولتز أربع مجالات يمكن أن تتطور فيهـــا علاقات البلدين :

(أ) اتفاقية حول الأسلحة الهجومية وأسلحة الفضاء ٠

(ب) تفاهم أفضل حول مناطق الأزمات ٠

(جـ) تقدم حول مشكلات حقوق الانسان ٠

(د) توسيع مجالات التعاون بين البلدين فى المجالات الانســـانية والثقافية ، والاقتصادية ٠

كذلك كان من العوامل المشجعة للادارة الأمريكية مقارنتها لظروف القيادات السوفيتية السابقة : برجنيف ، أندربوف ، شرننكو ، ليس فقط من وجهة نظر مواقفهم الأيديلوجية وممارساتهم ، وانما من زاوية عـدم الاستقرار وعدم الاستمرارية الذى فرضته ظروفهم الصحية ، أما القيادة الجديدة فهى تبشر بامكانية التعامل معها على الأقل لمدة عشر سنوات قادمة فى ظل ظروف طبيعية الأمر الذى يتيح بناء تفاهمات واتفاقيات طويلة معهـــا (٥١) ٠

على أن التحليلات المصاحبة لم تكن تقتصر فقط على عنصر شخصيات الزعامة الجـديدة ودورها ، وانمـا على مواجهها من ظروف الاقتصـــاد السوفيتى ، والفجوة التكنولوجية التى باتت تهدد المكانة الدولية للاتحاد السوفيتى خاصة فى ظروف الثورة الصناعية الثالثة ومستوياتها ٠ كما جذبت الانتباه اشارات جورباتشـــوف المبكرة حول الحاجة الى احداث « تحولات عميقة فى الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية » الأمر الذى يتطلب بالضرورة العمل على تحقيق استقرار فى البيئة الدولية ، وفى مركزها العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب لتهيئة الظروف لتحقيق وانجاح هذه التحولات ٠

---

(٥١) Bell, Coral, "The Reagan Paradox," op. cit., p. 1.

من المواجهة الى التفاوض
مؤتمرات القمة
١٩٨٥ ـ ١٩٨٨

يبدو أن توقع السوفيت وما كانوا يتصورونه عند بداية حكم رونالد ريجان عن امكانية التعاون معه قد تحقق ، وان كان قد تحقق مأخرا وعبر مرحلة من المعاناة والتوتر كادت تصل الى نقطة اللاعودة ، فخلال معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٧٧ ، تصورت التقديرات السوفيتية رغم حدة الخطاب السياسى للمرشح الجمهورى رونالد ريجان فى تناوله للعلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، ان هذا الطراز من القادة هو الذى يمكن التعاون معه وبناء علاقات مستقيمة ومثمرة على نمط ما حدث مع رتشارد نيكسون ، وان هذا الطراز بما يملكه من رصيد فى معاداة السوفيتية والتشدد معها هو الذى يمكن من التوصل الى اتفاقيات جادة مع الاتحاد السوفيتى ، على عكس شخصية مترددة ومتقلبة مثل كارتر الذى رأوه يفتقد الى التماسك والثقة الأمر الذى ساهم فى النهاية فى انهيار ما تحقق مع ادارته (٥٢) ·

وهكذا ، ومن خلال ما سنراه يتحقق فى العلاقات الأمريكية السوفيتية مع نهاية الثمانينات ، سيبدو من المفارقات التاريخية أن الرئيس الأمريكى الذى شن أعنف هجوم على الاتحاد السوفيتى ووصفه

---

(٥٢) Harelick, Arnold, "Us-Soviet relations, the returns of Arms Control" Foreign Affairs, America and the World, 1984, p. 315.

بأنه « امبراطـــورية الشر » The Evil Empire (*) ، ونصـــــح من يريد التعامل مع قادته أن يفعل ذلك على أساس أنهم « قوم لا يتورعون عن الكذب ، والخداع ، والغش فى سبيل تحقيق أهدافهم » (**) . هذا الرئيس الأمريكى هو الذى سيعقد مع الاتحاد السوفيتى وقيادته الجديدة أربع مؤتمرات قمة ، واتفاقية أساسية حول خفض التسلح تفتح الطريق الى تقدم أعرض فى مجال خفض التسلح ، وأهم من هذا تضع حدا لتدهور دام قرابة خمس سنوات ، وتقدم اطار العلاقات تستبعد المواجهة وتتجه الى التعاون (٥٣) . غير أننا يجب أن ننبه بداءة الى أن هذا التحول لم يتم بفعل نزوات طارئة لدى قادة القوتين وانما جـاء محصلة تغيرات بطيئة وعميقــة فى البنيــة الســياسية والاقتصـــادية والفـكرية للجانبين ، وهو ما سنعرض له تفصيلا فيما بعد .

مؤتمر قمة جنيف : ١٩ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٨٥

رغم الخطوة الايجابية فى الاتفـاق على اجتماع القمة بين ريجــان وجورباتشوف ، وبعد أن غاب هذا المستوى من الاجتماعات عن علاقات البلدين لمدة ٦ سنوات ، فانه لم يكن متوقعا التوصـــل فيه الى اتفاقيات أساسية وخاصة فى مجال خفض التسلح خاصة وأن محادثات جنيف ومنذ

(★) فى ٨ مارس ١٩٨٣ ، ألقى ريجان خطابا أمام :
The National Association of Evangelians.
فى أورلندو ذكر فيه « .. اننى احثكم على ان تحذروا من اغراء الكبرياء الذى يمكن أن تجعلكم تشعرون بالسعادة وتضعون انفسكم فوق الصراع بين الخير والشر ، وأن تصفوا الجانبين بأنهم على خطأ دتساوى ، وأن تتجاهلوا حقائق التاريخ والدوافع العدوانية لامبراطورية الشر ، أو أن تصفوا سباق التسلح ببساطة على أنه سوء فهم وبذلك تخرجوا انفسكم من الصراع بين الخير والشر والصواب والخطأ » :
Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., p. 207.

(★★) هذه المقارنة هى التى جعلت مؤرخا للعلاقات الأمريكية السوفيتية يقرر أن آخر ما كان يتوقعه المرء فى الوقت الذى تولى فيه ريجان الحكم عام ١٩٨١ أن سنواته الثمان فى الحكم سوف تحقق اكثر التغيرات أهمية فى العلاقات السوفيتية الاميريكية منذ نهاية الحرب الثانية . راجع :
Gaddio, The U.S. and the end of the Cold War, op. cit., p. 119.

(٥٣) Kaiser, Robert, "The summit in Geneva" op. cit.,

استؤنفت فى مارس ١٩٨٥ لم تكن قد حققت أى تقدم ولم يكن يبدو مع اقتراب انعقاد القمة أنهـــا ستصل الى ذلك ، فالمواقف كانت متباعدة وفى مركزها الاختلاف حول البرنامج الأمريكى للصواريخ الدفاعية ، وكان الموقف السوفيتى منه ومن علاقته بالأسلحة الهجومية مازال عندما عبر عنه جروميكو حين تم الاتفاق على استئناف المفاوضات فى جنيف ، لذلك لم يكن متصورا فى الساعات أو الأيام القليلة التى سيلتقى فيها الزعيمان اجتياز هذه العقبة ، ومع هذا فانه يمكن القول ان اجتماع القمة قد أعطى دفعة معنوية لمحادثات جنيف وخلق ادراكا أن كلا البلدين وزعامتهما تريدان التوصل الى اتفاق · فى هذا الخصوص ذكر البيان المشترك « أن الرئيس والسكرتير العام قد ناقشا المفاوضات حول الأسلحة النـــووية وأسلحة الفضاء ، واتفقا على زيادة العمل فى هذه المفاوضات » · كما تضمن البيان المشترك بعض الجوانب الايجاب مثل تأكيد مبدأ الاســتعداد التفاوض لخفض أسلحتهما الهجومية بنسبة ٥٠٪ ، وكذلك تأكيد مبدأ التعادل Parity ، والأمن المتبادل Equal security ، وهى المبادىء التى يحرص الجانب السوفيتى بشكل خاص على مراعاتها وتأكيدها ·

كما كانت قضية منع الانتشار النـــووى من المجالات التى حظيت بالاهتمام فى اجتماع القمة ، اتصالا بأن هذا المجال هو من الموضـــوعات القليلة التى يتحقق حولها تفاهما مشتركا يســـتند الى حرصهما على عدم انتشار الأسلحة النووية الى أقطار أخرى ، وفى هذا أكد البيان المشترك أن إلتزام البلدين بمعاهدة منع الانتشار النووى Non Proliferation Treaty واهتمامهما بالتعاون مع أقطار أخرى لدعم نظـــام عدم الانتشار وجذب الأطراف لم تلتزم به حتى الآن ·

ومن قضايا خفض التسلح الأخرى التى تعرض لهـــا الجانبان هى محادثات فينا الخاصة بالأسلحة التقليدية فى أوربا :
Mutual and Balanced Forces Reductions MBFR

وفى هذا عبر الجانبان عن الأهمية التى يعلقونها على هذه المحادثات وعلى التقدم بها وعبرا عن استعدادهما للعمـــل على التوصـــل الى نتائج ايجابية فيها (٥٤) ·

---

(٥٤) — The washington Post,, Nov. 22, 1985.

ورغم أن خفض التسلح كان هو القضية المركزية فى دوافع وأعمال قمة جنيف ، الا أن ثمة قضايا أخرى حظيت بالاهتمام والمناقشة مثل قضايا المنازعات الاقليمية (٥٥) ، وحقوق الانسان ، والعلاقات الثنائية . وسوف تظل مجموع هذه القضايا — وبشكل كبير وفقا لهذه الأولويات — تشكل جدول أعمال سلسلة الاتصالات والاجتماعات على مستوى القمة ومستوى وزراء الخارجية والخبراء فى التطور اللاحق لعلاقات القوتين .

أما القضية التى شغلت مكانا نسبيا فى قمة جنيف — وكانت بطبيعة الحال اهتماما أمريكيا — فكانت قضية حقوق الانسان ، وقد كانت كذلك منذ مرحلة الوفاق الأولى فى السبعينات ، لذلك وجدنا أن البيانات الأمريكية التى سبقت قمة جنيف تؤكد على هذه القضية ، لذلك قيل أن الرئيس الأمريكى قد تحدث مع الزعيم السوفيتى لمدة ساعة ونصف حول موضوع حقوق الانسان ، وأن منطلقه فى الحديث حول هذا الموضوع من حقيقة أن الولايات المتحدة هى « أمة من المهاجرين » ، وأنه لايستطيع أن يدافع عن علاقات جديدة مع الاتحاد السوفيتى دون تعديله لأسلوب تناوله لحقوق الانسان .

والواقع أن المعالجة الأمريكية لقضية حقوق الانسان فى الاتحاد السوفيتى خلال السنوات الأولى لادارة ريجان قد اتسمت بالعنف والاتهام والادانة ، أما ابتداء من قمة جنيف وما بعدها ، فسوف يتأثر التناول الأمريكى لهذا القضية باتجاه حالة العلاقات العامة وبالبعد عن أسلوب الخطاب العنيف ، ولذلك وجدنا أن البيان المشترك لقمة جنيف يتحدث عن أن الجانبان « قد اتفقا على أهمية حل الحالات الانسانية بروح من التعاون » .

كذلك كان من الأمور التى ثارت خلال التمهيد لعقة قمة جنيف هو ضرورة الاهتمام بعنصر الثقة بين البلدين باعتبار أن غياب هذا العنصر هو مصدر التوترات وسياسات التسلح ، ولذلك فانه من المهم الشروع

---

(٥٥) — The washington Po t, Nov. 22, 1985.

فى دعم بناء جسور التفاهم والالتقاء بين الشعبين وذلك مـن خـلال الاتصالات الثقافية والعلمية ، والفنيـة والرياضية • وهو ما اتفق عليه الجانبان فى قمـة جنيف وورد فى البيـان المشترك تحت عنـوان : Exchanges Initiative وتضمن مجـالات تبـادل الطلاب ، والأساتذة ، فى ميـادين العـلوم ، والفنون ، وتبادل المنح الدراسية ، والفرق الرياضية • ويتصل بهذا ما تم التوصل اليه من اتفاقية لتبادل فتح قنصليات فى كل من نيويورك وكييف ، وأيضا مفاوضات لانشاء خطوط طيران متبادلة •

ومواصلة لعملية الحوار الجديد التى بدأت بهذه القمة ، فقد كان أهم ما اتفق عليه هو أن يتلوها قمتان : تعقد الأولى فى واشنطون عام ١٩٨٦ ، والثانية فى موسكو عام ١٩٨٧ • كما اتفق على أن يلتقى وزراء خارجية البلدين بشكل منتظم ، وكذا خبراء الدولتين حـول المسـائل الاقليمية (٥٦) •

وهكذا تحتل قمة جنيف مكانا هاما فى تطور العلاقات بين القوتين ، فقد جاءت بعـد قرابة خمس أعـوام من انقطـاع أى اتصـال ايجابى وذو معنى على كافة المستويات بين البـلدين ، بل ارتبطت هذه الفترة بالاتجاه الى تعميق أسس الخلاف الأيديلوجى ، وتشـوه صورة كل قوة لدى الأخرى ، كما ارتبط بعملية التركيز ، وخاصة على المستوى الأمريكى - على التباعد العسكرى بل ودفعه الى مستويات أكثر تعقيدا بتصور أنهـا ترد على ما حققته القوة الأخرى - السوفيتية - فى هذا المجال الحاسم فى علاقاتهما ، ومعلنة صراحة أنها لن ترتبط بمحادثات جادة فى هذا المجال الا بعد أن تعدل هذا الوضع ، بل وتصل وتتحدث فيه من « مركز القوة » •

وقد أدى مجموع هذه الأوضاع السلبية الى أن تعود افتراضـات وتصورات مرحلة الحرب الباردة الأولى على المستوى الأيديولوجى ، وأن يعود معها على المستوى السياسى والثنائى - انقطاع الاتصال وغياب التعاون ،

---

(٥٦) Departement of State bulletin, January, 1986, p. 7-10.

وان يكون نتاج هذا كله ازدياد حدة التوتر ليس فقط فى علاقات القوتين بل وفى انعكاسه على المناخ الدولى ٠

من هنا تتمثل أهمية قمة جنيف ليس من زاوية ما تم التوصل فيها من اتفاقيات أو تعاقدات ، فهى لم تحقق فى ذلك الكثير ، وانما كانت قيمتهـا فى كونها الحدث الذى أوقف التدهور وسمح ببدء سريان الميـاه فى مجرى علاقاتهما ، وأذن بمرحلة جديدة تتسم بالحوار المقترن بالرغبة فى خفض التوتر وتفادى المواجهة والانتقال الى مرحلة التعاون وبناء علاقات أكثر استقرارا (٥٧) ٠

اجتماع ريكيافيك : ١٠ ــ ١٢ ديسمبر ١٩٨٦

فى توقع استمرار العملية التى بدأها مؤتمر قمة جنيف فى بنـاء العلاقات الأمريكية السوفيتية على أسس جديدة ، وانتظارا لاجتماع قمة واشنطون الذى اتفق عليه الجانبان فى لقائهما فى جنيف ، أشار ريجان فى نهاية عهده لأهمية قمة جنيف بقوله : « من كان يظن أن حرارة المدفأة فى جنيف سوف تذيب جليد الحرب الباردة » ٠

توقع المراقبون ، ودعوا ، الى أن تخطوا القمـة القادمة خطوة أبعد مما حققته قمة جنيف ، فرغم أن هذه القمة قد جعلت العالم « أكثر أمنا » كما عبر الزعيم السوفيتى عقب القمة ، الا أنه فى التقييم الفعلى لهذه القمة فانها لم تتعد تحسنا فى المناخ Atmospheries ، ولذلك فقد كانت التوقعات أن تحقق القمة التالية نتائج ملموسة وخاصة فى مركز الاهتمام وهو خفض التسـلح ، وكان التسـاؤل الذى ثار وقتئذ هو ما اذا كانت مفاوضات جنيف حول خفض التسلح ، التى كانت ستبدأ فى أعقاب قمة جنيف مباشرة ، سـوف تتمكن من التقريب من وجهات النظر المتباعدة حول قضايا خفض التسلح ٠

ويبدو أن هذا التوقع لم يتحقق ، ولم تحقق مفاوضات جنيف حول

---

(٥٧) Canon, "President Reagan ..." op. cit., p. 791.

خفض التسلح من التقدم ما يسمح بتحقيق اجتماع قمـــة يصدر عنه شيء ايجـابي ومحدد هذه المرة ، هـذا فضـلا عن وقوع بعض التطورات السياسية السلبية التي عاقت تقدم الاتصالات السياسية ٠

غير أنه رغبة في عدم انقطاع أو توقف قوة الاندفاع التي ولدتها قمة جنيف في علاقات البلدين ، فقد تم الاتفاق على أن يلتقي الزعيمـان في شـــكل لقاء مؤقت Interim meeting يكون تمهيدا لمؤتمر قمة ، واتفق على أن يعقد هذا الاجتماع في مدينـــة ريكيافيكي عاصـمة يسلنده في ١٠ ـ ١٢ ديسمبر ١٩٨٦ ٠

وعلى الرغم من جدول الأعمال الواســع الذي أعد لهذا الاجتماع وبشكل خاص من الجانب الأمريكي وبحيث شمل الموضوعات التقليدية مثل : المنازعات الاقليمية ، حقوق الانسان ، العلاقات الثنائية ، الا أن المستوى الذي نوقشت به موضوعات خفض التسلح وشمولها والمدى الذي ذهبت اليه ، قد سيطرت على أعمال ووقت الاجتماع ٠

في هـذا المجال ، حـدد وزير الخارجية الأمريكي نطاق البحث في موضوعات التسلح كالآتي :

(أ) اجراءات بناء الثقة ٠

(ب) مركز التقليل من الأخطار النووية ٠

(جـ) الامكانات القائمة في مجال منع الانتشار النووي ٠

(د) الأسلحة الكيماوية ٠

أما المجالات الأكثر تحديدا ، والتي كانت تتناولها مفاوضات جنيف للحد من التسلح ، فقد حدد شولتز مجالاتها في الآتي :

ـــ الصواريخ المتوسطة المدى ٠

ـــ الخفض الجذري للأسلحة الاستراتيجية ٠

ـــ أسلحة الفضاء أو ما أسماه : الدفاع عن الفضاء Space Defense

وفى هذا الشـــأن تصور شـــولتز علاقة واضحة بين الجوانب الهجومية والدفاعية ، واعتبر أن هذا يشكل مضمون مبادرة الدفاع الاستراتيجى ، والتى من خـــلالها « سيصبح مفهـــوم الردع أكثر استقرارا وأكثر أمنا » (٥٨) ٠

وبداءة فثمة مفـــارقة ســـوف يتصف بهـــا اجتمـــاع ريكيافيك بين مختلف لقاءات القمة الأمريكية السوفيتية ، ذلك أن كل اجتماع قمة كان تقييمه السلبى أو الايجابى يتحدد الى حد بعيد بمقدار ما أنجزه أو توصل اليه من اتفاقيات محددة خاصة فى مجـــال تقييد التسلح ، أما اجتماع ريكيافيك فان المفارقة تبدو فى أنه رغم أنه انتهى « بالفشل » فى التوصل الى اتفاقيات محددة الا أنه اعتبر ووفقا لتصور الجانبين من أكثر لقاءات القمة نجاحا ! ٠ عبر عن هذه الرئيس الأمريكى قوله : « ٠٠ ان أهمية لقاء ريكيافيك رغم أننا لم نوقع فى نهايته أى اتفاق ، أننـــا قد توصلنا الى هذه الدرجة من الاقتراب من هذا الاتفاق ، فضلا عن أن هذا الاقتراب الذى حققناه لم يكن يمكن تحقيقه من عدة شـــهور مضت » ، كما ذهب وزير الخارجية الأمريكى أبعد من هذا فى تقييمه لنتائج ريكيافيك فقال : « من وجهة نظرى فانه حين سينظر الناس الى ريكيافيك فسوف يرون فيه لقاء القمة الذى تحقق فيه أكثر مما تحقق فى أية قمـــة أخرى » (٥٩) ٠ كما ذكر ريجان فى مذكراته « أنهـــا نقطة تحول كبيرة فى السعى نحو عالم آمن » ، أما جورباتشوف فقد وصفها بأنها « تسجل نقطة تحول فى تاريخ العالم ، وهى تثبت بشكل ملموس أن الوضـــع الدولى يمكن أن يتحسن ٠٠ » (٦٠) ٠

والواقـــع أن هذا التقييم الأمريكى السوفيتى المشترك لاجتمـــاع ريكيافيك قد لا يبدو مبالغا فيه اذا ما نظرنا الى القدر من التفاهم الذى تحقق خلال الاجتماع حول عناصر أساســـية فى القوة الاستراتيجيـــة

---

(٥٨) — Departement of Bulletin, Dec. 1986, p. 23.

(٥٩) — Reagan, "An American Life" Op. cit., p. 672.

(٦٠) — Gorbatchev, "Prestroika ..." op. cit., 240.

الأمريكية والسوفيتية ، وحول مسائل كانت ومنذ أن بدأت محاولات تقييد التسلح بين القوتين تقف عثرة في سبيل التوصل الى اتفاق ، ذلك أنه خلال يومى المحادثات :

(أ) توصل الجانبان الى امكان التوصل الى اتفاقيات غاية فى الأهمية لخفض أسلحتهم الاستراتيجية الى النصف ٠

(ب) سحب صواريخهما المتوسطة المدى من أوربا - صواريخ SS 20 السوفيتية ، وصواريخ برشنج وكروز الأمريكية ، وأن يقوم الاتحاد السوفيتى بخفض صواريخه متوسطة المدى فى الشرق الأقصى من ٤٠٠ صاروخ الى ١٠٠ صاروخ ، فى الوقت الذى أعطى فيه للولايات المتحدة الحق فى نشر صواريخ متوسطة المدى فى الشرق الأقصى الأمر الذى لم يكن لها من قبل ٠

(جـ) وان كان لم يمكن الاتفاق حول الصواريخ قصيرة المدى (٦١) ٠

والواقع أن قدرا كبيرا من التقدم الذى تحقق فى ريكيايفك يرجع الى اعادة الاتحاد السوفيتى النظر فى مواقفه السابقة ، فقد قبل أن يشمل تخفيض الأسلحة الاستراتيجية صواريخه من طراز SS 18 الطويلة المدى التى تتميز بالدقة الشديدة وتحمل عشر رؤوس نووية ، وتمثل جوهر القوة السوفيتية النووية ، كذلك تخلى الاتحاد السوفيتى عن مطلبه الذى ظل متمسكا به فى مفاوضات الصواريخ المتوسطة المدى فى أوربا من ضرورة احتساب الصواريخ النووية الفرنسية والبريطانية فى ميزان الصواريخ متوسطة المدى فى أوربا ٠ أما المجال الذى قدم فيه الاتحاد السوفيتى تنازلا بعدة معان - تنازلا تاريخيا ، فهو قبوله مبدأ واجراءات التفتيش على الموقع On Site Inspection ، وهو المبدأ الذى كان يرفض مناقشته خلال كل مراحل مفاوضات الحد من التسلح منذ أن بدأت فى الخمسينات وكان يعتبره محاولة لاختراق الاتحاد السوفيتى من الداخل والتجسس على المنشآت العسكرية السوفيتية (٦٢) ٠

---

(٦١) Departement of State bulletin, December, 1986, pp. 20. —

(٦٢) عبد المنعم سعيد ، قمة هلسنكى ومستقبل العلاقات الأمريكية السوفيتية ، السياسة الدولية ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٠٤ - ٢٠٩ ٠

وقد لخص جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي ما أنجزته قمة ريكيافيك بقوله انه في ريكيافيك وافق ريجان وجورباتشوف على جعل حقوق الانسان جزءا معترفا به ونظاميا في جدول أعمالنا ، كما توصلا الى أساس لخفض ٥٠٪ من القوى النووية والاستراتيجية للقوتين العظميين على مدى خمس سنوات ، الأمر الذي اعتبره آخرون طموحا وبشكل مستحيل . كما توصلا الى اتفاق حول تخفيضات في الأسلحة النووية متوسطة المدى من مجموع الأسلحة السوفيتية التي تبلغ أكثر من ١٤٠٠ رأس نووي الى ١٠٠ صاروخ فقط وفي العالم كله ، وهذا الخفض كان سيخفض بنسبة ٩٠٪ الصواريخ السوفيتية SS 20 الموجهة الى حلفائنا وأصدقائنا في أوربا وآسيا ، الأمر الذي كان يمكن أن يؤدي الى وضع من Zeco-Zeco أي التصفية الكاملة لطبقة من الأسلحة النووية لأول مرة في التاريخ .. بخلاف هذا ناقش الزعيمان خطوات أخرى أبعد للاستقرار الدولي ، فقد اقترح الرئيس ريجان تصفية كاملة لكل الصواريخ البلاستيكية خلال السنوات الخمس التالية ، واقترح جورباتشوف تصفية كل القوى الهجومية والاستراتيجية ، كما تحدثا عن التصفية الممكنة لجميع الأسلحة النووية .. » (٦٣) .

أما ما حال دون بلورة هذا التقدم الذي تحقق في اتفاق نهائي ، وانتهاء الاجتماع في صورة الفشل في التوصل الى هذا الاتفاق ، فقد كان نتيجة لاصرار الجانب السوفيتي على ربط التوصل النهائي الى اتفاق حول العناصر السابقة وبين تخلي الولايات المتحدة عن برنامج الدفاع الاستراتيجي عبر مراحله الأساسية التي تشمل : Development-Testing-Deployment وان كان قد قبل أن يتسامح مع استمرار البرنامج على المستوى البحثي المعملي : (٦٤) : Laboratory Research في الوقت الذي أعلن الجانب

---

(٦٣) Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., p. 776.

(٦٤) Nitze, Paul, "From Hiroshima to Glasnost" Windenfeld and Niclson, London, 1989, p. 435.

الأمريكي تمسكه باستمرار مبادرة الدفاع الاستراتيجى ، بل واعتبر أنها كانت السبب الذى أتى بالاتحاد السوفيتي الى مائدة التفاوض (*) ٠

قمة واشطن : ديسمبر ١٩٨٧

كان اجتماع قمة واشنطون ـ القمة الثالثة ـ مختلفا تمــاما عن مؤتمــرى القمة السابقين ، جنيف وريكيافيكى ، ففى جنيف لم يتحقق شيء محدد ، وانتهت ريكيافيكى بالفشل رغم التفاهم العريض الذى تحقق خلالها حول قضايا التسلح ٠ أما قمة واشنطون فقــد تم الاعداد لها جيــدا (٦٥) ، وصدر عنهــا اتفاقية مهمة هى اتفاقية ازالة الصـــواريخ المتوســـطة المـــدى فى أوروبا Intermediate Nuclear Forces INF وهى الاتفاقية التى تطلبت من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تصفية Ilimination صواريخ المتوسطة المدى خلال ثلاث سنوات ، والقصــيرة المدى خلال ١٨ شهرا ، وبموجبها لن يكون من حق أى طرف تحدى مثل هذه الصواريخ بعد ازالتها أو انتاجها ٠

وقد تضمنت الاتفاقية مفكرة تفاهم Memorandum of Understanding حول تقديم المعلومات عن مواقع وأعــداد وخصائص صواريخ كل جانب المتوسطة ، والقصيرة المدى ، كما تضمنت بروتوكولات لتحديد اجراءات ازالة هذه الصواريخ وقواعد الاطلاق والمعدات ، والمعدات المساعدة ، كما تضمنت أخيرا بروتوكولا يفسر الاجــراءات التفصيلية للتفتيش المرتبط بتنفيذ الاتفاقية (٦٦) ٠

وتأتى أهميــة هذه الاتفاقية لا مما ستخفضه من الترسانة النووية للقوتين ـ حيث انها تمثــل $\frac{1}{5}$ هذه الترسانة ـ وانما من حقيقة أنها

(★) مع نهاية عام ١٩٨٦ وصف ريجان مبادرة الدفاع الاستراتيجى بأنها « الدرع التى يمكن أن تحمينا من الصواريخ النووية مثلما يحمى السقف العائلة من المطر » ـ كما وصفها تقرير لمعهد ستانفورد بأنها ضمان « للسلام الامريكى » للقرن القادم ٠

Judis, "Grand Illusions" op. cit., p. 256.

(٦٥) Department of Scate Bulletin, March 1988, p. 31.

(٦٦) — Ibid.

أول اتفـــاقية لخفض التسلح توقعهـا القوتان منــذ ١٥ عاما ، كما تأتى أهميتها من أنهـــا أول اتفاقية تصف جيلا كاملا من مستويات الأسلحة الاستراتيجية للقوتين ، وكذلك مما ارتبط بهـا من نظام صارم للتحقق Verivilation بما فى ذلك عدة أشكال من الأخطار المبكر Short Notice والتفتيش على الموقع On Site inspection • كما اعتبر بعض المحللين أن قيمتها السياسية تعلو قيمتها العسكرية (٦٧) •

وقد عقب الرئيس الأمريكى على الاتفاقية بقوله : « منــذ أكثر من ٦ سنوات ، ١٨ نوفمبر ١٩٨١ ، اقترحت لأول مـــرة ما أصبح يعرف Zero-option ، لقــد كان اقتراحا بسيطا يمكن أن تسميه نزع الســلاح ببساطة ، وعلى عكس اتفاقيات الماضى ، فان اقتراحى لم يكن تفنينا للوضع الراهن ، أو بناء عسكريا جديدا ، كما لم يكن يتحدث عن مجرد التهم فى سباق التسلح ، وانما للمرة الأولى فى التاريخ ، تستبدل لغة « التحكم فى التسلح Arms Control و « خفض التسوح Arms Reduction » ، وفى هذه الحالة ، التصفية الكاملة لطبقــة كاملة من الصــــواريخ النووية الأمريكية والسوفيتية » ، كما عقب جورباتشوف بقوله : « ان ٨ ديسمبر (تاريخ توقيع الاتفاقية) ســوف يدرج فى كتب التــــاريخ على أنه الموعد الذى سيسجل حدا فاصلا بين عهد من الخطر النووى المتصاعد وعهد من نزع سلاح الحياة البشرية » (٦٨) •

وقد أثارت قمة واشنطون ، وتوقيع اتفاقية INF ، ثلاث مسائل مهمة تتعلق بالمستقبل ، أولاها ، هو مصير مبادرة الدفاع الاستراتيجى ، فقد ضاقت الهوة شـيئا ما بـين الجانبين لأن السوفيت أصبحوا أكثر مرونة فيمـــا يتعــلق بجـانب التطـوير Development ، واختيـــار الدفاعات المسموح بهـــا وفقـا لمعـاهدة ABM لعـــام ١٩٧٢ ، والمسألة الثـانية التى أثارتها قمــة واشنطون بالنسبة للمستقبل واتصالا باتفاقية INF ، فهى تتعلق بالعلاقة بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوربيين ،

(٦٧) — Hye, Joseph "Arm Control after the cold war" foreign Affairs, winter, 1989, p. 44.

(٦٨) — Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., p. 1010.

فقد أيدوا رسميا الاتفاقية الا أن هذا المظهر السطحى كان يخفى خلافا داخل التحالف • ففى الوقت الذى يرحب فيه الجمهور الغربى بتفكيك مئات الصواريخ المقامة فى أوربا أو الموجهة ضد أهداف أوربية ، فقد ظهر أن الصفوة المثقفة منقسمة على نفسها ، ففى ألمانيا الغربية فان هلموت شميث ـ والذى كانت خطيته عام ١٩٧٧ حول صواريخ SS 20 هى التى أدت الى اقرار الناتو بنشر الصواريخ الأمريكية برشنج وكروز ـ قد أيد الاتفاقية ، ومن ناحية أخرى ، فان مجموع السياسيين ومنهم الديمقراطيون الاشتراكيون وزعماء اليمين يريدون أن يمتد تقييد التسلح حالا الى خفض حاد أو حتى تصفية طائفة ثالثة من الأسلحة النووية وهى : النظم المتوسطة المدى (أقل من ٥٠٠ ك م) ، كذلك كان الفرنسيين واضحين فى عدائهم للاتفاقية ، فبخلاف جيسكار ديستان ، والى حد ما ميتران ، فقد شارك الكثير من الاشتراكيين فى هجومهم على الاتفاقية ، وكانت حججهم الرئيسية تجد صداها فى بريطانيا وألمانيا الغربية ، حيث كان ثمة احساس بالاحباط العميق مرة أخرى فان اتفاقا استراتيجيا قد تم التوصل اليه بين القوتين العظميين من خلف ظهر الأوربيين والذين أخطروا بما تم الاتفاق عليه وطلب منهم أن يؤيدوه •

أما المسألة الثالثة التى أثارتها قمة واشنطون فهى تتعلق بشكل مباشر بمستقبل العلاقات الأمريكية السوفيتية • ذلك أن القمة وما تحقق عنها قد أحيت النقاش الأمريكى حول جورباتشوف وسياساته وأثارت فى ذلك سؤالين : هل سيستمر جورباتشوف ، وهل ستنجح جهوده فى تحويل Transformation النظام السوفيتى الاقتصادى والسياسى ، أم أنه مقضى عليه بالفشل بجمود النظام وبالتحالف ضده من هؤلاء الذين تهدد سياساته بقاءهم • والسؤال الثانى كان يتعلق بالسياسة الخارجية وعما اذا كان ما يغيره جورباتشوف هو الأهداف السوفيتية التقليدية أم مجرد الأساليب ونغمة الدبلوماسية السوفيتية ؟

وقد أعقبت واشنطون خطوات ايجابية فى مجال تقييد التسلح ، كاستمرار للاتجاه الايجابى الذى أرسته اتفاقية INF ، فقد اتفق الجانبان فى ٥ يناير ١٨٩٨ على تبادل الخبراء لزيارة مواقع الاختبارات النووية ، حيث اتفق على أن يقوم فريق أمريكى من الخبراء فى الاختبارات

النووية بالسفر الى الاتحاد السوفيتي فى ٧ يناير لزيارة الموقع السوفيتى للاختبارات النـووية فى كازخستان وأن يستمر هذا الفريق المكون من ٢٠ عضوا حتى منتصف يناير ، كما أعلن أن فريقا سوفيتيا من الخبراء سيزورون الولايات المتحدة فى الفترة من ٢٠ ــ ٢٣ يناير لزيارة تبادلية لموقع الاختبارات النووية فى نيفادا (٦٩) ٠

كما حدث تطور مهم آخر حين زار وزير الخارجية السوفيتى ادوارد شيفرنادزا واشنطون فى ١٥ ــ ١٧ سبتمبر ١٩٨٧ حيث وقع اتفاقية لانشاء مركز لتقليل الأخطار النووية Nuclear Risk Reduction Center.

وقد اعتبرت هذه الاتفاقية خطوة عمليـة أخرى للتقليل من أخطار الصراع الذى يمكن أن ينشأ من الحوادث Accidents ، أو سوء التقدير Miscalculation أو سوء الفهم Misunderstanding ٠
وقد جاءت هذه الاتفاقية لكى تؤسس القناة الأولى للاتصالات بين موسكو وواشنطون منذ انشاء الخط الساخن Hot line عام ١٩٦٣ ٠

وقد نصت المادة الأولى من الاتفاقية :

(أ) أن يقيم كل جانب فى عاصمته مركزا لتقليل الأخطار النووية يعمل نيابة وتحت اشراف حكومته ٠

(ب) ان يستخدم الجانبان هذا المركز لارسال الاخطـارات التى يحددها البروتوكول المرفق بهذه الاتفاقيـة وخاصة الاخطارات الخاصة بمنصات لاطلاق الصواريخ Ballistic, Missiles Launcheus

(جـ) وذلك وفقا للمادة الرابعة من اتفاقية تقليل أخطار منع الحرب النووية الموقعة بين البلدين عام ١٩٧٣ (٧٠) ٠

---

(٦٩) — Department of State Bulletin, March 1988, p. 40.

(٧٠) — Departement of State Bulletin, Nov. 1989, pp. 34-36.

تكاد تكون هذه القمة استمرارا لقمة واشنطون حيث ان انجازها الرئيسى هو التصديق على اتفاقية الصواريخ المتوسطة المدى بعد تصديق الكونجرس والسوفيت الأعلى عليها • كما جاءت هذه القمة ، والادارة الأمريكية ورئيسها ينهى سنواته فى البيت الأبيض ، لكى تمتد القمة الرابعة التى يعقدها مع الزعيم السوفيتى على مدى ثلاث سنوات ويحول بها الصورة التى ارتبطت به وبسياساته حين جاء الى الحكم عام ١٩٨١ كمحاورب وكمذلك لسياسات الحرب الباردة الى « صانع سلام » (٧١) ، ومخلفا وراءه أساسا متينا لكى تتطور عليه علاقات القوتين فى اتجاه ما بدا مبشرا باستبعاد عناصر التوتر والصراع بين القوتين وهى العناصر التى صاغت الوضع الدولى على نموذجها على مدى الحقب الماضية ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية •

غير أن مغزى زيارة ريجان لموسكو كان كبيرا ، فقد كان يزور البلد الذى أسماه من قبل « امبراطورية الشر » ويتحدث مع رئيسه ويشير اليه على أنه صديق (٧٢) ، وحين سئل ريجان وهو يسير فى الميدان الأحمر عن ملاحظته ووصفه السابق للاتحاد السوفيتى قال : « اننى كنت أتحدث عن زمن مضى » (٧٣) • وقد كان جورباتشوف هو أهم من فهم مغزى ذلك حيث ذكر عند وصول ريجان الى موسكو : « من كان يظن فى بداية الثمانينات أن الرئيس ريجان سيكون هو من سيوقع معه أول اتفاقية لخفض الأسلحة النووية فى التاريخ » (٧٤) •

كذلك كان مما أعطى للزيارة مغزى خاصا ومعانى أشمل وما اعتبر بمعان معينة أهم من مقابلاته الرسمية ، هو تحركات ريجان

---

(٧١) — The Summit in Geneva, The Washington Post, Nov. 17, 1985.

(٧٢) — Lundestad, Eier, "East, West, North, South ; Major Developments in International Politic , 1945-1991" Norwegian University Press, Oslo, 1991, pp. 22-23.

(٧٣) — Oberdofer, "The Turn ...", Op. Cit. p. 23.

(٧٤) — Canon, "President Reagan ...", op. cit.

فى المجتمع السوفيتى وأوســـاطه المختلفة وجولاته مع جورباتشــوف فى الميدان الأحمر واندماجه مع الناس ، ثم زيارته للمنشقين السوفيت والفنانين والمثقفين والطلبة وزيارته للمؤسسات الدينية ، وخطابه فى جامعة موسكو وتمثال لينين يطل عليه وهو يتحدث شارحا ومدافعا عن مزايا الرأسمالية والمجتمع الأمريكى وحقوق الانسان ، ومن ضرورة ازالة الحواجز التى تفصل الشعوب ، مشيرا لحائط برلين وأهمية ازالته (٧٥)٠

لقـــاء نيويورك :

غـير أنه اذا كان اجتماع قمـة موسـكو هو آخر اجتماع قمـة رسمى بين كل من ريجان وجورباتشوف ، الا أن الزعيمين قد التقيا فى ديسمبر ١٩٨٨ حين توجه جورباتشوف الى نيويورك لحضـور اجتمـاعات دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وهو الاجتماع الذى تم بناء على طلب من جورباتشوف وبترحيب من ريجان ٠ كما أتاح هذا الاجتماع الفرصة لكى يلتقى جورباتشوف مع جورج بوش باعتبـاره الرئيس المنتخب الجديد للولايات المتحدة (٧٦) ٠

ويرتبط هذا اللقاء ، فيمـا يتعلق بمضمون العلاقات الأمريكيـــة السوفيتية الجديدة ، وبأكثر من هذا باتجاهات السـياسة الخارجيـــة السوفيتية وتصورها للمستقبل ، يرتبط بالخطاب الذى ألقاه جورباتشوف أمام الجمعية العـــامة للأمم المتحـــدة فى ٨ ديسمبر ١٩٨٨ ٠ فى هذا الخطاب ، بالاضافة الى ما أعلنه عن خفض القوات المسلحة السوفيتية ، وبشـكل منفـرد ، بمقـــدار ٥٠٠ر٠٠٠ جنـــدى بما فيهـــا القـوات السـوفيتية فى بلدان حلف وارســو ، قـدم جورباتشــوف تصـوره للعلاقات الدولية والنظام العالمى (الجديد) والشعوب التى تحكمها ، وما تفرضه من أساليب وطرق جديدة للتعامل معها ٠ فقد ركز جورباتشوف على ما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية من تحويل العديد من المشكلات المتعلقة بالاقتصاد والطعام ، والطاقة ، والمعلومات ، والســكان ، وهى

---

(٧٥) — Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., p. 1104.

(٧٦) Departement of State bulletin, February, 1989, p. 38.

المشكلات التي كان العالم يتعامل معها حتى وقت قريب كمشكلات محلية واقليمية ، الى مشكلات عالمية يصعب حلها الا فى اطار عالمى ، كما ربط بين التطور الذى حدث فى وسائل المواصلات والاتصالات ، وبين ما أسماه بصعوبة الابقاء على « المجتمعات المغلقة » Closed Societies •
كذلك اعتبر أن الاقتصاد العالمى ، قد أصبح كيانا عضويا واحدا single organism لاتستطيع دولة خارجة أن تنمو وتتقدم بشكل طبيعى أيا كان النظام الاجتماعى الذى تنتمى اليه وأيا كان المستوى الاقتصادى الذى بلغته • هذا التطور هو الذى أنتج عالما جديدا يجب أن نسلك له طرقا مختلفة نحو المستقبل وان كانت لا تتجاهل الخبرة المتراكمة ، الا أنها يجب أن تراعى الخلافات الجذرية بين ما كان قائما بالأمس ، وما يحدث اليوم •

وباشارة واضحة الى دول شرق أوربا ، والأسس التى يجب أن تحكم علاقة الاتحاد السوفيتى معها ، تحدث جورباتشوف عن مبدأ « حرية الاختيار » Freedom of Choice ، الذى يجب أن يستند الى احترام وجهات نظر الآخرين ومواقفهم ، والاستعداد لرؤية ظاهرة مختلفة عن أنها بالضرورة سيئة أو معادية ، والقدرة على التعلم للعيش جنبا الى جنب فى الوقت الذى نظل فيه مختلفين ولسنا على اتفاق حول كل قضية •

وحول القضية التى ظلت دائما فى جوهر الخلافات الأمريكية السوفيتية ــ وهى قضية حقوق الانسان ، ــ ذكر جورباتشوف « أن اكثر الطرق ملاءمة لدولة لكى تعلن عن احتفالها باعلان حقوق الانسان ، هو أن تحسن الظروف الخاصة فى بلدها لمراعاة والدفاع عن حقوق مواطنيها ، ومعلنا انه لم يعد فى الاتحاد السوفيتى معتقل واحد بسبب آرائه السياسية » (٧٧) •

---

(٧٧) Shultz, "Turmoil and Triumph ..." op. cit., p. 1106-1107.

عوامل التحول فى القوتين

تظهر خبرة العلاقات الأمريكية السوفيتية منذ نهاية الحرب الثانية وبروزهما كأقوى قوتين على المسرح الدولى تتنافسان على المكانة والنفوذ فى العالم وتقسمهما الايديلوجيات والرؤى والمصالح المتعارضة ، تظهر هذه الخبرة أن التحـولات فى مجرى هذه العـلاقة على مدى الحقب الأربع الماضية خاصة نحو محاولة احتواء هذا الصراع وتخفيف عناصر التوتر قد ارتبطت بظهور عوامل موضوعية قد يكون لعنصر الشخصيات ونوازعها دور فيها ، الا أن الدافع الرئيسى وراء هذه المحالات كان فى النهـــاية بفعل عوامل موضوعية ثلاثة تمثلت فى : تطور وتغير فى موازين القوى العسكرية والاستراتيجية بينهما ، وفى فروض واعتبارات أوضـــاعهما الداخلية ، ثم فى تغير البيئة الدولية المحيطة بهما وفى داخل تحالفاتهما ذاتهـــا ٠

لذلك قد يكون من المفيد ، وربما من الضرورى ، ونحن نحاول أن نتعرف بوضوح على حقائق وأبعاد المرحلة التى ندرسها فى علاقات القوتين، والتى خاضتا بها تجربة جديدة من تجارب ومحاولات تنظيم وترتيب هذه ذلك تخوضان بها تجربة جديدة من تجارب ومحاولات تنظيم وترتيب هذه العلاقة والانتقال بها من التنافس والمواجهة الى التفاوض والتعاون ، قد يكون من المفيد أن نستعيد الاعتبارات والدوافع التى أحاطت بالمحاولات السابقة لادخال عناصر الاستقرار فى علاقاتهما وبناء علاقات أكثر ايجابية ٠ ونستهدف من هذا الاستعراض أن نثبت أنه فى كل مرحلة من مراحل هذه المحاولات قد مهد لها وعاصرها تغيرات موضوعية فى موازن قواهما العسكرية والاستراتيجية ، وفى بيئتهم الداخلية والدولية ، وهو نفس

النمط الذى نراه كحكم التحـــول الذى بدأ يأخـذ مجراه منـذ منتصف الثمانينات ، وان كان قد بدا بشكل أكثر تأثيرا على المستوى السوفيتى ٠

وقد كانت المحاولة الأولى للقوتين للخروج من أسر مناخ وعلاقات الحرب الباردة التى تطورت مباشرة بينهما فى أعقاب انتهاء تحالفهما ضد النازية وبدأ بروز عنـاصر التناقض بينهما ، هى تلك التى حدثت فى منتصف الخمسينات ، وتبلورت فى اجتماع قمة جنيف فى يونيو عام ١٩٥٥ ، وكان أول اجتماع على هذا المستوى بين القوتين منذ اجتماع قمة بوتسدام فى عام ١٩٥٤ ، وهكذا جاءت قمة جنيف ووزراءها قراب حقبـة تبلور فيها مفهوم الحرب الباردة القائم على الشكوك ، وافتقاد الثقة ، وعلى نظريات الاحتواء كما انعكست فى نظرية ترومان ومشروع مارشال ، وظهور امكانات للمواجهة حول برلين وكوريا ، وظهور الأحلاف العسكرية مثل حلف الأطلنطى ووارسو ، وترسخ خلال كل هذا واقع تقسيم الألمانيتين بل وشطره الأوربية ذاتها ، من هنا كانت أهمية قمة جنيف كمحاولة لكسر هذا التوتر وخلق مناخ أكثر استرخاء فى علاقات الشرق والغرب ٠ على أن تحقق قمة جنيف لم يجىء مصادفة أو بفعل اعتبارات ذاتية أو طارئة وإنما جاء فى أعقاب تطورات موضوعية بررته ودعت اليه ٠

وقد بدأت هذه التطورات على المستوى السوفيتى بوفاة ستالين فى مارس ١٩٥٣ ، ورغم دور ستالين الشخصى وتصوراته لأسس ووسائل بناء القوة السوفيتية ، وتوجيهه للسياسة السوفيتية وعلاقاتها بالعالم ، الا أنه كان يعكس أيضا مرحلة متميزة فى التطور السوفيتى بخصائصها وفروضها والضغوط التى تعرضت لها التجربة الثورية عند مولدها ، وكذلك عناصر القوة التى أبداها النظام فى صموده وانتصاره على التجربة النازية ، وقد وجدت الزعامة التى خلفت ستالين ــ جورجى مالينكوف ، أنها ورثت وضعا دوليا متوترا ، ومجتمعا أثقلته سياسات التصنيع والبناء وبدأ يتطلع الى حياة أكثر استرخاء تلبى حاجاته اليومية ، لذلك وجدنا أن القيادة الجديدة تتجه اتجاها تصالحيا نحو الغرب وتعلن فى أول بيان لها أنه « ليست هناك مشكلة لايمكن تسويتها بشكل سلمى والاتفاق المتبادل

بين الأطراف وبشكل خاص مع الولايات المتحدة الأمريكية » (٧٨) ، والحقت القيادة السوفيتية الجديدة بياناتها بعدد من الخطوات فى مجالات السياسة الخارجية والداخلية بهدف خلق مناخ موات للتهدئة والتفاهم ، كان من أبرز هذه الخطوات التوصل الى توقيع الهدنة فى كوريا فى يوليو عام ١٩٥٣ (٧٩) .

غير أن هذه المبادرات من القيادة السوفيتية الجديدة قوبلت بالتحفظ بل والشكوك من الولايات المتحدة ، واعتبرتها أنها من قبيل الدعاية واستمرار السياسات القديمة بأسلوب جديد ، وطالبت القيادة الجديدة بأن تثبت حسن نواياها باتخاذ اجراءات شاملة فى مجال نزع السلاح ، والتفتيش على الموقع ، وحق شعوب شرق أوربا فى تقرير مصيرها ، وباختصار طولبت القيادة الجديدة بأن « تنهى حقبة ما فى السياسة السوفيتية » . وهكذا قابلت الادارة الأمريكية وخاصة وزير خارجيتها جون فوستر دالاس هذا التطور السوفيتى بالتشدد وبشعارات مثل « التفاوض من مركز القوة » وبنظريات عسكرية مثل « الانتقام الشامل » .. الخ ، بل ان التشدد الأمريكى قاوم اتجاهات صدرت عن حلفائه الغربيين تحث على الاستجابة « للتطور الصحى » داخل الاتحاد السوفيتى (٨٠) .

غير أن الشك والتردد الأمريكى لم يصمد أمام التغير الذى كان قد بدأ يحدث فى الوضع الاستراتيجى وعلاقات القوى منذ أن توصل الاتحاد السوفيتى لفجير قنبلته الهيدروجنية عام ١٩٥٣ ، ثم توصله الى مرحلة لم يعد فى الامكان تجاهلها مع عام ١٩٥٥ حين بدأ فى تطوير قدراته فى الطائرات العابرة للقارات التى يمكن أن تحمل أسلحة تصل الى المدن الأمريكية ، وبدا هذا بوضوح فى العرض العسكرى الذى أجراه السوفيت

---

(٧٨) — Dallin, David, "Soviet Foreign Policy after Stalin" Philadelfia, 1961, p. 129.

(٧٩) — Mackintoch, Strategy and Tactics of Soviet Foreign Policy" Oxford, 1962, pp. 74-76.

(٨٠) — Dallin, "Soviet Foreign Policy After Stlin" op. cit., p. 129.

فى مايو عام ١٩٥٥ وعرض فيه أعدادا من أحدث القاذفات الطويلة المدى ٠ وقد أثار هذا داخل الولايات المتحدة وبين حلفائها الغربيين احساسا بأن ثمة قواعد جديدة بدت مطلوبة لادارة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وذلك فى ضوء انهيار الاقتصاد الأمريكى النووى وتغير علاقات القوى وانتهاء مرحلة الأمن المطلق Absolute Security ٠ وهكذا توفرت ظروف موضوعية فى مجال من أكثر المجالات خطورة وحسما وهو مجال التسلح النووى ، وهى الظروف التى أقنعت بالحاجة الى لقاء قمة فى محاولة لاحتواء أخطار هذا التسلح وادخال عنصر استقرار فى علاقات الشرق والغرب (٨١) ، ورغم أن قمة جنيف عام ١٩٥٥ لم يصدر عنها نتائج أو اتفاقيات محددة ، الا أن قيمتها كانت أولا فى كسر غياب اتصالات مباشرة على مستوى القمة ، وفى المناخ الذى خلقته ، والتفاهم الضمنى الذى تم التوصل اليه بأن تظل علاقات الشرق والغرب بما فيها من عناصر الصراع والتنافس ضمن حدود معينة وبشكل يحول دون أية مخاطرة خطرة بحرب نووية ، كما وضع اطارا عرف « بروح جنيف » وخلق مناخا معقولا يمكن أن تتطور فى نطاقه الصلات الحكومية والدبلوماسية (٨٢) ٠

ورغم أن هذا المناخ المتحسن قد تراجع أمام بعض التطورات فى مناطق التنافس مثل أحداث المجر عام ١٩٥٦ ، الا أنه للمرة الثانية يتأكد تأثير تطور التكنولوجيا فى مجال التسلح فى توجيه مجرى العلاقات نحو تحقيق قدر من التفاهم والاتصال واعادة التفكير فى مسلمات الحرب الباردة ٠ ففى ٢٧ أغسطس ١٩٥٧ أنهى الاتحاد السوفيتى بنجاح تجربة صاروخ عابر للقارات ICBM أظهر أنه يمكن توجيه صواريخ فى أى مكان فى العالم ، كما وقع تطور آخر عام ١٩٥٧ يؤكد قدرات الاتحاد السوفيتى فى مجال الصواريخ حيث أطلق فى ٤ أكتوبر أول قمر صناعى Sputnik وكانت القراءة المباشرة لهذا التطور ان الاتحاد السوفيتى يمثل نظاما اجتماعيا قادرا على التنفس وقابلا للنمو ويمتلك قاعدة تكنولوجية متقدمة ، وكانت هذه الحقبة جديرة بأن تهز من الثقة الأمريكية وتفوقها التكنولوجى

---

(٨١) — Ambrose, Stephan. "Rize to Globalism. American Foreign Policy, 1938-1990. Benguin books, 1973, p. 242.

(٨٢) — Mackintoch, "Strategy and Tactics ..." op. cit., p. 113.

السوفيتي الى اعادة البحث الأمريكي عن الذات ، واعادة تقدير الافتراضات التي حكمت السياسة الخارجية الأمريكية (٨٣) ، وولد هذا ضغطاً داخل الولايات المتحدة للبحث عن بديل للتهديد الذى أصبح يمثله تنامي قوة التسلح النووي والاستراتيجي السوفيتي ، وكان ذلك وراء تحقق زيارة الزعيم السوفيتي خروتشوف للولايات المتحدة في ١٥ سبتمبر ١٩٥٩ كأول زيارة لزعيم سوفيتي للولايات المتحدة ، وهذه الزيارة التي مهدت لعقد لقاء القمة في باريس ١٩٦٠ وان كان هذا اللقاء قد أجهض في اليوم الأول من انعقاده بفعل حادث الطائرة وأثبت أن طبيعة العلاقات مازالت يتحكم فيها الشك أكثر من الثقة ٠

أما حقبة الستينيات فقد شهدت البداية الحقيقية لذوبان جليد الحرب الباردة أو ما أسماه الرئيس الأمريكي كينيدى بدء تحول التيار (*)٠ فخلالها شرعت القوتان في خطوات جادة وملموسة نحو التحكم في سباق التسلح النووي ، وفي فتح مجالات لعلاقاتهما الثنائية ، بل ربما التوصل الى تفاهم ضمني أن لا تؤثر ارتباطاتهما وتحالفاتهما في المناطق الاقليمية على مجرى العلاقات الجديد ٠ وهكذا رأينا التوصل في عام ١٩٦٣ الى اتفاقية هامة هي اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية ، وسجلت بذلك أول خطواتها الجادة في مجال نزع السلاح ، كما قررت الولايات المتحدة بيع القمح الأمريكي للاتحاد السوفيتي ، وتم انشاء الخط الساخن Hot line لمواجهة اللحظات الحرجة في علاقاتهما٠ورغم ما ثار خلال هذه الحقبة من أزمات اقليمية ترتبط بها القوتان في فيتنام ، والشرق الأوسط ، الا أنها لم تحل دون مواصلة ما بدءاه بمعاهدة الحظر الجزئي والتوصل الى اتفاقية أكثر دلالة وهي اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٨ ٠

---

(٨٣) — Hammond, Paul, "The Cold War Years : American Foreign Policy, since 1945, Harcout, N.Y., 1969, p. 1969; p. 99.

(*) عبر كنيدى عن تفكيره الجديد هذا بشكل بليغ ومؤثر في خطابه الذى ألقاه في الجامعة الأمريكية في يونية ١٩٦٣ دعا فيه الامريكيين أن يفكروا في اطار جديد للمناقشة بينهم وبين السوفيت في ظروف العصر النووي ٠ راجع : السيد أمين شلبي - قراءة جديدة للحرب الباردة ــ دار المعارف ١٩٨٢ ، صفحة ١٦١ ــ ١٦٢ ٠

غير أن هذا التطور الايجابى لم يحدث من فراغ وانما كان نتيجة تجربة صعبة مرت بها القوتان وهى أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ ، وهى الأزمة التى كادت أن تتحول بها الحرب الباردة الى حرب ساخنة ، ونقلت بها معنى الحرب والمواجهة النووية من مستوى التصور الذهنى المجرد الى الواقع والامكانية الملموسة • ولم يقتصر تأثير هذه التجربة الحية على ما دفعت اليه من خطوات ملموسة بل فيما غيرته من التصورات والافتراضات الذهنية عن بعضها البعض •

ومع نهاية الستينيات حقق الاتحاد السوفيتى ما اعتبر أن انجازه التاريخى بالتوصل الى حالة التعادل Parity مع الولايات المتحدة فى مجال الأسلحة الاستراتيجية ، وهو التطور الذى سمح بامكان بدء محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية والتى ظل الاتحاد السوفيتى مترددا فى دخولها حتى يتمكن من تحقيق هذا التقدم • ورغم أن الاتفاق كان قد تم على بدء هذه المحادثات خلال ادارة الرئيس الأمريكى جونسون ، بل وعلى زيارة يقوم بها الى الاتحاد السوفيتى فى أغسطس ١٩٦٨ ، الا أن هذا الترتيب قد تراجع أمام حدث التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا فى ٢ أغسطس ١٩٦٨ ، وتوقفت بسببه الترتيبات الخاصة ببدء محادثات SALT وكذلك زيارة الرئيس الأمريكى جونسون لموسكو •

غير أن مجرى العلاقة الذى بدأ فى أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية ودروسها ، لم يتوقف نهائيا خاصة مع مجىء ادارة جديدة فى الولايات المتحدة برئاسة ريتشارد نيكسون والذى اختار كمستشار للأمن القومى شخصية كانت قد برزت كأحد خبراء الاستراتيجية والتسلح النووى هو هنرى كيسنجر • غير أن ما كان حاسما فى هذه المرحلة هو الظروف الأمريكية والدولية التى رأتها الادارة الأمريكية الجديدة حين جاءت الى الحكم فى يناير عام ١٩٧٠ وتقييمها لكيفية التعامل مع هذه الظروف •

فى هذا الوقت كانت الولايات المتحدة تودع الستينات التى لم تكن فيها الولايات المتحدة فحسب أقوى دولة فى العالم وانما أيضا أكثر جاذبية، حيث كان لها التفوق على القوة العظمى الأخرى فى الأسلحة الاستراتيجية، كما قادت حلفاءها بمهارة فى أزمات مثل برلين • وعلى المستوى الاقتصادى

والانتاجى كانت تنتج تقريبا نصف ثورة العـــالم ، كما كانت معاملها ومختبراتها أكبر مكان للاكتشافات العلمية ، وتتقدم العالم فى مجال التعليم العالى ، ورغم تزايد الصراعات العنصرية فى مجتمعها الا أنها أظهرت مرونة فى تناول هذه الصراعات ٠

غير أنه مع انتهاء هذه الحقبة ومقبل السبعينيات كانت هذه الصورة بدأت تهتز وتفقد عناصرها المؤثرة ، حقيقة أن الولايات المتحدة كانت مازالت أقوى قوة تكنولوجية الا أن مجتمعها فقد جاذبيته ، ولم يعد حلفاؤها ، الذين نموا اقتصاديا يتبعون قيادتها بشكل تلقائى فى كل مجال كما كان الحال من قبل ، بل ان قيادتها السياسية لهم أصبحت موضع شك (٨٤) وما هو أكثر من ذلك أن يتصوره الخصم وهو الاتحاد السوفيتى بدأت تمتلك ترسانة من الأسلحة النووية والصواريخ الطويلة المدى والغواصات، ومن ناحية أخرى ظهرت اليابان على السطح كالدولة الثالثة فى العالم اقتصاديا بل وتبشر أن تصبح الثانية مع نهاية القرن ، كذلك برز العالم الثالث كقوة سياسية ٠ وأضيف الى كل هذا التورط فى فيتنام والتى كانت أول هزيمة للعسكرية الأمريكية وأحدثت اهتزازا فى قيم وتماسك المجتمع الأمريكى ٠ كل هذا خلق حالة من عدم التأكد بل والاحباط والشكوك حول طبيعة القوة التى تمثلها الولايات المتحدة فى عالمها ، التساؤل عما اذا كانت الاستراتيجية الأمريكية فى التعامل مع العالم وصياغته وفقا للمفهـــوم الأمريكى قد سارت بشكل خاطىء (٨٥) ٠

كانت هذه هى المرآة التى رأى فيها نيكسون صورة بلاده وهو يتسلم الحكم فى نهاية الستينات وورث بها أمة غير متأكدة من طريقها سواء فى الداخل أم الخارج ٠ من هنا كان ادراك نيكسون للحاجة الى تقييم جديد للسياســة الأمريكية والذى أسماه « الأصــوات الخفيضــة » ، والمرونة جديدة ، ونقل نقاط التركيز الى الجوانب العملية ، وضرورة انهاء حرب

(٨٤) — Buschan Alstair, "Change without war, The shifting juncture of world peace", The BBC lecture, 1973, p. 21-22.

(٨٥) — Ibid, pp. 49-50.

فيتنام ، وأهم من هذا تحديده لاطار سياسة خارجية تعتمد على المفاوضة بدلا من المواجهة (٨٦) ٠

واذا كانت هذه التغيرات الموضوعية التى جرت على الجانب الأمريكى مع نهاية حقبة الستينيات وبداية السبعينيات سمحت بتغير فى اطـــار التفكير حــول ادارة الشئون الدولية بوجه عام والعلاقة مع القوة العظمى الأخرى بوجه خاص ، فان عناصر التغير على الجانب السوفيتى والحاجة الى سياسات جديدة تبتعد عن المواجهة لم تكن خافية ٠ حقيقة أن القيادة السوفيتية حققت تعادلا فى الميزان الاستراتيجى أعطاها قدرا من الثقة والاطمئنان فيما يتعلق بنظام الأمن ، الا أن السياسة السوفيتية عبر مراحلها المختلفة كانت تحكمها الاعتبارات الداخلية ٠ فى هذا الشأن فان الزعامة السوفيتية كانت يواجهها عدد من الانجازات التى كانت لا تتفق مع مكانة قوة أعظم ٠ ففى الوقت الذى استطـاعت قطاعات الانتـــاج فى الدفاع والتكنولوجيا العسكرية أن تقف موقف المنافس مع الولايات المتحدة ، فقد أصبح واضحا بشكل متزايد أن الاتحاد السوفيتى يواجه صعابا لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بمدى ملاءمة القطاعات المدنية فى نظامها الاقتصادى للثورة الصناعية والعلمية للعصر٠أضف الى هذا أن الاصلاحات الاقتصادية التى أدخلت عام ١٩٦٥ لزيادة الانتاج وتسهيل انتاج تكنولوجيا جديدة فى القطاع المدنى لم تحل الصعاب الاقتصادية السوفيتية ، ولذلك ظهر شبه اجماع داخل القيادة السوفيتية أن نتائج غير مرغوب فيها فى الداخل يمكن أن تترتب على منافسة طويلة فى مجال سباق التسلح بوجه خاص٠وهكذا توفرت مفارقة من ثلاثة وجوه : بروز الاتحاد السوفيتى كقوة عســكرية عالمية ، أن هذه القوة لم يكن لها مغزى سياسى طالما أن القوتين فى مقدورهما الانتقام من الأخرى اذا هاجمتها ، أما الوجه الثالث فهو أن هذه القوة العسكرية لم يكن يوازيها تقدم فى الداخل (٨٧) ٠

---

(٨٦) — Brandon, Henry, "The retreat of American Power", p. 2.

(٨٧) — London, Kurt, (ed.) "The Soviet Impult on World Politics" Haint Home books, N.Y., 1994, pp. 239-240.

وهكذا كانت هذه التطورات في الواقع الداخلي والدولي للقوتين مع بداية السبعينيات وراء المرحلة النوعية الجديدة والتي ستشهد فيما يتعلق بالاتصالات ومضمون الحوار الجديد بينهما في مؤتمرات قمة كان جوهرها هو ترشيد سباق التسلح بينهما وخاصــة في المجال الاستراتيجي وهو ما وضعت قمة موسكو الأولى في مايو ــ يونيو عام ١٩٧٢ أساسه بتوصلها الى اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية التي عرفت بـ Salt 1

ولم تكن أهميــة هذه الاتفاقيات فحسب أنها الأولى من نوعها وانما لأنها كانت تشكل أساس القوة العسكرية كلتا القوتين ومكانتهما كقوى أعظم Superpowers ، وأهم من هذا المبادىء التي ارتكزت عليها وهي : التعادل Parity ، والأمن المتساوى Equal Security (٨٨) ٠

بالاضافة الى هذا الانجاز الذى حققته قمة موسكو الأولى في مجال الاهتمام الرئيسي ، فقد توصلت الى وضع مبادىء و Code of Conducts لكي تهتدى بهما القوتان في ادارة علاقاتهما الدولية٠هذا فضلا عن التوصل الى مجال واسع من الاتفاقات في العلاقات الثنائية في وجوهها المختلفة بلغت من العدد والتنوع ما قيل معه انها فاقت ما تحقق في علاقات البلدين منذ تأسيس علاقاتهما الدبلوماسية عام ١٩٣٣ ٠

وقد واصلت مؤتمرات القمة الثلاثة التالية : واشنطون ، موسكو ، فلاديفوستك هذا الاهتمام المشترك في محــاولة اضافة مضمون جــديد لعلاقاتهما سواء في مجال الحد من التســـلح ، أم في مجال العلاقات الثنائية ٠

هكذا كانت المراحل السابقة التى شــهدت محاولات القوتين منــذ الخمسينيات لبناء علاقات ايجابية بينهما تتجاوز توترات وتنافس الحرب الباردة وتتحكم فيها ، وان هذه المحاولات كما رأينا في كل منهــا كانت مدفوعة ونتيجة لتغيرات موضوعية لم يكن في الامكان تجاهلها في واقع القوتين ، اذا كان الأمر كذلك ، فانه يحق لنا أن نتساءل بشكل أكثر تفصيلا ازاء المرحلة الجديدة التى بدأت في علاقات القوتين منذ منتصف

---

(٨٨) — Maizzon Willrich S.J.B. Rhielnxer, "SALT, the Mo cow Agreements and Beyond" The Free Press, 1974.

الثمانينات عن الدوافع والاعتبارات التي حركت هذه العملية التاريخية وهو ما سنبحثه بشيء من التفصيل على كل من الجانبين السوفيتي والأمريكي :

الاتحـــاد السـوفيتي :

في مارس ١٩٨٥ ، وبعد زعماء ثلاثة تواتروا على القيادة السوفيتية خلال سنوات ثلاث : برجنيف (١٩٦٤ ـ ١٩٨٢) ، وآندربوف (١٩٨٢ ـ ١٩٨٤) وشرنتكو (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) ، وعلى عكس عمرهم ، حيث تجاوز كل منهم السبعين ، والظروف المرضية التي ألمت بهم ، جاء زعيم شاب (٥٤ عاما عندئذ) هو ميخائيل جورباتشوف ليتولى زعامة الحزب ، وقد كان اختياره السريع من جانب زملائه في المكتب السياسي ، ولم يكن أكبرهم سنا ولا مكانة في سلم القيادة ، يعكس تفهما واقتناعا من جانبهم أن الاتحاد السوفيتي يواجه تحديات جديدة تتطلب رجلا ذا رؤية وارادة مختلفة (٨٩) ٠

والواقع أن ادراك هـذه التحـديات كان قد بدأ يتبلور مع مجيء آندربوف من حيث الاحساس بحالة الترهل في الجهاز الحكومي ، وتدهور قيمة العمل وعاداته وادمان الشراب والفساد واللامبالاة ، وانعدام الكفاءة الأمر الذي سبب تدهورا في الانتاج ٠ وكرئيس سابق لجهاز المخابرات أدرك آندربوف مصدر المشكلة وتحرك سريعا لمحاولة اصلاح الأمور ، ولذلك نجـد أن عبـارة آندربوف الرئيسية كانت هي بث النظـــام واستعادته « وجعل البلاد تتحرك من جديد » ، وهو ما دفعه الى طرد أكثر من عشرين وزيرا ونـــائب وزير وأكثر من ٢٠ ـ ٣٠٪ من الرســـميين الحزبيين والحكوميين ٠ وما هو أهم من ذلك تجاه آندربوف الى اعادة تقييم لأساليب دراسة والتعرف على المجتمع السوفيتي فقد ذكر « اننا لم ندرس بشكل كاف المجتمع الذي نعيش فيه ونعمل ، ولم نكتشف بشكل كامل القوانين التي تحكم تطوره وخاصة القوانين الاقتصادية ٠٠ » (٩٠) ٠

---

(٨٩) — Shulman, Marshall, "What kind of relations do we want with the Soviet Union ?" Arms Controle today, Nov. Dec., 1985.

(٩٠) — Goldman, Marshall, "Gorbachev and economic reform" Foreign Affairs. Fall, 1985, pp. 57-73.

في مقال لآندربوف في بداية عـام ١٩٨٣ وفى مجـلة الحـزب كوميونيست ، ركز على الحاجة الى الفهم الدائم لمرحلة التطور التى تمر بها الاشـــتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، وحذر من محاولات القفز على المستوى الراهن للتطور التى تعنى ببساطة أهدافا غير واقعية ، وأصر على أن الاتحاد السوفيتى هو فقط فى بداية مرحلة تاريخية طويلة من التطور الاشتراكى حيث يجب ان لا يكون هناك مبالغة فى اقترابها من الهدف النهائى للشيوعية العالمية ، وحيث يجب أن يكون هناك اعتراف بالصعوبات التى مازالت قائمة · وفى خطاب له أمام اللجنة المركزية فى يونيو عام ١٩٨٣ لاحظ آندربوف أن هنـــاك عناصر من « العزلة عن الواقع » ، والتوقعات التى لا مبرر لها ، واعتبر أن من الضرورات الحيوية التقدم من الوضع القائم فعلا ، وتفادى « الحلول الجاهزة » (٩١) ·

وفى سبيل هذا التقييم الجديد ومحاولة وضعه موضع التطبيق دفع آندربوف الى المقدمة بمجموعة من القادة الشبان الذين أتوا معهم بأفكار جديدة وهى التى ستتمثل وتقوم بجوهر عملية التغيير المقبلة (٩٢) ·

غير أن وفاة آندربوف ، ومجىء زعيم مريض آخر هو شرننكو لم يغير وقتهـا كثيرا من الأمور واعتبر مجيئه مرحلة انتقالية نحـو زعامة جديدة تتولى عملية التغيير المطلوب وهو ما تحقق بعـــد وفـــاة شرننكو وتولى جورباتشـــوف · وينقـــل عن جورباتشـــوف قوله انه حتى قبل مجيئه كسكرتير عام للحزب كان وزملاؤه فى الحزب بدءوا يفحصون أوجه الخطأ فى المجتمع السوفيتى : فى مؤسساته واقتصاده وتركيزه على المقدرات العسكرية ، وقد اكتشفوا كثيرا من جوانب القصور وانهم اختاروا مجموعات من الخبراء للتخطيط للبرامج التى أصبحت تعرف فيما بعـــد وتشـــكل برنامج جورباتوشوف فى اعادة البنـــاء Perestroika ، والعلانية

---

(٩١) White, Stephen, "Gorbatchev and After", Cambridge University Press, 1992, pp. 13-14.

(٩٢) — Doder, Duşko, "Andropov Rushed Renewal into nation" The Washington Post, July 28, 1985.

Glasmost وأن ينظروا نظرة جديدة الى الاحتياجات الدفاعية بل وللعقيدة العسكرية السوفيتية ذاتها (٩٣) ·

أما ما بدا مؤثرا مع تولى جورباتشوف فهو حدة الاحساس بالأزمة ، وتوجهه للمشكلات الرئيسية ، كما كان من الواضح شعوره بأهمية الوقت فى التعامل مع هذه المعضلات وخاصة فى الحقل الاقتصادى ·

وقد كان من الأمور الواضحة فى عملية الفحص الأولى والمباشرة أن اجراءات آندربوف وان كانت قد حققت بعض التحسن فى الانتاج وتزايد فى النمو الاقتصادى ، الا أن هذا كان علاجا على المدى القصير ، ولكنه لم يقدم علاجا أو حلولا لحاجات الاتحاد السوفيتى على المدى الطويل · وقد تبين أنه رغم أن الاتحاد السوفيتى ينتج فى هذه المرحلة مثل انتاج الولايات المتحدة مرتين من الصلب ، ومرتين أو ثلاثا من الانتاج الأمريكى من المعدات ، الا أن احتياجات التقدم السوفيتى على المدى الطويل باتت أكثر تعقيدا من هذا بكثير · فقد بدت مشكلة الاتحاد السوفيتى فى الكيف وليس فى الكم ، وهى المشكلة التى نجمت أساسا عن دخول معظم الدول الرأسمالية تقريبا عصر الثورة الصناعية الثالثة ومكوناتها من : نظم المعلومات والاتصالات المتقدمة ، والالكترونات · وهكذا فان المشكلة بدت تحديدا فى الفجوة العلمية والتكنولوجية ، ولم تكن هذه الفجوة محصورة فقط فى نطاقها العلمى المحدود أو تطبيقاته المباشرة ، وانما فى أبعادها التى تمتد لكل جوانب كيان الاتحاد السوفيتى الاقتصادية والانتاجية والعسكرية وفى نهاية الأمر تتصل بمكانته وموضعه فى سلم القوى الدولية المتقدمة بمعايير الثورة التكنولوجية الجديدة · فأيديولوجيا كانت هذه الفجوة التكنولوجية تفوق الادعاء بان الاشتراكية قادرة على الاحتفاظ دائما بقوة الاندفاع نحو النمو والتقدم ، وهو المعنى الذى قدمه اطلاق القمر الصناعى السوفى Sputnik عام ١٩٥٧ ـ أما اليوم فان الأمر لم يعد مجرد مساواة مع الغرب والولايات المتحدة ، وانما مع أقطار مثل اليابان وكوريا الجنوبية والبرازيل بل وتايوان · وقد أظهرت هذه الفجوة

---

(٩٣) — Sitze, Paul, "Gorbachev's Job may be too big for him, The Washington Post, January 2, 1989.

فيما يتعلق بمواءمة الأسس النظرية للنظام الاقتصادى الاشتراكى أن نموذج النمو القائم على التوسع The Extensive Model of Development والذى اعتمد فى العملية الانتاجية على العناصر التقليدية من عمالة ، ورأس المال ، والأرض ، هذا النموذج لم يعد ملائما للاحتياجات الجديدة المعقدة للاقتصاد السوفيتى وأصبحت الحاجة أكثر الى النموذج القائم على النموذج المكثف The Entensive Model of GroWth

وفى السياسة الخارجية فان الفجوة التكنولوجية وما تحدثه من تراجع اقتصادى بدأت تهز صورة الأحزاب الشيوعية الأوربية ، كما بدا النموذج السوفيتى فى التنمية والتقدم يهتز أمام دول العالم الثالث بعد أن تبنته فى الستينيات وبدأت تعتقد بأنه نموذج غير فعال ٠

ولم يقتصر تاثير هذه الفجوة فقط على المجالات الأيديولوجية أو على صـــورة الاتحاد السوفيتى أمام العالم الخارجى بل هددت جوهر وامكانات العسكرية السوفيتية فى المستقبل خاصة مع الاتجاه الى عـدم استخدام الأسلحة النووية والحاجة الى التركيز على القوات التقليدية ومن ثم الحاجة الى ادخال الأساليب العلمية الحديثة فيها ٠

وقد ضـــاعف من حدة المعضـــلة التكنولوجية أن الدورة الزمنية Life Sycle للتكنولوجيات الحديثة نادرا ما تتجاوز عامين أو ثلاث ، وهذا يعنى أن ما تنتجه يصبح باليا أسرع من أى وقت مضى ٠ فسرعة التجديد التكنولوجى أصبحت أسرع مما كانت عليه من حقبتين أو حقب سابقة حين كان العمر الزمنى يمتد لحقبة أو أكثر (٩٤) ٠

والواقع أن عناصر ومظاهر هذه الفجوة التكنولوجية كانت بادية للقيادة السوفيتية حتى فى عصر برجنيف ، ومراجعة البيانات السوفيتية فى هذه المرحلة نجدها مليئة بالتذكير بأهمية دعم وتطـــوير الجانب التكنولوجى فى التقدم السوفيتى الشامل ، بل وذهبت الى انتقاد مستويات الأداء فى هذا المجال المهم ٠ ومن أكثر الدلالات على هذا التقييم ما كشفت

---

(٩٤) Haugh, Terry, Gorbachev Strategy" Foreign Affairs, fall 1985, pp. 33-55.

عنه شخصية عسكرية مهمة هو المارشال Ogavttov رئيس الأركان السوفيتي في حديث له عام ١٩٨٣ مع شخصية أمريكية من قوله : «... ان أعداد القوات وأسلحتها في ذاتها انما تعني القليل . اننا لا نستطيع أن نجاري نوعية الأسلحة الأمريكية لمدة جيلين . ان القوة العسكرية الحديثة تعتمد على التكنولوجيا والتكنولوجيا تقوم على الكومبيوتر . وفي الولايات المتحدة فان حتى الأطفال يلعبون بالكومبيوتر حتى داخل مدارسهم . ونحن هنا في الاتحاد السوفيتي ليس لدينا كومبيوتر في كل مكتب من مكاتب وزارة الدفاع ولأسباب معروفة لا نستطيع أن نجعل الكومبيوتر متاحا بشكل واسع في المجتمع . اننا لن نستطيع أبدا أن نلحق بكم في الأسلحة الحديثة حتى نحقق ثورة انتصارية والسؤال هو ما اذا كان في الامكان تحقيق ثورة اقتصادية بدون ثورة سياسية » (٩٥) .

الا أن القيادة السوفيتية خلال فترة برجنيف ، وفي المرحلة الانتقالية التي تلتها حتى مجيء جورباتشوف لم تنفذ الى جوهر التحدي الذي تمثله هذه الفجوة ، ولم تفكر وتتأمل أيضا فيما يجب أن يكون الأسلوب الفعال لمواجهة هذه الظاهرة . وربما كان هذا جوهر ما أدركه جورباتشوف من حيث نفاذه الى صميم المعضلة السوفيتية وتقييمه لعناصر القوة الفعلية للثورة الدولية في عالم اليوم الا وهي أنه بدون قاعدة إنتاجية وصناعية وتكنولوجية واسعة ومتقدمة ومسايرة لمستويات الثورة الدفاعية الثالثة ، فانه من الصعب على أية قوة أن تحتفظ لنفسها بمكانتها كقوة عالمية مؤثرة . وربما كان هذا أساس ما أصبح ينظر به الى الوضع السوفيتي واعتباره قوة ذات بعد واحد ، one dimentional وهو البعد العسكري . أما الأبعاد الأخرى الاقتصادية والانتاجية القائمة على تكنولوجيا متقدمة ، فان الاتحاد السوفيتي يبدو كقوة ثانية وربما ثالثة بالنسبة للولايات المتحدة ، والمجموعة الأوروبية واليابان ، وربما قوى أخرى بازغة (٩٦) .

---

(٩٥) — Gelb, Leslie, "The Victory Credits Should be shared" The New York Times, August 21, 1992.

(٩٦) — Dubb, Paul "The Soviet Union, the incomplete super-power", Macmillan Press, Second edition, 1988.

وأيضا : — Haugh, Tenny, "Gorbachev Strategy" op. cit., pp. 33-3

غير أن في تحليل جورباتشوف وفريقه للمعضلة الاقتصادية والتكنولوجية أو بمعنى أدق لما يسمى « الأزمة المادية والروحية » التى خلفها عهد برجنيف ، تبين لهم أنه لا يمكن مواجهتها بأساليب منعزلة أو أو بمعزل عن آليات النظام الأخرى الاقتصادية والسياسية أو باجراءات جزئية كتلك التى اتبعها آندربوف بهدف تحسين نظام العمل ، أما المواجهة الفعالة والشاملة لهذه الأزمة فتتطلب اصلاحا اقتصاديا هيكليا ، أو كما أسماه جورباتشوف في الشهور الأولى من توليه « تحولا عميقا في الاقتصاد » • كذلك اكتشف جورباتشوف منذ البداية أن « الاصلاحات الاقتصادية لن تكون فعالة أبدا بدون اصلاحات سياسية » ، وأن في هذا يكمن الفارق بين ما هو مقبل عليه وبين المحاولات التى سبق للنظام أن قام بها للاصلاح وخاصة في عهد بنكيتا خروتشوف (١٩٥٣ – ١٩٦٤) • وحين سئل آبل أجنيجيان أحد المهندسين الرئيسيين لسياسة الاصلاح الاقتصادى لجورباتشوف عما يمنح الاصلاحات الجديدة فرصة أكثر للنجاح من تجارب سابقة أجاب « انه طابع الشمول الذى تتميز به الاصلاحات الجديدة .فالاختلاف الرئيسي في التجربة الجديدة هو محاولة اشراك كل فرد في عملية اعادة البناء الاقتصادى ، وان هذه الديمقراطية العريضة سوف تضمن عدم الرجوع عن هذه الاصلاحات ، فالاصلاحات المفروضة من أعلى مقضى عليها بالفشل اذا ما استبعدت الجماهير من عملية اتخاذ القرار ، كذلك فان تقدم الاصلاحات يعتمد على تقدم الديمقراطية » •

والواقع ان ما قاله الخبير السوفيتى فصله جورباتشوف في أكثر من مناسبة حول رؤيته لدور الديمقراطية كأحد العوامل الأساسية لتحقيق

• – يروى احد الشخصيات التى قابلت جورباتشوف ضمن وفد من الاكاديميين الأمريكيين أن أثر الأسئلة التى أثارها جورباتشوف وصدر عنه رد فعل قوى لها هو سؤاله حول : بعد عشرين عاما من الآن كيف سيحكم التاريخ على بلدينا ؟ هل من الممكن أن بلدانا أكثر حركة وتهتم أكثر بالاختيارات البعيدة النظر حول مصادرها الاقتصادية الطويلة الاجل سوف يجعل بلدينا يبدوان كأمتين من الديناصورات تمرغ احداهما الاخرى في الرمال • وقد يكونون أقوياء عسكريا ، ولكنهما سيصبحان بلا تأثير بالمعنى الاقتصادى :

Peterssen, Peter : "Gorbachev Bottom line", New York book Review, June, 25, 1985.

اصلاحاته الشاملة • فقد اعتبر أنه كي تتحقق استراتيجيته « فان كل المصادر التى لم تجرب للاشتراكية يجب أن تعبأ » ، وأقل هـذه المصادر استغلالا فى رأيه هو « العامل الانسانى » ، وعنده أن الحزب يجب أن يجرد الشعب السوفيتى من عدم اهتمـامه ، ويقنعه بأن كل مواطن له مصلحة فى نجاح اعادة البناء وهو ما يتطلب بعباراته « بث الديمقراطية العميقة والجادة فى المجتمع والتى ستمكن الشعب من أن يشترك فى اعادة البناء » اننا نحتاج الى الديمقراطية حاجتنا الى الدواء والهواء ، فان لم تفهم هذا فان سياستنا سوف تتبدد وسوف تنهار محاولاتنا فى اعادة البناء » •

غير أنه اذا كانت هذه الأفكار والتصـورات التى صـدرت عن جورباتشوف خلال الشهور والعام الأول لمجيئه للسلطة ، فان اختباره لعناصر الواقع السوفيتى من مركز السلطة قد بلور لديه رؤية أكثر تحديدا لهذا الواقع ولجوانب القصور فيه وأخطائه ، كما تبلورت لديه فى نفس الوقت الأساليب والسياسات المتكاملة لمعالجة الأزمة • فمع عام ١٩٨٧ تبلور فكر جورباتشـوف فيما أسماه « التفكير الجديد » ، وهو التفكير الذى لم يقتصر فقط على الاتحاد السوفيتى وانما على أسلوب النظر الى العالم باعتبار الترابط الوثيق الذى ازداد عن أى وقت مضى بين عناصر وقضايا الواقع الداخلى ، وبين مواقف العالم وعلاقات الاتحاد السوفيتى مع قواه المختلفة •

فى « تفكيره الجديد » ، بدأ جورباتشوف تقييمه للواقع السوفيتى بأن رد بدايات الركود الى منتصف السبعينيات حيث حـدث « شىء ما لا تفسير له لأول وهلة • فقد بدأت البلاد تفقد قوة اندفاعها ، وتكرر الاخفاق الاقتصادى بدرجة أكبر ، وبدأت الصعوبات تتراكم ، والمشكلات التى لا تجد حلا تتضاعف •• وبدأت تظهر فى حياة مجتمعنا عناصر ما سميت بالركود وظواهر أخرى غريبة على الاشتراكية ، تشكل نوعا من « الدولاب الكابح » الذى يؤثر على قيمنا الاجتماعية والاقتصادية وقد حدث كل هذا فى وقت دخلت فيه الثورة العلمية والتكنولوجية آفاقا جديدة للتقدم الاقتصادى والاجتماعى » وهكذا « شهدت الخمسة عشر عاما الأخيرة تدهورا فى معـدلات نمو الدخل القومى لأكثر من النصف ، ومع حلول بدايات الثمانينات اتجهت الى مستوى قريب من الركود الاقتصـادى ،

وبدأ البلد الذى كان يلحق يوما بسرعة ببلدان العالم المتقدم ، يفقد موقعا بعد الآخر · بالاضافة الى ذلك بدأت تتسع ، وفى غير صالحنا ، الفجوة فى كفاءة الانتاج ، وجودة المنتجات ، والتطور العلمى والتكنولوجى وانتاج التكنولوجيا المتقدمة واستخدام تقنياتها » (٩٧) ·

غير أن تصور جورباتشوف لجوانب القصور والتراجع لم يقتصر فقط على الأوضاع الاقتصادية والانتاجية ، وانما امتد الى القيم الأيديولوجية وفى مجتمع اعتبر طوال تجربة استمرت سبعين عاما فى البناء الاشتراكى أن العامل الأيديولوجى محرك أساسى فى حركة التقدم بالقيم التى يبثها فى المجتمع · فى هذا سجل جورباتشوف ظهور ظواهر متناقضة للقيم الأيديولوجية البناءة مثل « تشجيع المديح والخنوع ، واستبعاد التفكير الخلاق ، والانفصال بين القول والعمل ، مما قضى على السلبية وعدم تصديق الشعارات ، وبدأ الفساد يجرى فى الأخلاقيات العامة ، وتزايد ادمان الخمور والمخدرات والجرائم » · ويختتم جورباتشوف وصفه للواقع السوفيتي لكي يدلل على « كم كان الوضع خطيرا ، وكم كان التغيير الشامل ملحا » (٩٧م) ·

واذا كانت هذه هى قراءة واستيعاب جورباتشوف للواقع الداخلى فى الاتحاد السوفيتى ، فان الوضع الدولى للاتحاد السوفيتى مع تسلمه للسلطة كان سلبيا كذلك · فمع نهاية الستينيات وحتى منتصف السبعينيات ، كان الوضع والنفوذ السوفيتى على المسرح الدولى يبدو متصاعدا (٩٨) ، وبدأ وكأن تغيرا نوعيا فى مكانة الاتحاد السوفيتى يتحقق ، وأن علاقات القوى الدولية International Correlation of forces انما تتحول فى صالح الاتحاد السوفيتى · ولم يكن هذا مجرد تصور أو تقدير

---

(٩٧) ميخائيل جورباتشوف ، « البريسترويكا ، تفكير جديد لبلادنا والعالم » ، ترجمة حمدى عبد الجواد ، دار الشروق ، ١٩٨٨ ، ص ١٥ ·

(٩٧ م) مرجع سابق ، ص ٢١ ·

(٩٨) Bialer, Sweryn, "Domestic and International Factors in the formation of Gorbachev reforms" Journal of International Affairs, Spring, 1989, pp. 289-291.

نظرى ، وانما تجسد فى اقرار لقوة الخصم الرئيسية وهى الولايات المتحدة بحالة التعادل Parity فى القوى الاستراتيجية بينهما وبين الاتحاد السوفيتى ، وسجل هذا فى اتفاقيات سولت الأولى التى تم التوصل اليها عام ١٩٧٢ وهدفت الى تنظيم ووضع حدود على السباق فى هذا المستوى الخطير من التسلح ، كما بدا فى البيانات المشتركة التى صاحبت وصدرت عن مؤتمر قمة موسكو عام ١٩٧٢ ٠

كذلك بدت الولايات المتحدة فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينات وهى تدخل عصر الوفاق ، ان لم تكن من موقف ضعف ، فعلى الأقل وهى تحت ضغوط دولية وداخلية ٠ وقد تمثلت هذه الضغوط فى انتقال الاتحاد السوفيتى ـ على المستوى الاستراتيجى ـ الى وضع القمم الأعظم Superpower ، وذلك من خلال توصلها الى حالة التعادل فى الأسلحة النووية والاستراتيجية بتطويرها الصواريخ العابرة للقارات International Missiles وتويرها لصواريخ جديدة مثل : Orbital Missiles ، ثم بناء أسطول بحرى قادر على التواجد عالميا وينهى الوضع الآمن الذى يعطيه المحيط الأطلنطى للاتحاد السوفيتى ٠ كما بدت الولايات المتحدة تعانى من ضغوط وتوترات أول هزيمة عسكرية فى تاريخها فى فيتنام ، وما أحدثه هذا من تفاعلات داخل المجتمع الأمريكى ، كما تضاعفت هذه الضغوط الداخلية بظهور قضية ووترجيت وتأثيرها على النسيج المعنوى للشعب الأمريكى وثقته بذاته وفى قياداته ٠

وأوربيا كان التطور فيها يبعث على الاطمئنان بالنسبة للقيادة السوفيتية فى هذه الحقبة خاصة بعد السياسة التى تبناها المستشار الألمانى ويلى براندت وعرفت باسم Ostpolitik ، وهى السياسة التى أقرت بشكل رسمى حدود ما بعد الحرب الثانية ، وتخلت عن أية دعاوى ألمانية حول تهديد أو تغيير هذه الحدود ، وصحبها اتفاقيات ألمانيا الغربية مع عدد من دول أوربا الشرقية بما فيها ألمانيا الشرقية ٠ وقد مهد هذا التطور لتطور أوسع على المستوى الأوربى وهو عقد مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى والذى كان الاتحاد السوفيتى يدعو له دائما وأراد به أن يصدق نهائيا على أوضاع ما بعد الحرب الثانية الاقليمية ، وقد توجت هذه العملية باتفاقيات هلسنكى The Helsinki Accords عام ١٩٧٥ ٠

ولم توفر ظروف هذه المرحلة أوضاعا ملائمة فقط لتطور واستقرار علاقات الاتحاد السوفيتي بالولايات المتحدة وحلفائها الأوربيين بما كانت تبشر به وتفتحه من علاقات تجارية واقتصادية مفيدة للاقتصاد السوفيتي ، بل بدت وهي تفتح فرصا لاكتساب الاتحاد السوفيتي لمواضع أقدام ونفوذ في عدد من المناطق الاقليمية التي كانت تشكل جزءا رئيسيا في مجال المنافسة الأمريكية السوفيتية . ولهذا رأينا ذلك يشجع على سياسة سوفيتية جريئة ومتقدمة في مناطق مثل الجنوب الأفريقي حيث وضعت ثقلها الى جانب القوى الماركسية في أنجولا وموزمبيق ودعمها بالتأييد العسكري من خلال دولة اشتراكية أخرى هي كوبا ، وتواجده في القرن الأفريقي من خلال تأييده للنظام الأثيوبي الذي تبنى الماركسية اللينينية ، وكذلك في اليمن الجنوبي . ثم في خطوته الأكثر جرأة بتدخله العسكري في أفغانستان ديسمبر ١٩٧٩ .

كان هذا هو وضع الاتحاد السوفيتي الدولي حتى نهاية السبعينيات. وهو وضع بدا مطمئنا لمكانة وطموح دولة أعظم فقط على المستوى الاستراتيجي وامكانات القوة الفعلية وانما كذلك في ترجمة هذه القوة الى نفوذ سياسي دولي وهو ما سنجده ينعكس في قول جروميكو في هذه الفترة أنه من الآن فصاعدا فلن يمكن حل أية مسألة دولية دون أن يكون للاتحاد السوفيتي دور وقول فيها (٩٩) .

على أنه مع نهاية السبعينيات بدأ وضع الاتحاد السوفيتي ومكانته الدولية يتراجع ويتأثر . وللمفارقة فان الاجراء السوفيتي الذي جاء في نهاية سلسلة الأعمال التي أراد بها تأكيد نفوذه ومكانته كان هو بداية هذا التراجع ، ونعني بذلك التدخل العسكري في أفغانستان في ديسمبر ١٩٧٩ . فقد حرك هذا الاجراء كل القوى الدولية تقريبا ضد الاتحاد السوفيتي حتى تلك التي لم تكن على علاقة عداء أو خصومة معه . غير أن أهم ما أتى به هذا الاجراء السوفيتي هو ما أطلقه من قوى محافظة داخل الولايات المتحدة والتي استخدمته لكي تعبىء الطاقات الأمريكية والغربية

---

(٩٩) Bilar, "Domestic and International Factors in the formation of Gorbachev reform", op. cit., pp. 289-291.

أولا لتأكيد مفاهيمها حول الطبيعة التوسعية فى السياسة السوفيتية ، وكذلك لوقف تيار الوفاق واتفاقياته التى اعتبرتها مناقضة للمصالح الأمريكية • وقد ناقشنا بالتفصيل ما أحدثه الغزو السوفيتى لأفغانستان فى السياسة الأمريكية والاجراءات التى اتخذتها ادارة كارتر للرد على هذا الصرف والتحول الذى أحدثته فى السياسة الأمريكية بمجىء ادارة محافظة برئاسة رونالد ريجان •

غير أن ما يعنينا فى هذا السياق هو توضيح ما استخلصه جورباتشوف وما ساهم فى صياغة تفكيره السياسى الجديد ، من أن السياسات الخارجية التى اتبعها الاتحاد السوفيتى فى تحدى الولايات المتحدة والغرب عسكريا ، وتأكيد ذاته فى المناطق الاقليمية وتوسيع ارتباطاته فيها قد أتى برد فعل عكس على المصالح السوفيتية الحقيقية (١٠٠) فعلى المستوى العسكرى أدى نشر الصواريخ السوفيتية S 20 فى أوربا الى قرار الناتو عام ١٩٧٩ بنشر الصواريخ أمريكية برشينج وكروز ، كما أدى الى زيادة القوى العسكرية الأمريكية الأمر الذى تبلور فى برنامجها للدفاع الاستراتيجى SDI والذى مثل تصعيدا خطيرا لسباق التسلح وتحديا جديدا له فى هذا السباق اذا ما صمم على مواجهته ، كما فعل فى تحديات سابقة ، فان هذا يعنى استنزافا جديدا لطاقته وموارده الاقتصادية لم يعد يتحملها • وعلى المستوى الدبلوماسى فشلت الحملة الدبلوماسية والسياسية التى شنها الاتحاد السوفيتى وحاول بها مخاطبة واستنفار المجتمعات الأوربية لمنع تنفيذ نشر الصواريخ الأمريكية وتم تنفيذ هذا القرار فى ديسمبر ١٩٨٣ •

أما ما بدا وقتها وكأنه كسب وتوسيع النفوذ السوفيتى فى مناطق مثل الجنوب الأفريقى ، والقرن الأفريقى ، فقد بدأ يبدو باعتبار ما ألقاه من ضغوط على الامكانات والموارد الاقتصادية السوفيتية ، ودون أن يترجم الى كسب سياسى ملموس (١٠١) ، وأهم من هذا فقد ساهم فى

---

(١٠٠) Thinking end the Third World Conflicts" Transcation Publishers London, 1990, pp. 5, 6, 14.

(١٠١) — The Christian Science Monitor, 18, 1986. Time, Sept. 1985.

توتر علاقاته الشاملة مع الولايات المتحدة ونفى الجوانب الايجابية التى كانت قد تحققت خلال حقبة السبعينيات ٠

كذلك كان الوضع فى منطقة الاهتمام السوفيتى المباشر ونطاق أمنه وهى منطقة شرق أوربا تتحرك فيها القلاقل من جديد بأحداث بولندا ان بدأت مرحلة جديدة عام ١٩٨٠ وحيث بدأ حكم الطبقة العاملة يهاجم من صفوف الطبقة العاملة نفسها بظهور منظمة تضامن العمالية ، ولم يكن يبدو أن الأمر قاصر على بولندا بل كان ينبىء بامكانات تجدد عدم الاستقرار فى باقى أقطار الكتلة الاشتراكية ٠

هذه الرؤية للواقع الداخلى السوفيتى ومؤسساته والأخطار التى ينذر بها ، وكذلك التراجع فى الوضع الدولى السوفيتى ، دفعت الى اعادة تقييم أساسى لمقومات الأمن السوفيتى ومفاهيمه التقليدية ، كما فرضت بشكل متزايد أن تخضع السياسة الحالية السوفيتية للضرورات الداخلية واعتباراتها (١٠٢) ٠

من هنا كان التحول الذى أحدثه جورباتشوف فى عدد من المفاهيم الراسخة التى وجهت وحكمت السياسة الخارجية السوفيتية وتوجهاتها الأيديولوجيـــة ٠

وقد كان الاطار العام الذى أعاد فيه جورباتشوف صياغة مفاهيم السياسة الخارجية والأمن السوفيتى هو أن برامجه فى اعادة البناء فى الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن تتم بشكل سليم ومستقر الا فى بيئة دولية واقليمية سلمية تخلو من مجابهات وتوترات الحرب الباردة ، وشكوكها وانعدام الثقة بين القوى الدولية الرئيسية ويفرض قيودا على امكانات التعاون الدولى فى عالم اعتبر جورباتشوف أن الاقتصاد العالمى فيه أصبح كيانا واحدا single Orgamion ، لا تستطيع دولة خارجة أن تتطور بشكل طبيعى بغض النظر عن النظام الاجتماعى الذى تنتمى اليه ،

---

(١٠٢) Time. Sept. 1985.

ـ راجع حديث جورباتشوف الى مجلة تايم الأمريكية والذى أكد فيه بشدة على ارتباط اتجاهاته السياسية باعتبارات السياسة الداخلية واصلاحاته فيها :

وأهم من هذا تخلو من سباق التسلح بأعبائه الباهظة ، وكذلك من التوترات والصراعات الاقليمية التى أثبتت انها تسمم علاقات الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة ، وتفرض فى نفس الوقت أعباء لم يعد فى قدرة الاتحاد السوفيتى المادية تحملها (١٠٣) ٠

ولكى يساعد جورباتشوف على خلق مثل هذه البيئة الدولية الصالحة لبرنامجه فى اعادة البناء ، اتجه الى اعادة النظر فى عدد من المفاهيم السياسية الخارجية السوفيتية واصطناعة لمفاهيم بديلة تستجيب لظروف الاتحاد السوفيتى والعالم المتغيرة ٠ وعلى هذا كان من أبرز المفاهيم التقليدية التى تعرضت لاعادة التقييم هى : ـ

١ ـ مفهوم الحرب الطبقية ٠

٢ ـ مفهوم الأمن ٠

٣ ـ العلاقات مع دول العالم الثالث ٠

غير أنه قبل أن نعالج بشىء من التفصيل عملية اعادة التقييم والنظر التى أجراها جورباتشوف فى هذه المفاهيم بمضمونها الذى ظل يوجه السياسة الخارجية السوفيتية منذ ظهور النظام السوفيتى تقريبا ، فانه من المهم أن نشير الى الاطار العام لعملية اعادة تقييم هذه المفاهيم الرئيسية ٠ فقد بدأ جورباتشوف ورفاقه وهم على وعلى كامل بأن السياسات الخارجية والأمن القومى انما تبدأ من الداخل ، وأن آمال الاتحاد السوفيتى الدولية تعتمد على مصادر داخلية لكى تمنحها التأييد ، وعلى حيوية الوضع الداخلى وأثره الحاسم على فاعلية السياسة الخارجية ٠ وفى هذا بدأ جورباتشوف فى تأييده لهذه العلاقة وتركيزه على الوضع الداخلى ، بدا بالنسبة لبعض شراحه عندما شرع فى تطبيق برامجه مختلفا عن أسلافه ، فبينما كان خروتشوف مغامرا حاول أن يحقق النجاح فى السياسة الخارجية بثمن رخيص ، وبالمغامرة الخارجية لتعديل موازين القوى بتحركات مفاجئة دون اعتماد على أساس حتى فى الحقل العسكرى ـ

---

(١٠٣) Simes, Dimitri, "Gorbachev, A new Foreign Policy Foreign Affairs, p. 477.

وضعه للصواريخ فى كوبا ـ ، ورغم أن برجنيف كان أكثر حرصا وحاول أن يفعل هذا على أساس من تحقيق التوازن الاستراتيجى مع الولايات المتحدة ، الا أنه أغفل القوة الداخلية وتركها تسير فى طريق الركود والتدهور الى درجة أصبحت لا تكفى لتأييد طموح الاتحاد السوفيتى الدولى (١٠٤) ٠

اتصالا بذلك أيضا فقد وجد عدد من المحليين أن الفكر السوفيتى الجديد فى مراجعته لعدد من المفاهيم وخاصة تلك المتصلة بعلاقات القوى فى العالم ، يكاد يشبه المرحلة التى مرت بها السياسة الأمريكية فى أوائل السبعينيات ٠ وفى عهود نيكسون وفورد وكارتر والتى أدركوا معها أن تغييرا يجرى فى علاقات القوى فى العالم خاصة فيما يتصل بتغير وضع الهيمنة الذى كان للولايات المتحدة فى أعقاب الحرب الثانية مباشرة ، وكان تقديرهم لهذه الأوضاع الدولية الجديدة بما فيها ظهور قوى دولية جديدة وتأثيرها على مكانة أمريكا ، هى التى أخضعت مفاهيم الولايات المتحدة عن نفسها للتقييم النقدى وكانت وراء بدء عملية الوفاق التى شرع فيها نيكسون مع أوائل السبعينيات ٠ غير أن برجنيف الذى كان وادارته منذ مجيئه فى أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية مهموما لبناء القوة العسكرية السوفيتية وتحقيق « التعادل » مع الولايات المتحدة والغرب مجتمعين ، بدلا من أن يدرك هذا التحول وعلى أنه يقدم فرصة جديدة للاتحاد السوفيتى فى خفض التسلح فقد شرع فى عملية بناء وعرض القوة العسكرية السوفيتية وذلك من خلال (أ) نشر صواريخ SS 20 فى أوروبا (ب) بناء قوة بحرية قادرة على التدخل فى أى مكان (جـ) الاحتفاظ بالتفوق فى الأسلحة التقليدية فى وسط أوروبا ٠ وقد كانت هذه السياسة بشكل خاص هى التى خصصت لنقد جورباتشوف حيث رأى أنها سمحت لنفسها أن تستدرج للأساليب القديمة لسباق التسلح ، والمبالغة فى تصوير امكانيات القوة العسكرية ، وسوء تقدير قيمة الوسائل السياسية (١٠٥)٠

---

(١٠٤) — Sweryn Bialer & Michel Mandelbaud, (eds.), "Gorbachev Russia and American Foreign Policy" Westview Press, 1988, p. 457-8.

(١٠٥) Mlynar, Zdenk, "Can Gorbachev Change The Soviet Union ?", Westview Press. 1990, p. 116.

المفهوم الجديد للحرب الطبقية :

كان من أهــــم المفــاهيم التى تعرضت لاعادة التقييم وفقــا للتفكير السوفيتى الجديد مفهوم الصراع الطبقى · فعلى نقيض ماركس ، لم يعد التفكير الجديد ينظر أو يتوقع انحدار الرأسمالية فى المستقبل القريب ، كما ليس على الاشــتراكية أن تسرع بتحقيق هــذا الانحدار ، فكما عبر جورباتشوف فى مؤتمر الحزب ٢٧ « فان رأسمالية اليوم تختلف فى نواح كثيرة عما كانت عليه حتى فى منتصف القرن العشرين » وأضـــاف « ان المواجهة ليست أمرا كامنا فى علاقاتنا ، على العكس أنها تمثل وضعا لها ولا تستبعد النمو الممكن لاقتصـــادها وسيادة الاتجاهـــات العلمية والتكنولوجية الجديدة ·· ان وضع الرأسمالية اليوم يسمح بدعم مواقع اقتصادية وعسكرية وسياسية محددة ، بل وحتى استعادة ما فقدته من قبل · ان المصالح المشتركة والمعقدة الراهنة بين مراكز القوة الثلاثة : الولايات المتحدة ، وأوربا الغربيـــة ، واليـــابان من الصـــعب توقـــع انكسارها » (١٠٦) ·

أما النقطة الثانية التى انفصل فيها التفكير الجديد عن الفكر الماركسى فهى رفضه فكرة تفوق الاشتراكية « اننا أبعد من أن نعتبر أسلوبنا هو الأسلوب الوحيد الصحيح ·· اننا لا نمتلك حلولا عالمية » ·

وقد رفض جورباتشوف القول بأن الصراع هو قانون النظام الدولى ، « ان المواجهة ليست أمرا كامنا فى علاقاتنا ، على العكس أنهـــا تمثل وضعا شاذا Anomaly ، واستمرارها ليس على الاطلاق أمرا حتميا » · ولم يعد يرى التفكير الجديد فى التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية هو التناقض الرئيسى فى العالم المعاصر ولكن هذا التناقض يتمثل اليوم بين الحرب والسلام (١٠٧) ·

---

(١٠٦) تقرير جورباتشوف أمام اللجنة المركزية للمؤتمر ٢٧ للحزب ، موســكو ، نوفستى ، ١٩٨٦ ·

(١٠٧) Mcnamara, Robert, "out of the Cold War", Bloomsbury, 1990 pp. 28, 29, 32, 35.

وهكذا ، وكما عبر ادوارد شيفرنادزا ، فان عنصر الأيديولوجية « كان دائما عاملا عاق دائما تطور العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب في مجموعه ، وكانت أولوية النظرية القائلة بأن الصراع الأيديولوجي بين النظامين الاجتماعيين هو أمر حتمي ، يعيق التوصل لأي اتفاق أو أية محاولة لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ٠٠ وفي فترة الوفاق في بداية السبعينات كان على أيديولوجيي الحزب أن يبحثوا كيف يصالحون بين العلاقات المتحسنة مع الولايات المتحدة وبين العقائد القديمة ، وكما كان الحال في الماضي ، كانت العقيدة تنتصر ، وينتهي الأيديولوجيون الى أنه في أوقات العلاقات المتحسنة ، فان الصراع الأ يديولوجي يجب ألا يخمد على العكس فانه يجب أن يتكثف » (١٠٨) ٠

أما جورباتشوف فقد جاء ليدعو الى تحرير المواقف السياسية والعلاقات الدولية من التعصب الأيديولوجي والى أنه « لا ينبغي نقل الخلافات الأيديولوجية الى مجال العلاقات بين الدول ، لأن الأيديولوجيات يمكن أن تتباعد ، بينما تبقى المصلحة في البقاء وتجنب الحرب مصلحة عالمية وسامية » ٠وهكذا أراد جورباتشوف أن يستبدل الصراع الطبقي وقيوده التي يفرضها على علاقات الدول بمبدأ المصالح العالمية ، والقيم البشرية المشتركة ، والتعاون الدولي ، وصاغ هذا بما أسماه الاعتماد المتبادل Interdependance وتكامل العالم ، والذي يفرضه ظهور « قضايا عالمية » Global issues ، ملحة مثل قضايا المحافظة على الطبيعة ، والوضع الحرج والمهدد في البيئة ، وتلوث الجو والمحيطات ، والأمراض الجديدة ، والمجاعات والفقر ، واستكشاف الفضاء الخارجي ، وجميعها في نظر جورباتشوف قضايا لا يمكن معالجتها بشكل فعال من خلال جهود قوة واحدة مهما بلغت امكاناتها ، وانما يجب أن تتكاتف معه جهود وتعاون دول العالم ، وهو أمر يجب أن تستبعد معه الحساسيات والاعتبارات الزائفة للمكانة (١٠٩) ٠

---

(١٠٨) Shevardnadze, Edward, "The future belongs to freedom" Sinclair-Stevenson, 1991, p 84.

(١٠٩) انظر : — Gorbachev, "Prestroika ..." op. cit., p. 137.

وفى هذا يقول جورباتشوف أيضا : « ان أمم العالم اليوم تعتمد على بعضها البعض مثل متسلقى الجبال الذين يربطهم حبل واحد ، فاما أن يتسلقوا معا الى القمة ، أو أن يقعوا فى الهاوية » (١١٠) ويقود مفهوم الاعتماد المتبادل جورباتشوف الى رفضه لمفهوم Zero sum game ، والذى ساد علاقات القوتين خلال الحرب الباردة وبمقتضاه اعتبرت كل منهما أى ضرر يحيق بالأخرى هو كسب لها ، فيقول : « فى الماضى كذلك تعتبر أن ما هو أسوأ لخصمنا هو أفضل لنا والعكس ، ولكن اليوم ، فان هذا لم يعد صحيحا ••• ان سوء الوضع فى أوربا الرأسمالية أن يكون مساعدا لنا فى الجانب الاشتراكى » (١١١) •

مفهوم الأمن القومى :

كان المفهوم التقليدى للأمن القومى يقع فى قلب السياسات الداخلية والخارجية السوفيتية ، وهو المفهوم الذى وضعه وصاغه ستالين بوجه خاص ، واستمد عناصره من مفهوم الحصار الرأسمالى (١١٢) وحروب التدخل التى تعرض لها النظام السوفيتى عند نشوئه ، فضلا عن التجربة التاريخية الروسية من الحروب النابليونية ، والألمانية فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وهكذا صاغ ستالين مفهوم الأمن القومى السوفيتى الذى يتحصن ببناء القوة العسكرية ، وبضمان نظم حليفة تمثل الحزام الأمنى للاتحاد السوفيتى ، ورغم أن النظرية العسكرية السوفيتية كانت تعتبر الحرب أمرا غير مرغوب فيه كلية Totally undesirable ، الا أنها كانت تعتبرها فى التحليل الأخير ممكنة ، ويمكن كسبها وأن المعسكر الاشتراكى سيخرج منها منتصرا (١١٣) •

غير أن جورباتشوف جاء لكى يوجه سؤالا أساسيا يناقش به مفهوم الأمن القومى فيتساءل عما يشكل هذا المفهوم وعما يضمن حقا الأمن القومى

---

(١١٠) — Macnamara, "out of the Cold War", op. cit., p. 59.

(١١١) — Gorbachev, "Prestroika ..." Op. Cit., p. 143.

(١١٢) "Gorbachev, Russia" op. cit., p. 461.

(١١٣) — Simes, Dimitri, "Gorbachev : A new Foreign Policy ? op. cit., p.

السوفيتى فى القرن العشرين ، وقد أجاب جورباتشوف على هذا السؤال بأن (أ) القوة العسكرية وحدها ليست هى الضمان للأمن القومى (ب) أنه لا يمكن تحقيق أمن بلد ما على حساب أمن بلد آخر ٠

وفى العنصر الأول اعتبر جورباتشوف أن القوة الاقتصادية ، وتحديث الاقتصاد السوفيتى هو أحد الأسس الرئيسية للأمن القومى السوفيتى ، وقاده هذا ، كما سبق أن أشرنا ، الى انتقاد سياسة برجنيف فى التركيز على البناء العسكرى فكلما ذكر فى مؤتمر الحزب التاسع عشر فى يونيو - يوليو ١٩٨٨ ، « فى الوقت الذى ركزنا فيه بشكل واضح كل اهتمامنا على الجانب العسكرى فى مواجهة الامبريالية ٠٠ فقد سمحنا لأنفسنا لأن نستدرج فى سباق التسلح الذى لابد أن يؤثر على تطورنا الاجتماعى والصناعى ووضعنا الدولى ٠٠٠ » (١١٤) ٠

كذلك انتقد جورباتشوف مفهوم التعادل Parity ومفهوم الأمن المتساوى Equal security ، وهى المفاهيم التى حكمت الاستراتيجية العسكرية والأمنية السوفيتية وبشكل خاص فى عصر برجنيف ، فقد اعتقد جورباتشوف أن مفهوم الأمن المتساوى هو مفهوم خطر بالنسبة للجانبين « فاستمرار السباق فى الأسلحة النووية يزيد بالضرورة هذا الخطر المشترك ويمكن أن يصل الى نقطة يصبح فيها التعادل نفسه عاملا غير صالح لضبط النفس العسكرى والسياسى فالحقيقة أن سباق التسلح له ديناميكيته ، ذلك أنه رغم التعادل ، يمكن أن يفلت من سيطرة المشتركين فيه » (١١٥) ٠ وهكذا كان فى اعتقاد جورباتشوف أن ليس هناك دولة واحدة تستطيع أن تضمن استمرار تفوقها العسكرى ، ذلك أن اندفاعها فى البناء العسكرى سوف يدفع حتما القوة الأخرى لمجاراتها ، والشعور بالأمن لدى احداها سوف يولد شعورا بعدم الأمن لدى الأخرى ، الأمن الذى سيدفعها الى بناء القوة العسكرية ، ولذلك تستمر السلسلة المستمرة من بناء التسلح ٠

---

(١١٤) — Jirivalents & Frank Cibulka, (eds.) "Gorbachev's New Thinking and the Third World conflicts" op. cit., p. 6.

(١١٥) — Zdenek Mlyor, "Can Gorbachev Chang the Soviet Union op. cit., p. 121.

ويستبدل جورباتشوف مفهوم الأمن المطلق ، أو الأمن المتساوى ، أو التعادل ، بمفهوم الكفاية العسكرية Reasonable defense sufficiency وهذا المفهوم عند جورباتشوف يعنى درجة أقل من مفهوم التعادل ، وهو يعنى عمليا أن على الاتحاد السوفيتى أن يتعامل مع Cope with لا أن يلاحق Keep up with ، أو أن يقلد كل انجاز عسكرى أمريكى مثل مبادرة الدفاع الاستراتيجية ، وبدلا من هذا فسيكون من الأفضل اذا ما استخدم الاتحاد السوفيتى الوسائل الأرخص والأبسط لكى يحبط الأسلحة الأمريكية ، وفى المجال الاستراتيجى ، فان المفهوم الجديد يعنى أن ينهى الاتحاد السوفيتى السعى لبناء ترسانة عسكرية يهدف التفوق overmatch على الولايات المتحدة فى كل درجة من درجات سلم التصعيد النووى بما فى ذلك بناء قوة هدفها فى النهاية تحطيم الأسلحة النووية للجانب الآخر (١١٦) .

التفكير الجديد والعالم الثالث

كان التحول الذى أحدثه جورباتشوف فى سياسة الاتحاد السوفيتى فى بلدان العالم الثالث وحول قضاياه وصراعاته الاقليمية ، جزءا متكاملا من التفكير السياسى الجديد ، وامتدادا وتطبيقا لمفاهيمه وأهدافه العريضة ، وربما كان عاملا أساسيا لوضع هذه المفاهيم موضع التنفيذ الأمر الذى جعل البعض يعتبر أنه ليس من المبالغة القول بأن « المفتاح » الى النظام الدولى الجديد يكمن فى علاقات الاتحاد السوفيتى مع بلدان العالم الثالث (١١٧) .

فاذا كان من المفاهيم الأساسية للتفكير السوفيتى الجديد وأهدافه هو انهاء المواجهة مع الولايات المتحدة فى الغرب ، واعادة النظر فى المفاهيم التقليدية للقوة العسكرية والأمن القومى ، واحياء الاقتصاد السوفيتى ،

---

(١١٦) — Legnold, Robert, "The Revolution in Soviet Foreign Policy", statement before the Senate-Foreign Relations Committee, 12 Abril, 1989.

(١١٧) — Light, Margat, "Soviet New Thinking, Soviet Policy in the Third World" International Affairs, April 1991, p. 264.

وعدم اخضاع السياسة الخارجية للاعتبارات الأيديولوجية ، فان هذا كان يعنى عمليا تناولا جديدا للسياسة السوفيتية وارتباطاتها فى مناطق العالم الثالث وبشكل يختلف جوهريا ــ أو هكذا تطورت ــ عن السياسات التى سادت خلال مرحلة الحرب الباردة ، والتنافس على النفوذ والمكانة الاستراتيجية والأيديولوجية مع الولايات المتحدة ٠

وعلى هذا فقد أدى هذا التناول الجديد بجورباتشوف وتفكيره السياسى الجديد الى أن ينظر الى علاقات الاتحاد السوفيتى كما ورثها عن العهود السوفيتية السابقة من ثلاث زوايا :

١ ــ زاوية تأثيرها على العلاقات الأمريكية السوفيتية بمعناها الشامل ٠

٢ ــ تأثيرها على الاقتصاد والموارد السوفيتية وخاصة فى ضوء الأزمة الاقتصادية وحالة الاقتصاد والانتاج والموارد السوفيتية كما وجدها عند مجيئه للسلطة ٠

٣ ــ توجيه الاعتبارات الأيديولوجية للسياسات السوفيتية والعالم الثالث وهو الأمر الذى يريد تصفيته ليس فقط تجاه العالم الثالث وانما فى مجمل السياسة الخارجية السوفيتية (١١٨) ٠

ففيما يتعلق بالزاوية الأولى ، فان سياسة جورباتشوف فى العالم الثالث سوف تنبع من مفهومه الاستراتيجى العريض والذى لم يعد مهتما بمنافسة أو مواجهة الولايات المتحدة عالميا ، فاذا كان المفهوم القديم كان يرى فى الوجود السياسى والمادى السوفيتى فى العالم الثالث قاعدة له فى أية مواجهة عالمية مقبلة مع الولايات المتحدة ، فان تفكير جورباتشوف الجديد لم يعد يحتاج لذلك لأنه يتجه الى تصفية المواجهة من أساسها بل وخلق علاقات تعاون متبادل ومشاركة بدلا منها ٠

---

(١١٨) — Jiri Valenta & Frank Cibulka, "Gorbachev's New Thinking and the Third World Conflict (eds), Transaction Public, 1990, p. 36.

وسوف تظهر بيـــانات جورباتشوف وزملائه ، وكتابات المؤرخين والمحليين السوفييت فى مرحلته تصورهم أن سياسة موسكو وارتباطاتها فى العالم الثالث قد عاقت تحسن العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب ، وأفسدت تطورات ايجابية وقعت فيها • وقد فصلت الكتابات والتحليلات السوفيتية فى عهد جورباتشوف هذا الفهم فاعتبرت « أن سياسة موسكو فى العالم الثالث قد قوضت الأمن السوفيتى ، وأثارت وحركت تكوين تحالفات مضادة ومنافسة لمواجهة التوسع السوفيتى ، كما خلقت الانطباع بأن الاتحاد السوفيتى هو قوة خطرة تسعى لتصفية العالم البرجوازى واقامة الشيوعية العالمية » • كما اتهمت هذه التحليلات برجنيف بأنه بدد الفرصة التى ظهرت بالتعادل الاستراتيجى مع الولايات المتحدة •

كما كتب محلل آخر « ان ارتباط موسكو المبـاشر وغير المبـاشر بالصراعات الاقليمية قد أدى الى خسائر ضخمة بزيادة التوتر الدولى ، وتجديد سـباق التسـلح واعاقة اقامة روابـط ذات نفع متبـادل مع الغرب » (١١٩) •

وتساءل معلق آخر « هل كان هذا التصاعد الحاد فى التوتر فى العلاقات السوفيتية الغربية فى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من الممكن تفاديه ؟ بالتأكيد نعم • لقد كانت الأزمة كامنة أساسا فى سوء تقدير وعدم كفاءة قيادة برجنيف فى حل أهداف السياسة الخارجية • ورغم أننـا كنا متورطين سياسيا وعسكريا ودبلوماسيا فى الصراعـات الاقليمية ، الا أننا قد تجاهلنا تأثيرها على تخفيف التوتر الدولى بين الاتحاد السوفيتى والغرب وعلى مجموع نظام العلاقات » (١٢٠) •

أما فيما يتعلق بتقرير جورباتشوف للعبء الذى تفرضه سياسات الاتحاد السوفيتى والعالم الثالث على الاقتصاد والموارد السوفيتية ، فقد بدأ هذا بالاعلان وللمرة الأولى عن ديون العالم الثالث تجاه الاتحاد السوفيتى

---

(١١٩) — Goodman, Melvin, "Gorbachev's Retreat, the Third World" Praeyer, 1941, p. 18.

(١٢٠) — Jiri Valenta & Frank Cibulka, "Gorbachev's New Thinking and the Third World" op. cit., p. 14.

والتى قدرت بـ ٨٥ بليون روبل ٠ كما بدأت التقديرات تظهر عن ما يتكلفه وينفقه الاتحاد السوفيتى فى المناطق والدول التى له معها علاقات خاصة فى العالم الثالث ، وكانت هذه التقديرات على النحو الآتى : كوبا من ٤ ــ ٥ بلايين روبل سنويا (بما فيها نفقات قواتها فى أنجولا) ، نيكاراجوا من ٦٠٠ ــ ٨٠٠ مليون سنويا ، أثيوبيا وموزمبيق : ٣٠٠ بليون سنويا ، أفغانستان : ٣٠٠ ــ ٤٠٠ مليون سنويا (١٢١) ٠

لذلك بدأ مساعدو جورباتشوف الاقتصاديون يبلغون الهيئات التشريعية السوفيتية : مجلس السوفيت الأعلى ، ومجلس نواب الشعب ، ضرورة خفض المساعدات لدول العالم الثالث لموازنة الميزانية السوفيتية ، وتلبية الاحتياجات الاستهلاكية للشعب السوفيتى ٠ وفى اشارات لها معناها حول المساعدات السوفيتية لكوبا ذكر « أنه فيما يتعلق ببعض المؤشرات الاجتماعية » مثل مستويات العمر ، ووفيات الأطفال ، فان كوبا أفضل من مناطق فى الاتحاد السوفيتى » (١٢٢) ٠

وبناء على هذه التقديرات نرى جورباتشوف يعلن أن المساعدات السوفيتية الخارجية سوف يعاد النظر فيها لكى تأخذ فى الاعتبار « القدرات الحقيقية لبلدنا » (١٢٣) ، كما نجد وزير الخارجية شيفرنادزا يقول : « ان السياسة الخارجية فى المستقبل بما فيها العالم الثالث ، سوف تتشكل أكثر بمقتضى « المصالح الوطنية » ، أكثر منها بالاعتبارات الأيديولوجية ، وحتى معيار الحساب والتكلفة يمكن أن يطبق لتحديد أولويات السياسة الخارجية » ، كما عبر عام ١٩٨٧ « ان أهم شىء هو أن تتحمل البلد أقل قدر ممكن من النفقات الاضافية اتصالا بمصالحها المشروعة ، وأن ندعم ربحية سياستنا الخارجية ، وأن نصل الى وضع تفرض فيه علاقاتنا المتبادلة مع الدول الأخرى أقل قدر ممكن من الأعباء » (١٢٤) ٠

---

(١٢١) — Crobnei brian, "The Gorbachev Phenomenon" The Cambridge Pre s, London, 1990, p. 30-31.

(١٢٢) — Goodman, "Gorbachev's Retreat the Third World op. Cit., p. 174.

(١٢٣) — Ibid.

(١٢٤) — "Gorbachev's New Thinking, and The Third World Conflict, op. cit., p. 24.

هكذا تصور جورباتشوف ارتباطات الاتحاد السوفيتي مع دول العالم الثالث وما تمثله من أعباء وقيود سواء على مصالحه الشاملة ، أو على الاقتصاد السوفيتي وامكاناته • والواقع أن هذه التقديرات قد ضاعف منها تقديرات مصاحبة لعناصر أخرى من علاقات الاتحاد السوفيتي مع بلدان العالم الثالث ، وحول حقيقة ما حققته هذه العلاقات والاستثمارات التي وضعتها السياسة السوفيتية في هذه المناطق ، وكذلك حول التطور الذاتي لدول العالم الثالث ، ومدى كفاءة وفعالية نظم الحكم فيها • والواقع أيضا أن مثل هذه التقديرات كانت تجرى قبل مجيء جورباتشوف وخلال عهد برجنيف على أيدي الخبراء المتخصصين في العالم الثالث حيث بدءوا يستخلصون من دراساتهم ومتابعاتهم لأوضاعه وتطوراته خاصة خلال السبعينيات والثمانينيات أن دولة ليست قوة ثورية مهمة ، وأن بعضها وان كان قد اختار الاشتراكية الا أن البعض الآخر قد اختار الرأسمالية ، وأن الجميع يجب أن يتركوا ليختاروا بأنفسهم وأن الاتحاد السوفيتي بعد ذلك يجب ألا يعطي مثل هذه الأهمية لدعم الاشتراكية في هذه الدول وخاصة بالوسائل العسكرية (١٢٥) •

واذا كان برجنيف وعهده قد تجاهل ما استخلصه هؤلاء الخبراء ، بل وعمل بعكسه ، فان آراءهم بدأ يصغى اليها باهتمام بعد مجيء جورباتشوف ، وبدأ تفكيره السياسي الجديد يؤكد على الطبيعة العالمية لمشكلات الدول النامية ، وتعقدها وصفاتها وخصائصها المحددة ، والاختلافات بين مجتمعاتها ومجتمعات العالم الرأسمالي والاشتراكي كذلك •

كما ذهب المحللون للسياسة السوفيتية في العالم الثالث يتساءلون حول ما حققته الاستثمارات العسكرية والاقتصادية السوفيتية فيها على مدى العشرين عاما ، واعتبروا أنها لم تترجم الى نفوذ سياسي وأشاروا الى أن دولا مثل كوبا وسوريا وفيتنام رغم اعتمادها كلية على المساعدة العسكرية والاقتصادية السوفيتية ، الا أنها في كثير من المواقف اتبعت سياسات محرجة للاتحاد السوفيتي وخلقت له مشاكل اقليمية (١٢٦) •

---

(١٢٥) انظر هذا البحث : — Ibid, p. 68.

(١٢٦) — Goodman, "Gorbachev's Retreat ...", op. cit., p. 76.

كذلك ذهب عدد من المحللين السوفيت في عهد جورباتشوف الى القول صراحة ان النموذج السوفيتى لم يعد يجتذب دول العالم الثالث وقال أحدهم ان الكتاب الغربيين يستطيعون الآن وبنجاح أن يقنعوا العالم الثالث أن النظام الاقتصادى الاشتراكى هو أدنى من النظام الرأسمالى ، وانه اذا كانت المساعدات الاقتصادية السوفيتية والعسكرية قد حققت نتائج ولبت احتياجات في مرحلة النضال من أجل السلطة فى هذه البلدان ، الا أن هذه الدول الآن بدت تتجه نحو الغرب ... » (١٢٧) .

أما عن أداء النظم فى العالم الثالث وحتى تلك التى تبنت كلية النموذج الماركسى ، فقد اتهمها هؤلاء الكتاب بأنها تعانى « من سوء الادارة الاقتصادية ، وانخفاض انتاجية العمل ، وتضخم الجهاز الادارى ، ونقص السلع الاستهلاكية التى تحتاجها شعوبها .. » (١٢٨) .

كان هذا هو الأساس الفكرى والتقييمات العملية التى أعاد جورباتشوف على أساسها النظر فى السياسة السوفيتية فى العالم الثالث سواء فيما يتعلق بالصراعات الاقليمية فيه والارتباطات السوفيتية فيها ، أو مستوى التأييد السياسى والعسكرى الذى كانت موسكو تعطيه لحلفائها ، أو فى اعادة النظر فى العلاقات السوفيتية مع مجموعات من الدول كانت العلاقة معها تتأثر بالاعتبارات الأيديولوجية .

وجاء القرار السوفيتى بالانسحاب من أفغانستان ، والذى أعلن عنه جورباتشوف أول ما أعلن فى المؤتمر السابع والعشرين عام ١٩٨٦ ، وبعده بعام سحب الاتحاد السوفيتى أكثر من ١٠٠ ألف من قواته المحاربة ، جاء هذا القرار مقدمة ومؤشرا على انسحابات سوفيتية أخرى من عدد من الصراعات الاقليمية (١٢٩) ، والاتجاه الى التعاون مع الولايات المتحدة

---

(١٢٧) — Izyumov, Alexy, 8 A. Kantariov, "The soviet Union in a changing world "International Affairs, Moscow, August, 1988, pp. 52-55.

(١٢٨) — Goodman, "Gorbachev's Retreat ..." op. cit., p. 101.

(١٢٩) — Ibid, p. 16.

لتوفير حلول سلمية وسياسية لها • وقد أخـذ الانسحاب السوفيتى من أفغانستان على أنه اشارة للقوى الراديكالية التى كانت تعتمد على التأييد السوفيتى وأن هناك حدودا للمساعدة السوفيتية وخاصة العسكرية لها • غير أن ما هو أهم من ذلك أن الاتفاق حول أفغانستان قد قدم كنموذج لحل المواجهات الاقليمية ، وبدأت التعليقات السوفيتية تقول : « ان الاتحاد وضعوا السابقة لتحسين العلاقات الدولية » (١٣٠) (*) •

أما ما يمثله الاتفاق حول أفغانستان ، وبشكل خاص فى حجم التأثير على العلاقات الأمريكية السوفيتية ، فقد كان فى التوصـــل كذلك عام ١٩٨٨ ، الى الانسحاب الكوبى من أنجولا بعد ١٣ عاما من وجودها هناك ، وانهاء وجود جنوب افريقيا وادارتها لاقليم ناميبيا ، فقد كان من الواضح انه لم يكن يمكن التوصـــل الى هذا الاتفــاق بدون التعاون والضــغط السوفيتى • ومثلما يأتى الاتفاق حول أفغانستان باعتباره رمزا على حل المشــكلة التى تدهورت بسببها العلاقات الأمريكية الســوفيتية ، أوائل الثمانينات ، فان أهمية موضوع أنجولا أنها كانت رمزا على تراجع وفاق السبعينيات ، وقد تحول كلا الاتفاقين ليمثل نقطة انطلاق رئيسية للتعاون الأمريكى السوفيتى لحل المنازعات الاقليمية •

وفى منطقة حساسة ومهمة بالنسبة للولايات المتحدة وهى منطقة أمريكا الوسطى ، شجع جورباتشوف الساندانيستا على اجراء أول انتخابات حرة فى نيكارجوا ، وقبل الانتخابات بعث جورباتشوف اشارة عن اســتعداد موسكو وقف استغلال وضع أمريكا الضعيف فى أمريكا الوسطى بانهاء شحنات السلاح للساندانيستا •

أما المنطقة التى شهدت تطبيقا عمليا لمفهوم جورباتشوف وتناوله الجديد للصراعات الاقليمية وتعاونه مع الولايات المتحدة حولها ، فقد كانت

---

(١٣٠) — Ibid, p. 18.

(*) ذهب بعض المحللين الى تصوير القرار السوفيتى بالانسحاب من أفغانستان على أنه كان مفتاحا للتطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى وسياسته الخارجية ، والواقع أن هذا القرار رغم أهميته ـ لم يكن الا تطبيقا للتفكير السياسى الجديد الذى أتى به جورباتشوف •

فى الشرق الأوسط · وقد بدأ جورباتشوف يضع فى « البريستوريكا » اطار علاقاته مع الولايات المتحدة فى المنطقة بأن قرر « اننا لا نريد تسوية فى الشرق الأوسط من شأنها أن تنتهك مصالح الولايات المتحدة والغرب ، كما نعتزم أن نخرج الولايات المتحدة من الشرق الأوسط فهذا ببساطة غير واقعى » (*) · وقد بدأ جورباتشوف بالتوازى مع هذا بتوسيع اختياراته وعلاقاته مع دول المنطقة وعدم قصرها على حلفائه وأصدقائه التقليديين ، وكان انفتاحه على اسرائيل الذى تطور الى اقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها ، هو الذى ضمن للاتحاد السوفيتى مكانا فى مؤتمر السلام الدولى الخاص بالمنطقة ، ومن ناحية أخرى أقام علاقات مع الدول المحافظة فى المنطقة مثل السعودية ، وعمان ، والامارات وقطر ، أما حلفاؤه التقليديون مثل سوريا وليبيا ، فقد بدأ جورباتشوف يحاضر قادتها حول رؤياه الجديدة للواقع الدولى والاقليمى ، ويقرن هذا بخفض الامدادات العسكرية والتى انخفضت بنسبة ٦٠٪ لليبيا ، ٤٤٪ لسوريا ، بحجة عدم دفعهم بالعملة الصعبة وتراكم ديونهم ·

وقد جاءت حرب الخليج والغزو العراقى للكويت لكى يثبت أن الاتحاد السوفيتى سوف يرتبط للمرة الأولى مع الولايات المتحدة فى تحدى دولة كانت من حلفائه فى الشرق الأوسط ، فعقب الغزو مباشرة أدانه الاتحاد السوفيتى ، وأوقف امداداته العسكرية ، ووافق على قرار الأمم المتحدة لاتخاذ اجراء عسكرى ضدها ، وألمح المسئولون السوفيت عن استعداد موسكو للاشتراك فى حصار بحرى تحت اشراف الأمم المتحدة · والواقع أنه بدون تعاون الاتحاد السوفيتى ، فان الصيغة الدولية للعمل ضد العراق لم تكن ممكنة ·

من المهم أن نضيف فى سياق استعراض لمراجعة جورباتشوف لعدد من مفاهيم الأمن والسياسة الخارجية السوفيتية ، أنه خلال عملية الوفاق

(*) جاء الخطاب الذى القاه ادوارد شيفرنادزا خلال زيارته للقاهرة فى ٢٣ فبراير ١٩٨٩ عن « الشرق الأوسط فرصة لحل وسط تاريخى » تطبيقا لمبادىء التفكير السوفيتى الجديد على النزاع فى الشرق الأوسط · راجع أيضا :

— Goodman "Gorbachev's Retreat ...", pp. 103, 117.

الأمريكي السوفيتي في بداية السبعينيات ، كان مهندساها على الجانب الامريكي نيكسون وكيسنجر يحاولان اقناع القادة السوفييت بما أسموه بمفهوم الارتباط Linkage والذى حدداه بأن المشكلات السياسية ترتبط بالمشكلات الاستراتيجية ، وأن الأحداث السياسية في منطقة ما من العالم قد يكون لها تأثير بالغ على التطورات السياسية في مناطق أخرى من العالم » • وكان نيكسون وكيسنجر يقصدان بهذا المفهوم دفع الاتحاد السوفيتي وهو يتفاوض معهم حول أهداف استراتيجية عريضة مثل خفض الأسلحة الاستراتيجية الى ابداء الاعتدال في سلوكه في مناطق متوترة مثل فيتنام والشرق الأوسط وغيرها من المناطق الاقليمية • غير أن الموقف السوفيتي وقتها ، وان كان قد أبدى الاستعداد للعمل على تخفيف التوتر في هذه المناطق ، الا أنه رفض خفض مساعداته أو التخلي عن أصدقائه في هذه المناطق •

وقد جاء جورباتشوف وبما طوره من مفاهيم حول علاقة الاتحاد السوفيتي ببلدان العالم الثالث وقضاياه بوجه عام ، وبالأوضاع والمنازعات الاقليمية فيها وأسس علاقاته مع حلفائه ، وبفهمه وربطه لكل ذلك بعلاقات الاتحاد السوفيتي مع الولايات المتحدة ، جاء في الواقع لكى يقبل المفهوم الأمريكي في الارتباط بالشكل الذى حدده نيكسون وكيسنجر منذ عشرين عامة وتبنته الادارات الأمريكية من بعدهم (١٣١) •

الولايات المتحـــدة :

سبق أن أشـــارت هذه الدراسة في عرضها للمسرح الأمريكي منذ نهاية ادارة كارتر الى ما أسماه كارتر نفسه حالة الوعكة Malaise التي مرت بها الولايات المتحدة مع نهاية السبعينيات ، وتأثرت معها مكانتها الدولية وهيبتها التي تعودتها • وقد بدأت هذه الصورة تتضح بعد سقوط شـــاه ايران الذى كان يعتبر ركيزة للاستراتيجية الأمريكية في منطقة مهمة ، ولم يقتصر الأمر على أن الولايات المتحدة لم تستطع أن تفعل شيئا لانقاذه بل بدت وكأنها قد تخلت عنه ، ثم تداعيات سقوطه فيما تعرضت

---

(١٣١) — Goodman, "Gorbachev's Retreat ..." op. cit., p. 16.

له الهيبة الأمريكية على يد الثوريين الايرانيين فى قضية الرهائن وفشل محاولة لانقاذهم • كما ارتبط الوضع فى الشئون الخارجية بتراجع الوضع الاقتصادى والداخلى من ارتفاع نسبة التضخم وارتفاع أسعار الفائدة • وكما أشرنا فقد كانت هذه الظروف وراء نجاح مرشح الرئاسة الجمهورية رونالد ريجان الذى قاد حملته الانتخابية على أساس استعادة مكانة أمريكا الدولية ، والتصدى للقوة الدولية المنافسة ، وبناء اقتصاد أمريكى قوى •

وعلى الرغم من أنه بمعنى ما يمكن القول بأن سياسات ريجان المتشددة تجاه الاتحاد السوفيتى وبناءه العسكرى بأبعاده الجديدة قد حققت ما هدفت اليه فيما يتعلق بالعلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، وأن ريجان فى حملته الانتخابية لولايته الثانية استطاع أن يفاخر بأن : الولايات المتحدة أصبحت عالية القامة مرة أخرى America is tall again الا أن هذا لم يمنع من أن عملية من البحث فى الذات واعادة تقييم الأوضاع الأمريكية كانت تجرى ، وأنه تحت سطح الظاهر ثمة تيارات كانت تدعو للقلق فيما يتعلق بحقائق القوة الأمريكية وبشكل خاص فى علاقاتها النسبية مع قوى جديدة وخاصة على المستوى الاقتصادى والانتاجى والتكنولوجى ، وهى قوى وان لم تكن قوى معادية بالمعنى السياسى والعسكرى ، فانها يمكن أن تكون كذلك بالمعنى الاقتصادى والانتاجى . وهو الأمر الذى جعل مدير وكالة المخابرات الأمريكية يقول : « ان حلفاءنا السياسيين والعسكريين هم أيضا منافسونا الاقتصاديون •• وان آثار قدرة هؤلاء المنافسين على الاستيلاء والسيطرة على الأسواق فى المستقبل لهو أمر خطير جدا •• » (*) •

(★) عبر باحث أوربى عن ذلك بقوله : « ان الدرجة التى تحققت بها مكانة الولايات المتحدة كانت واضحة بوجه خاص مقارنة بالبلدين اللذين كانا أعداء فى الحرب الثانية المانيا واليابان ، فخلال الثمانينات وصل مستوى الصادرات الالمانية الى مستوى الولايات المتحدة ، وفى العلاقة مع اليابان لم تعد فقط القوة الاولى فى صناعة السيارات وانما أخذت القيادة من الولايات المتحدة فى مجال الالكترونيات وأوسع منتج وأصبحت اكبر عشر بنوك بالعالم يابانية » :

— Lundstad, "East, West, North, South" op. cit., p. 26.

— The Guardian, Sept. 21, 1989.

وعلى الرغم من بدء الشعور بهذا الوضع المتغير على المستوى الرسمى وبشكل خاص من خلال ما بلغه حجم العجز فى الميزانية الأمريكية الذى كان قد وصل مع منتصف الثمانينات الى ألف بليون دولار ، فان عملية البحث الحقيقى والعميق فى الذات وتقص حقائق ومؤشرات الوضع الأمريكى كانت تجرى أساسا فى الأوساط الأمريكية الأكاديمية ، وهو ما تبلور حول ما عرف بمدرسة الاضمحلال School of decline ، وهى المدرسة التى اشتغلت بفحص أوضاع القوة الأمريكية ومكوناتها الفعلية ، والمتغيرات الداخلية والدولية التى ألمت بهـا فى الحقبة الماضية وبشكل رأته يهدد بتراجع مكانة الولايات المتحدة كالقوة الدولية الأولى فى العالم ، كما راحت تستخلص مظـاهر التراجع الأمريكى فى الميـادين الثقافية والاقتصادية والسياسية •

وقد انتهت هذه المدرسة فى توصيف الوضع الأمريكى كما رأته الى ثلاثة افتراضات رئيسية :

- فقد رأت أن الولايات المتحدة تتراجع على المستوى الاقتصـادى مقـارنة بقوى ثـلاث هى اليـابان ، وأوربا الغربية ، والدول الصناعية الجديدة ، وقد سجلت هذا التراجع فى تركيزها على الأداء الاقتصادى ، وعلى العناصر العلمية والتكنولوجية والتعليمية المرتبطة بهذا الأداء •
- باعتبارها أن القوة الاقتصادية هى العامل المركزى فى قوة أية أمة ، فان هبوطا فى القوة الاقتصـادية سوف يؤثر فى الأبعاد الأخرى لقوة الأمة •
- ان الانحدار النسبى للقوة الاقتصـادية الأمريكيـة انما يرجع بالدرجة الأولى الى انفاقها الكثير جـدا على الأغراض العسـكرية نتيجة لاحتفاظها بارتبـاطات والتزامات خارجية لم تعد تقوى عليها • وقد انتهت هذه المدرسة الى أن الولايات المتحدة انما تكرر فى هذا وتواجه نفس المشـكلات التى واجهتها قوى امبريالية سابقة (١٣٢) •

---

(١٣٢) — Huntigton, Samuel, "The U.S. Decline or Renewal ?" Foreign Affairs, winter, 1989-1990, p. 76-77.

واذا كانت هذه هى الافتراضات الرئيسية للمدرسة التى لاحظت وسجلت مظاهر ما أسمته بالاضمحلال الأمريكى ، فان ممثلها كان هو المؤرخ الأمريكى بول كنيدى وعمله الضخم « صعود وسقوط القوى العظمى » ، الذى قدم وصفا مفصلا لهذا الوضع فى أبعاده خاصة الاقتصادية والتكنولوجية والتعليمية (١٣٣) • وقد جاءت أهمية هذا العمل من أنه درس الوضع الأمريكى فى اطارين أحدهما تاريخى ، والآخر معاصر ، أما التاريخ فهو قد استعرض سجل صعود القوى العظمى خلال الـ ١٥٠٠ عاما الماضية ، وسجل عوامل هذا الصعود التى رآها أساسا فى العوامل التكنولوجية والاقتصادية والانتاجية ، كما رأى عوامل الاضمحلال فى تراجع نفس هذه العوامل يضاف اليها عامل آخر هو تزايد أعبائها الخارجية وارتباطاتها وانفاقها العسكرى • وقد طبق هذا على كل من اسبانيا ، وبريطانيا • أما الاطار المعاصر الذى درس الظاهرة الأمريكية فى سياقه ، وقارن عناصر قوتها النامية بعناصر القوة الأمريكية المتراجعة ، فكانت هى المجموعة الأوربية ، واليابان والصين • وقد توصل بول كنيدى الى أنه رغم أن الولايات المتحدة ما زالت تمثل قوة متميزة اقتصاديا وعسكريا ، فانها لا تستطيع ان تتفادى اختيارين : الأول قدرة كل قوة كبرى خاصة التى تمثل مركز القوة الأول على البقاء والاستمرار ، وعلى ما اذا كانت تستطيع فى المجال العسكرى والاستراتيجى أن تحتفظ بتوازن معقول بين متطلبات الدفاع الوطنى وبين الوسائل الفعلية للابقاء على هذه الالتزامات ، أما الاختيار الثانى ما اذا كانت تستطيع أن تحفاظ على الأسس التكنولوجية والاقتصادية لقوتها من التفتت النسبى فى مواجهة الأنماط المتغيرة بشكل مستمر للانتاج العالمى •

وتعتبر دراسة كنيدى أن هذا الاختبار للقدرات الأمريكية سيكون هو الاختبار الأعظم ، لأن الولايات المتحدة ـ شأنها شأن اسبانيا الامبريالية

---

(١٣٣) Kennedy, Paul, "The Rise and fall of the Great Powers" Random Hauge, New York.

راجع تحديدا الفصل الذى خصصه حول :

— The United States : The Problem of November one in Relative decline. pp. 514-535.

عام ١٦٠٠ ، والامبراطورية البريطانية عام ١٩٠٠ ـ هي الوارث لنطاق واسع من الارتباطات الاستراتيجية التي تمت في حقبة سابقة حين كانت قدراتها السياسية والاستراتيجية والعسكرية في التأثير على العالم تبدو أكثر تأكدا ووثوقا مما هي عليه الآن ، ونتيجة لهذا تتعرض الولايات المتحدة لخطر مألوف لدى المؤرخين حول صعود وهبوط قوى عظمى سابقة ، وهو ما يمكن أن ندعـوه بالتوسع الامبريالي الذي يفوق امكاناتها وقدراتهـا الفعلية Imperial overstrengh وهو ما اعتبر معه أن الساسة الأمريكيين عليهم أن يواجهوا الحقيقة الصعبة والمستمرة وهي أن مجموع المصـالح والالتزامات الأمريكية والعالمية هي اليوم أوسع من قوة الولايات المتحـدة وقدرتها على الدفاع عنها جميعا في وقت واحد ، بالاضافة الى هذا فان اهتمامات وروابط الولايات المتحدة الخاصـة كانت تبرزها وقتها أسباب معقولة ، وفي معظم الحالات ، فان أسباب الوجود الأمريكي لم تقل بل أنه في بعض أجزاء العالم ، فان مصالح الولايات المتحدة قد تبدو الآن أوســع بالنسبة لصناع القرار في واشنطون عما كانت عليه في حقبة سابقة ٠

ويناقش بول كنيـدى التسـاؤل المهم حول العـلاقة المناسبة بين « الامكانات والأهداف » في السياسة الأمريكية ، فيعتبر أنها تتعلق أساسا بالتحديات الاقتصادية التي تواجهها الولايات المتحدة ، وأول هذه التحديات التراجع النسبي في الصناعة نسبة الانتاج العالمي ليس فقط في الصناعات القديمة مثل المنسوجات أو الصلب أو الحديد وبناء الأسقف والصـناعة الكيماوية وانما أيضا في أنصبتها العالمية في انتاج الانسان الآلي ، والآلات الحاسبة ، وأجهزة الفضاء ٠ فقد أظهرت دراسـة للكونجرس أن الفائض التجاري الأمريكي في سلع التكنولوجيا المتقدمة قد انحدر من ٢٧ بليون عام ١٩٨٠ الى مجرد ٤ مليون عام ١٩٨٥ وهو يتجه بسرعة نحو العجز ٠ أما التحدي الآخر فهو الزراعة لظهور فائض زراعي في مناطق أخرى مثل السوق المشتركة بنظام أسعارها المدعم ، وعدد من دول العالم الثالث مثل الهند والصين التي كانت أسواق الانتاج الزراعي الأمريكي الأمر الذي أدى الى هجر كثير من المزارعين الأمريكيين للزراعة ، الى جانب هذه الصعوبات في الصناعة والزراعة الأمريكية هناك المصاعب غير المسبوقة في الأوضاع المالية الأمريكية ٠

ويصل بول كنيدى الى مناقشة السؤال الأشمل المترتب على دراسته وهو : هل تستطيع الولايات المتحدة أن تحافظ على مركزها كقوة أولى فى العالم ؟ ويقول ان الاجابة هى : لا • ويفسر هذا بأنه لم يتح لأى مجتمع عبر التاريخ أن يظل بشكل دائم متقدما على المجتمعات الأخرى اذ كان هذا يعنى تجميد الأنماط المتباينة لمعدلات النمو والتقدم التكنولوجى والعسكرى • غير أن دراسة بول كنيدى لا تستخلص من هذه التطورات المعاكسة لقوة الولايات المتحدة أن مصيرها هو الأفول مثلما حدث لقوى عظمى سابقة مثل هولندا ، وأسبانيا وبريطانيا ، أو أنها سوف تتفكك مثلما حدث لامبراطوريات روما والنمسا والمجر • أما ما يعتبره الدرس الرئيسى الذى تقدمه هذه التطورات للولايات المتحدة لكى تتفادى هذا المصير فهو أن عليها وعلى سياستها أن يدركوا أن ثمة اتجاهات عميقة وعريضة تأخذ مجراها الآن فى العالم •

كذلك ساهم اثنان من وزراء خارجية أمريكا السابقين هما هنرى كيسنجر وسايروس فانس فى توجيه الأنظار الى تأثر الوضع الدولى للولايات المتحدة فى النصف الثانى من الثمانينات (١٣٤) ، ونلاحظ أن أحدهما وهو كيسنجر قد عمل لمدة ٧ سنوات فى ظل ادارات جمهورية وساهم فى صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وفى محاولات بناء على علاقات وفاق مع الاتحاد السوفيتى فى أوائل السبعينيات معتمدا وآخذا فى الاعتبار كذلك التحولات فى علاقات القوى الدولية ومكان الولايات المتحدة فيها ، أما الثانى فقد عمل مع ادارة ديمقراطية وساهم هو الآخر فى مرحلة دقيقة وانتقالية • لذلك فقد أرادا أن يضيفا معا أهدافا قومية Bibertizan للسياسة الخارجية الأمريكية فى ظل ما رأياه من متغيرات فى النظام الدولى ومساهمة أمريكا فيه • فقد اعتبرا أنه مع نهاية هذا القرن فان عددا من الأعمدة Pillars التى قام عليها النظام الدولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سوف تتغير بشكل جوهرى • وبالنسبة للولايات المتحدة : (أ) فان احتكارها النووى سيكون قد انتهى

---

(١٣٤) — Henery Kissinger & Syrus Vance, "vibartisan objectives for American Foreign Policy" Foreign Affairs, Summer 1988, p. 900.

(ب) وسيصبح نصيبها من الاقتصاد العالمى أقل من النصف مما كان عليه منذ أربعين عاما مضت (جـ) كما أن بلدانا أخرى كانت تلعب أدورا مختلفة ، قد أصبح لها بالفعل دور رئيسى بالنسبة لمصـــالح الولايات المتحدة ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك اقتصـــاديات اليابان ، وأوربا الغربية ، والدول الصناعية الجديدة • كذلك نبه كيسنجر وفانس الى أن ثمة قائمة متزايدة ، من القيود أصبحت ترد على التصرفات الأمريكية ، فرغم قوتها العسكرية الضخمة فان القدرة الأمريكية على صياغة العالم بشـــكل منفرد أصبحت محدودة بشـــكل متزايد ، وحتى مع توفر تأييد داخلى ، فان الولايات المتحدة لم تعد تستطيع ماليا أن تفعل ما كان فى مقدورها أن تفعله فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة • وبالنسبة لحلفاء أمريكا فان التهديد السوفيتى قد تضـــاءل وخاصـــة مع ظهور جورباتشوف •

كذلك ركز باحث أمريكى ، وبشكل أكثر تفصيلا وتحديدا ، على اظهار تناقضات الوضع الأمريكى فى عدد من عناصر القوة كما بدأت تتبلور فى الثمانينيات ومقارنتها بأوضاع الدول الصناعية المتقدمة فى العالم ، فحيث تقف أمريكا القوة رقم واحد فى بعض جوانب عناصر هذه القوة ، فانها تتراجع الى جوانب أخرى من هذه العناصر مقارنة بمثيلاتها فى الدول الصناعية المتقدمة وفى مجالات حاسمة مثل الصحة ، والتعليم ، والاقتصاد والبحوث والتخطيط ، والجريمة (١٣٥) •

فوفقا لما توصل اليه الباحث فانه فى الوقت الذى يعتبر فيه نظام الرعاية الصحية فى الولايات المتحدة أكثر النظم تقدما فى العالم ، الا أنه أكثرها فى عدم المساواة بين الأمم الصناعية المتقدمة ، ورغم أن الانفاق بالنسبة للفرد على الصحة لا يبارى فى العالم ، فان الولايات المتحدة هى

---

(١٣٥) راجع فى هذا تفصيلات كتاب :

Shapiro, Andrew, "We are Number One", Vintage book, New York, 1992.

والذى تعرض فيه بالتفصيل لمجالات حيوية فى الواقع الأمريكى : فى الفضاء ، والتعليم ، والصحة والبيئة ، ووالجريمة ، والتكنولوجيا ، والتكنولوجيا ، الخ ، وتتراجع مكانتها فيها أمام دول صناعية أخرى وبعضها دولا صغيرة ومتوسطة •

الدولة الغربية الوحيدة التى ليس لديها نظام رعاية صحية يشمل كل المواطنين ، ورغم أنهـا الدولة رقم ١ فى الانفاق الكلى على الصحة الا أنهـا رقم ١٣ فى الانفاق على الصحة العامة ، وهى رقم ١٥ فى متوسط العمر ، والدولة رقم ١ فى معدل وفيـات المواليد ، والاصـابة بمرض الايدز ، والسرطان ٠

وفى التعليم ، فان ½١٠٪ من الأمريكان البيض ، ٢٧٫٩٪ من ذوى الأصول اللاتينية ، يخرجون من التعليم الثانوى ، فى الوقت الذى يبقى فيه ٤٩٪ من اليابانيين ، ١٠٠ ٪ من الألمان ، ينهون تعليمهم الثانوى فى الوقت المحدد ، كما أن هناك ٢٧ مليون أمريكى بالغ من الأميين كلية ، ٤٠ مليون يجدون صعوبة فى قراءة الصحف أو الوثائق المالية ٠ واذا كانت الولايات المتحدة رقم ١ فى الانفاق الخاص على التعليم ، الا أنهـا رقم ١٧ فى الانفاق على التعليم العام Bublic Education ، ورغم أن لديها أكثر الجامعات ، وأكثر برامج التخرج وأوسع المكتبات ، الا أن هـذه المؤشرات تتعلق بالكم وليس بالكيف فى التعليم العالى الأمريكى ٠ كذلك فان ٩٥ ٪ من خريجى المدارس الثـانوية لن يقبلوا فى أية كليـة فى أى من الدول الصناعية المتقدمة ٠ والولايات المتحدة هى الدولة رقم ٢٩ فى نسبة العلماء والفنيين ، فلديها ٥٥ عالما وفنيا لكل ١٠٠٠ شخص ، بينما لدى اليابان ٣١٧ لكل ١٠٠٠ شخص ، ويبلغ المتوسط بالنسبة للدول الصناعية المتقدمة ١٣٩ ٠

أما فى الاقتصاد فان التناقضات تبدو فيه بشـكل أوضـح وأكثر دلالة ، فبين الدول الصناعية المتقدمة ، تقف الولايات المتحدة رقم ١ فى عدد المليونيرات ، ولكنها رقم ١ فى أعلى نسبة أطفال يعيشون فى مستوى الفقر ، وهى رقم ١ فى الثروة الفعلية ، ولكنها رقم ١ فى عدم عدالة توزيع هذه الثروة ٠ وهى وان كانت رقم ١ فى الاتفاق على الدفاع الا أنها الأخيرة فى الانفاق على الفقراء وكبار السن والعجزة ، وهى رقم ١ فى الاستهلاك الضرورى ولكنها الأخـيرة فى الاستثمار والادخار وهى رقم ١ فى عجز الميزانية ، والعجز فى الدين العام وركود التجارة ٠

وفى جوانب اجتماعية ، فان أمريكا ، وفقا لما استخلصه الباحث ، هى الدولة رقم ١ فى نسبة عدد السكان ضحايا الجريمة ، وفى حوادث

القتل (٢٠٫٠٠٠ حادث قتل في العام أي حادث كل ٢٥ دقيقة) ، ورقم ١ في مرتكبي جرائم المخدرات ٠

وقد شارك باحثون أوربيون في فحص الوضع الأمريكي والتغيرات التي طرأت مع حقبة الثمانينات على مكونات قوتها السياسية والاقتصادية والعملية ومقارنتها بما كانت عليه في الماضي ٠

فيصور باحث أوربي ، ظل يتابع الوضع الأمريكي منذ أوائل الخمسينيات حيث كان يجد الولايات المتحدة عندئذ « أرضا سعيدة وبيتا للتقدم والثقة لا يملك الفرد الفكاك من جاذبيتها التي لا تقاوم » وكان ما خرج به من رحلاته اليها حتى منتصف الستينيات هو « الأمل الذي لا حدود له ٠٠ » غير أنه مع زيارته الولايات المتحدة في أوائل الثمانينات للتدريس في جامعاتها رأى مدى التغير الذي حل بمؤسساتها ومراكزها العلمية ، وبحالة أساتذتها وطلابها وشبابها ، وفي المجموع واجه « تجربة مروعة ، فرغم أن كل شيء كان كما هو ، فان الوضع قد اختلف في جانب خطير ومهم حيث كان الذي اعتراه التغير هو هدف ومعنى الوجود الأمريكي حيث تبدد الحلم ولم يخلف وراءه الا البلاغة المنمقة الخالية من أي مضمون٠٠ وفقد صناع القرار ادراكهم للواقع وبات الاقتصاد تحت رحمة الريح المتغيرة ٠ وكان أكثر ما استوقفه هو حال المراكز العلمية الأكاديمية ، فطلابها رغم أن ذكاءهم وانكبابهم على العمل ظل كما هو الا أن « الحزن بدأ يسيطر عليهم ، وبدا المستقبل أمامهم لا يؤدي الى شيء ٠٠ » أما أساتذتهم « فقد اعتزلوا في أبراجهم العاجية ٠٠ وشغل مناصب مساعديهم مرشحون متوسطو القدرات ، وكان نتيجة هذا أن انخفض مستوى البحث الخلاق ٠٠ » ٠ كل هذا جعله يستخلص أن الولايات المتحدة قد « ٠٠ وصلت الى حدودها القصوى في التطور وأنه من الآن فطالعا سوف تصبح دولة عادية Normal شأنها شأن الآخرين تحاول أن تجد طريقها ، وبدأ هذا يحدث في وقت أخذت فيه قوى مثل اليابان وأوربا الغربية تستعيد قواها وتأخذ مكانتها ٠٠ » (١٣٦) ٠

ويسجل باحث أوربي آخر التغيرات التي ألمت بأوضاع الولايات المتحدة مقارنة بحلفائها ، فيلاحظ أنه رغم أن اقتصاد الولايات المتحدة مازال

---

(١٣٦) — Michel Cruiser, "The Trouple with America".

أكبر بكثير وبشكل لا يقارن عما كان عليه عام ١٩٤٥ مثلا ، الا أن معدلات النمو أصبحت أكثر سرعة فى بلدان أخرى ، ففى عام ١٩٤٥ كانت الولايات المتحدة تنتج نصف انتاج العالم ، وكان هذا الرقم المرتفع يعود جزئيا الى ما أصاب مناطق أخرى من العالم من دمار الحرب ، أما فى عام ١٩٦٠ ، فقد انخفض نصيب الولايات المتحدة من الانتاج العالمى الى ٢٨٪ واستمر هذا التراجع حتى عام ١٩٨٥ الى ٢٠٪ ٠ ويقارن الباحث ذلك التراجع بصعود معدلات النمو والناتج القومى لكل من فرنسا ، وألمانيا الغربية ، وايطاليا فى السبعينيات يعادل على التوالى ١٣٪ ، ١٥٪ ، ٨٪ من اقتصاد الولايات المتحدة ، أما فى الثمانينات فقد ارتفع الى ٢٠٪ ، ٢٥٪ ، ١٢٪ ٠ أما بالنسبة لليابان فان المقارنة تبدو أكثر دلالة ٠٠ ففى عام ١٩٥٠ ، كان مجموع الناتج القومى اليابانى ١٠٪ من الاقتصاد الأمريكى ، أما فى عام ١٩٨٠ فقد ارتفع هذا الرقم الى ٣٧٪ ٠

وعلى الرغم من أن هذه الظواهر التى سجلهـــا المراقبون للمسرح الأمريكى الداخلى وللوضع الدولى كانت تتفاعل فى المجتمع والسياسة الأمريكية منذ أوائل الثمانينات ، الا أنها كانت قد بدأت تتبلور مع اقتراب نهاية الولاية الثانية لادارة الرئيس الأمريكى ريجان عام ١٩٨٤ ، وأصبح من الواضح مع هذا الوقت أن القضايا الرئيسية التى تشغل السياسة الأمريكية أصبحت تدور حول قضيتين : الأولى ، ما يمثله العجز فى الميزانية (أكثر من ١٠٠ بليون دولار) ، والثانية حول علاقة الوضع الاقتصادى ومؤشراته بالسياسة الخارجية وهى العلاقة التى جعلت هنرى كيسنجر وسايروس فانس يكتبان « ان السياســة الخارجية والداخلية أصبحتا تعتمدان على بعضهما البعض بشكل متزايد ، وأن القوة الاقتصادية هى العامل المحورى بالنسبة للطريقة التى ينظر بها الى أمريكا من جانب حلفائها وخصومها ، وأن القيادة السياسية الأمريكية للعالم لا يمكن أن تستمر اذا ما استمر تقوض الثقة فى الاقتصاد الأمريكى من خلال عجز كبير فى التجارة والميزانية » (١٣٧) ٠

---

(١٣٧) — Kissinger, & Vance, "bibertisan objectives for American foreign policy", op cit.

وخلال التمهيد لحملة انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٤ ، احتلت نظرية اضمحلال القوة الأمريكية مكانا واسعا فى أدبيات هذه الحملة وخاصة من جانب الحزب الديمقراطى ، وأوضحت استفتاءات الرأى العام أن الناخبين أكثر اهتماما بأن يكون الرئيس الجديد معينا « بأن يدعم الاقتصاد أكثر من حماية الأمن القومى بمفهومه العسكرى » ، كما اتخذت أبعادا أكثر فيما يتعلق بمفهوم الأمن القومى ، ففى استفتاء للرأى العام فى مارس عام ١٩٨٨ ، أعرب ٥٩٪ من الأمريكيين أن « المنافسة الاقتصادية تفرض تهديدا أعظم للأمن القومى من خصومنا العسكريين لأنهـا تهدد وظائفنا وأمننا الاقتصادى » • ومن هنا اتسع مفهوم الأمن القومى لكى يشـمل التركيز على القوة الاقتصادية • وحتى فى بدايات عهد ريجان الذى كان يركز بشـكل كامل على القدرات العسـكرية كمقياس للقوة الوطنية ، ودعت الحاجة الى « اقتصاد حى ونام » ، فى المرتبة الثانية مباشرة بعـد « بقاء الولايات المتحدة كأمة حرة ومستقلة » ، وقد امتد التوسع فى أولويات ومفهوم الأمن القومى الى انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٨ حين أعلن المرشح الجمهورى بوش أن « النمو الاقتصادى هو الآن من أمور السياسة الخارجية مثلما هو من أمور السياسة النقدية » (١٣٨) •

أما القضية الثانية التى واجهت صانعى السياسة الأمريكية مع نهاية الثمانينات ، فقد كانت تتعلق باعادة ترتيب الأوضاع والأولويات ، وكان هذا أساسا بفعل تراجع القضية التى كانت توجه وتسيطر على السياسات الأمريكية خـلال الأربعين عاما الماضـية ألا وهى تصـور ما تمثله القوى العسكرية السوفيتية من تهديد للولايات المتحدة والعالم الغربى • وقد بدا ادراك تراجع هذا التصور بوضوح فى التقرير السنوى الذى يصدره البنتاجون تحت عنوان « Soviet Military Power » اذ انتهى الى القول : « اليوم فان احتمال صراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ربما كان أقل مما كان عليه فى أى وقت مضى فى فترة الحرب الباردة » ، كما نجـد أن الأدميرال وليم كرو رئيس هيئة الأركان يقول : « ان كل مؤشرات البيئة الاستراتيجية انما تمر بمرحلة انتقالية » •

---

(١٣٨) — Stratigic Survey, iiss, 1988-1989, p. 35.

كذلك نجد أن ادراك الظروف الدولية المتغيرة ، يطفو فى الحملة الانتخابية للرئاسة عام ١٩٨٨ ، ويعبر عن هذا المرشح الجمهورى بوش بقوله : « ان عصر ما بعد الحرب قد انتهى وبدأنا عصرا ثوريا جديدا » • غير أنه اذا كان قد أدرك قدوم هذا العصر الجديد الا انه لم يستطع ان يحدد بوضوح خصائص هذا العصر الثورى الجديد ، فالاحساس بالانتقال والتحول كان أقوى من الاحساس بالوجهة التى تتجه اليها العلاقات الدولية • واذا كان ما ذكره بوش قد عبر عما بدأ يشيع فى الحياة السياسية الأمريكية بأن فترة الحرب الباردة فى سبيلها الى الانتهاء ـ وهو نفس التصور الذى بدأ يشيع بين بقية خلفاء الولايات المتحدة ـ الا أنه لم يكن من الواضح أن لديهم تصورا حقيقيا لما تحمله هذه الحقبة الجديدة ، وما هو شكل العالم الجديد ، وأهم من هذا ما الذى ستكون عليه الأدوار والمسئوليات الأمريكية •

غير أنه رغم هذا الغموض الذى أحاط بخصائص المرحلة الجديدة ، فان ثمة عناصر رئيسية كانت واضحة من أهمها النظرة الحميدة bcngin التى بدأ ينظر بها الى الاتحاد السوفيتى ، وما أصبح عليه الاعتقاد الغالب أن أساس العلاقات بين الشرق والغرب يتحول بشكل سريع من الاحتواء والمواجهة الى التعاون •

أما المترتبات العملية لهذا التصور فهى أنها قد وضعت الأساس لاعادة تقييم وتوجيه المخصصات والموارد الأمريكية بين البرامج والسياسات الداخلية والخارجية • وكان العنصر الفعال فى هذا التوجه ليس فقط تراجع الاحساس بالتهديد السوفيتى ، وانما أيضا اعطاء مزيد من الاهتمام بالمشكلات الداخلية وبادراك واضح أن قضايا مثل التعليم ، والبيئة ، والرعاية الصحية لم يوجه اليها الاهتمام الكافى خلال ادارة ريجان (١٣٩)• وفى أول ميزانية للرئيس الجديد نجده يعلن أن المبالغ التى كانت ادارة ريجان قد خصصتها لزيادة الانفاق العسكرى بنسبة ٢٠٪ سوف تحول الى البرامج الاجتماعية مثل التعليم والحرب ضد المخدرات ، وتوفير المساكن لمن لا مأوى لهم وحماية البيئة (١٤٠) •

---

(١٣٩) — Stubbing, Richard, "The Defense Program Puild up Foreign Affairs, Spring, p. 848.

(١٤٠) — International Herald Tribune, Sept. 29, 1989.

ونتيجة لتزايد الادراك لجـوانب القصـور فى الأوضاع الاجتماعية ارتفعت أصوات تعبر عن الحاجة الى « بريستوريكا أمريكية » مركزة على الحاجة الى تجديد أمريكا لرصيدها البشرى ، ومزيد من الاهتمام ببرامج البحوث والمنظور ، والرعاية الصـحية ، ونظم التعليم والتدريب ، كما وجهت هذه الأصوات الى ما أسمته وضع وظروف أبناء العالم الثالث الذى تعيشه ½ أبناء الشعب الأمريكى ، والى أنه فى عام ١٩٨٨ ، فان ١٣٪ من المجتمع الأمريكى ، أو ما يقارب ٣٢ مليونا ، يعيشون فى حالة فقد وفقا للمعايير الرسمية ، كما أن أرقام من لا مأوى لهم تتراوح ما بين عدة مئات من الآلاف وبين ٣ ملايين ، ووفقا لتقرير نشر حول الجوع بين الأطفال ، فإن ما يقدر بـ ٥٪ مليون طفل تحت سن ١٢ عاما يعيشون فى الولايات المتحدة فى حالة جوع (١٤١) ٠

وقد ساهم الاقتصادى الأمريكى الشهير جون كينيث جالبريث فى هذا الحوار ونبه الى « أن ثمة واقعا داخليا يجب على الولايات المتحدة أن توجه أنظارها اليه وهو أن أعدادا من المواطنين الأمريكيين ، ليسوا أقل من عدد مواطنى المانيا الشرقية ، محرومون من الحرية ، فليس هناك شىء يعوق التعبير عن الحرية الشخصية من قهر الفقر ، وليس هناك ما يفرض الصمت أكثر من الجهل ، وليس هناك ما يدعم الحرية أكثر من المال ، وفى المدن الأمريكية هناك ملايين ليس لديهم مأوى أو طعـــام أو عناية طبية ٠٠ » (١٤٢) بل وذهب جالبريث الى القول بأنه مثلما عبر أهالى برلين الشرقية أو ليبزج عن سخطهم ، فان هؤلاء الأمريكيين الذين لا صوت لهم الآن يمكن ان يعبروا يوما عن عدم رضاهم ٠ وسوف يكون من بعد النظر اعادة توجيه جزء من الميزانية العسـكرية الحالية لخدمة الحاجات المدنية ودعم الحرية فى الداخل » (١٤٣) ٠

---

(١٤١) — "America needs an Economic Pre troika of its own," The Los Angeles Times, June 6, 1989.

(١٤٢) Gelbrith, John Kenneth, "The Machine need not sun full tilt". The New York Times, 29, 1989, Foreign Policy after the elections.

(١٤٣) Foreign Affairs, fall 1992, p. 5.

كذلك لخص خبير أمريكى المزاج الشعبى العام الذى تبلور مع منتصف الثمانينات تجاه قضايا الحرب والسلام ، والمنافسة مع السوفييت ، واستمرار وتصاعد الحرب الباردة ، والحاجة الى تغيير الأولويات الأمريكية فقال : « مع منتصف الثمانينات كان الشعب الأمريكي مستعدا لأن يتخلى عن الحرب الباردة فى أول فرصة واقعية ، وكانت أسباب ذلك : تراكم المشكلات الداخلية ، والأمل الذى قدمه صعود جورباتشوف فى علاقات متحسنة مع الاتحاد السوفيتى · لقد شعر الرأى العام الأمريكى صعوبة محاولة حمل شيئين فى وقت واحد : التركيز على التهديدات الداخلية والخارجية · لقد حان الوقت ـ كما شعر الرأى العام ـ أن يتحول اهتمام الأمة الى الداخل · وظهرت استفتاءات الرأى العام أنه منذ منتصف الثمانينات أصبحت الأمة قلقة بشكل متزايد حول تعرض الوضع الاقتصادى للخطر لتهديد الأمن القومى ، وأن الوقت قد حان للتحول من ضرورات محاربة الشيوعية الى الأولويات الداخلية » ·

هل كانت ادارة ريجان وسياساتها وراء انهاء الحرب الباردة ؟

رأينا كيف أن التطور الذى حدث فى العلاقات الأمريكية السوفيتية خلال سنوات ادارة ريجان وبشكل خاص فى ولايته الثانية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨ ، لم يقتصر فحسب على احداث هذه النقلة النوعية فى العلاقات وتحويلها بشكل حاسم من المواجهة الى التفاوض والتعاون ، وانما تعدى ذلك على تجريدها من عناصر ومصادر التوتر الكامنة والتى كانت من دوافع الحرب الباردة بالشكل الذى تطورت اليه بعد الحرب الثانية · بسبب هذه الأبعاد للتطور الذى حدث فى نهاية الثمانينات سوف يناقش المؤرخون سؤالا جوهريا عما اذا كان رونالد ريجان وادارته قد هدفوا فى المقام الأول الى احداث هذا التطور ووفق تصميم مسبق ، رغم حجم ودور ريجان وادارته فى تحقيقه ·

بطبيعة الحال فان ريجان وشخصيات ادارته ينظرون الى أنفسهم باعتبارهم القوة الدافعة وراء هذا التحول ، وأن سياساتهم التى اتبعوها منذ مجيئهم الى السلطة تجاه الاتحاد السوفيتى على المستوى الأيديولوجى، والعسكرى بتصميمهم على بناء القوة العسكرية الأمريكية وعدم التفاوض

الا من مركز القوة ، وتصديهم للسياسات السوفيتية فى المناطق الاقليمية كانت من العوامل الحاسمة وراء التحول في التفكير السوفيتى ومراجعته لسياساته التقليدية ، وقد بلور رونالد ريجان هذا التفكير فى خطبة الوداع التى ألقاها مع نهاية ادانته حين قال : « لقد كنا نهدف الى تغيير الأمة وبدلا من ذلك فقد غيرنا العالم » (١٤٤) ٠

ويفصل أنصار مدرسة ريجان Reagan Victory School ، هذا التفكير فيعتبرون أنه على المستوى الأيديولوجى ، فان حملة ريجان الأيديولوجية ضد الاتحاد السوفيتى وقادته قد أنزلت ضربة الموت بالنظام السوفيتى ، وأن الحرب الباردة قد كسبت نتيجة للمواقف الأيديولوجية التى لا تنازل فيها والتأكيد على تفوق الغرب وقيمه والانكار الكامل لأية شرعية أخلاقية للنظام السوفيتى ، وأنه وراء هذا التفكير كانت تكمن فلسفة أيديولوجية عميقة للتاريخ والسياسة وفهم للسياسة باعتبارها حربا بين الأفكار ، والاعتقاد ـ مثلما اعتقد لينين ، أن الأفكار أكثر قوة من المدافع ، فقد جعل هذا التفكير ، الذي وجه أنصار مدرسة ريجان ، ينتقدون أصحاب مدرسة الواقعية Realpotitik من أمثال جورج كينان وليبمان ومورجانثو وكيسنجر باعتبار أن أفكارهم تمثل سوء فهم للاتحاد السوفيتى كما رأوا فى برامج كيسنجر للوفاق بين الشرق والغرب مساومة أخلاقية بما كان يعنى نزعا منفردا للتسلح الأيديولوجى (١٤٥) ٠

وعلى المستوى العسكرى فقد اعتبر أنصار مدرسة ريجان أن المواجهة العسكرية والاصرار على البناء العسكرى وخاصة برنامج الدفاع الاستراتيجى كان مقدمة ضرورية لما تلا ذلك من سلام ووفاق ، فعندهم فان الاتحاد السوفيتى وقادته لم يحترموا الا القوة ، وان اعادة تسليح أمريكا كان ضرورة لاقناعهم أن الغرب لم يكن فى مرحلة تدهور أو ضعف وانه مازال مستعدا لبذل التضحيات المطلوبة لضمان الصمود ضد أى ضغط أو تهديد سوفيتى (١٤٦) ٠

---

(١٤٤) — Dibel, Terry, "Reagan's Mixed Legacy" op. cit., p. 45.

(١٤٥) — Danial Deudney & G. Ikenbury, "Who won the cold war ?" Foreign Policy. Summer 1992, p. 133-134.

(١٤٦) — Burman, "America and the world", op. cit., p. 169.

وتلخص مدرسة ريجان رأيها فى تأثير البناء العسكرى الأمريكى وبشكل خاص مبادرة الدفاع الاستراتيجي على التطورات السوفيتية بالقول بأنه قد وضع الاتحاد السوفيتى وقادته أمام مأزق وخيارين كلاهما صعب، اما مجاراة البناء العسكرى الأمريكى الى حد الافلاس ، أو عدم مجاراته وبذلك يكون الاتحاد السوفيتى قد فقد ارعاءه الوحيد الذى يجعل منه قوة أعظم وهى القوة العسكرية • بل انهم يذهبون الى أن عملية البناء العسكرى الأمريكى التى تولتها ادارة ريجان ، كانت هى العامل المساعد Catalyst الذى حركه وأعطى بعدا جديدا للنقاش الذى كان قد ظهر حتى خلال عهد برجنيف فى المعاهد ومراكز البحث بل والمؤسسات العسكرية والعلمية، فان الاتحاد السوفيتى مهدد بأن يصبح من مناطق العالم الثالث اقتصاديا واجتماعيا ، وهو المفهوم الذى جرت مناقشته علنا بعد مجىء جورباتشوف (١٤٧) •

تلك كانت دعاوى مدرسة ريجان التى نسبت الى سياساتها فى الضغط العسكرى والسياسى والأيديولوجى على الاتحاد السوفيتى الفضل فى انهاء الحرب الباردة بالشكل الذى انتهت به وفى غلق الخيارات أمام قادته الا خيار التخلى عن سياساته التقليدية فى الخارج والداخل •

غير أن دعاوى أنصار مدرسة ريجان تلك قوبلت بالتشكيل والتفنيد من العديد من المحللين والباحثين الذين اعتبروا أن القول بأن سياسات ريجان كانت هى السبب فيما حدث هو قول مضلل وغير دقيق سواء فى تفسير أحداث الثمانينات أو فى الفهم الأعمق للقوى التى أدت الى انهاء الحرب الباردة • ويستند من يعترضون على تفسيرات مدرسة ريجان الى أنه بشكل عام فان التحولات السياسية والتاريخية الكبرى من الصعب أن تكون يحتاج قوة واحدة حتى لو كانت قوة عظمى (١٤٨) ، وانما هى مرحلة تفاعل عدد من العوامل والتطورات التى تحدث عادة على جانب

---

(١٤٧) — Urban, G. R., (ed.) "End of Empire. The denise Soviet Union" The American University Press, 1993, p. xxxii.

(١٤٨) — Dibel, "Reagan's Mixed Legacy" op. cit., p. 45.

الصراع وان كانت بنسب متفاوتة . وعندهم ، أن الحرب الباردة قد انتهت أساسا بسبب فشل النظام السوفيتي ذاته (١٤٩) ، وان كانت القوى الخارجية قد أسرعت به وكشفت من أزمته . ويفصلون هذا بالقول بأن المشكلة الرئيسية للنظام السوفيتي كانت في فشله في تقديم مستوى مقبول من المعيشة لشعبه ، وفي عدم صلاحية وكفاءة النظام الاقتصادى ، ولكن العبء العسكرى كان عاملا مساهما في الفشل الاقتصادى والى الحد الذى كان فيه الانفاق العسكرى السوفيتي هو استجابة للمستويات الغربية في التسلح فان عملية البناء العسكرى الأمريكي في الثمانينات كانت كالقشة التى قصمت ظهر البعير ، واذا كان بهذا المعنى تصبح السياسة الأمريكية في عهد ريجان قد أسرعت بالانهيار السوفيتي فان ذلك لم يكن الا عاملا مساعدا (١٥٠) .

أما على المستوى الأيديولوجى فان معارضي مدرسة ريجان يعتبرون أنه وان كانت نهاية الحرب الباردة قد سجلت انتصارا أيديولوجيا للغرب ، الا أن هذا الانتصار لا يرجع للحملات والبيانات الأيديولوجية المتشددة لريجان واليمين الأمريكي المتشدد ، فالشرعية الأيديولوجية للنظام السوفيتي قد انهارت ليس بسبب هذه البيانات المتشددة ولكن بسبب اغراء النموذج الغربى المادى والثقافى وتقويضه للتفسير السوفيتي للحضارة الغربية التى أغوت عناصرها مجتمعات العالم الشيوعى بشكل أكثر فعالية من أى هجوم أيديولوجى معاد للشيوعية . وقد عالج المؤرخ والدبلوماسى الأمريكي جورج كينان ادعاء ادارة ريجان بشكل أوسع حين قال : « .. ان الادعاء بأن أية حكومة أمريكية لديها القوة للتأثير بشكل حاسم على مجرى الغليان الداخلى في بلد كبير آخر هو ببساطة ادعاء طفولى .. ان أية قوة عظمى ليس لديها مثل هذا النفوذ على التطورات الداخلية لقوة أخرى .. » (١٥١) .

---

(١٤٩) — Gelb, Lesli, "The Victory Credits ..." op. cit.

(١٥٠) — Burman, "America and the World", op. cit., p. 170.

(١٥١) — Kennan, George, "Who won the cold war ..." The New York Time , Octob. 29, 1992.

واتســـاقا مع موقفه التقليدى الناقد لتركيز الولايات المتحدة على الأمور العسكرية فى التعامل مع موسكو ، فقد أنكر كينان أن يكون البناء العسكرى الأمريكى خلال الثمانينات له تأثير كبير على التغيرات التى حدثت فى الاتحاد السوفيتى بل انه اذا كان هذا البناء قد ساهم فى شىء فهو تقوية أيدى المتشـددين فى الكرملين الذين عارضوا التغييرات التى كان جورباتشوف يحاول تنفيذها • وذهب كينان ان تطويع النظام السوفيتى ، أو بالمعنى الشهير الذى استخدمه فى مقالته الشهير فى أوائل وبدايات الحرب الباردة (١٥٢) ، Mellowing كان فى المقام الأول نتيجة قوى تفاعلت داخل المجتمع السوفيتى ، وكانت أهم هذه القوى فى رأيه هو فقدان الشعب السوفيتى للوهم بفشل النظام الشيوعى فى تقديم المزايا المادية التى وعد بها ، وشعوره وفقا لمبادىء الستالينية ، وعدم رضـا الأقليـات الاثنية من خضوعها للأغلبية الروسية ، وتزايد وعى الشعب السوفيتى بالظروف خارج بلاده ، وبالفجـوة التى تفصله عن الأمم المتقـدمة فى الغرب ، كل هذه الأوضاع هى التى جعلت أكثر القادة السوفيت بصـيرة بضيدة يقررون أن اصلاحا جذريا هو وحده الذى يحول دون أن يسقط الاتحاد السوفيتى فى الطريق (١٥٣) •

غير انه رغم هذا التفنيد لادعاءات ادارة ريجان حـول دورها فى « تغيير العالم » ، فان بعضا من الباحثين ، حتى من لم يقبلوا كلية ادعاءات مدرسة ريجان ، قد نسبوا بعض الفضل لريجان فى تعامله مع جورباتشوف واستجابته لما جاء به واستعداده لمقابلته عام ١٩٨٥ وسلوكه الودى تجاهه مما خفف من المخاوف السوفيتية التى كانت قد تراكمت تجاه ريجان منذ مجيئه الى الحكم ، وبعد قمة جنيف نجح ريجان فى استخلاص النتائج التى خالفت قطاعات لا يستهان بها من المحافظين ، وهى النتائج التى ثبت بعـد ذلك صحتها ، وعند هؤلاء أنه اذا كان ريجان ظل متمسكا بمعتقداته القديمة حول الاتحاد السوفيتى ، وحول الشيوعية وقادتها ، فربما كانت الحرب

---

(١٥٢) — Kennan, George, "The sources of Soviet Conduct Foreign Affairs.

(١٥٣) — Kennan, George, "obituary for the cold war" New Perspective. Quarterly, summer, 1988.

الباردة قد استمرت حتى نهاية القرن (١٥٤) . وقد دفعت هذه النظرة بعض مؤرخي ريجان الى القول بأنه رغم أنه كان أكثر الرؤساء الأمريكيين أيديولوجية منذ ويلزو ويلسون ، الا أنه كان الرئيس الوحيد الذى نضج في أسلوبه ، وهو النضج الذى بدا في هذا التحول السياسي (*) .

---

(١٥٤) — Judis, John, "Grand Illusion : Critics and Champions of American Century" Fessar & Straus & Giraux, New York, 1992. p. 223

— Ibid, p. 299.

(★) ينسب بعض المحللين الفضل في هذا الى وزير خارجيته جورج شولتز ، ففضلا عن خصائصه الشخصية التى ادخلت الهدوء وخففت من الاندفاع الأيديولوجي الذى جاءت به الادارة الى الحكم ، فقد كان مجيئه الى الادارة في الوقت المناسب ومع مفترق طرق في الحرب الباردة وحيث رأى ما لا يستطع غيره أن يراه وهو أن الاتحاد السوفيتي يمر بتغيرات ضخمة وعميقة . كما لم يتأثر تفكيره بعقائد ومفاهيم الحرب الباردة والعداء للشيوعية ، وفي الوقت الذى ظل بعض مستشاري ريجان والمحيطين به في الادارة ينظرون الى الماضي ، ويستقرأون الاته رغم كل ما كان يبدو من تغيرات ، كان شولتز يتطلع الى المستقبل ويتعامل مع معطيات واقع جديد .

راجع :

— Schlesinger, James, "Reagan's Pragmatist" The National Interest, fall, 1993 pp. 79-83.

وراجع أيضا ، وبشكل اكثر تأكيدا لمساهمة شولتز ودوره في ترشيد الـ Reaganism

Tucker, Robert, "Playing a good hand, the secrets of shultz success" Foreign Affairs, Sept-October, 1993, pp. 138-148.

الجزء الثـــانى

فى البحث عن نظام دولى جديد

تقـــديم

١ ـ نهاية التاريخ أم عودته .

٢ ـ سياسات التسلح بعد الحرب الباردة

٣ ـ الأمم المتحدة : توقعات كبيرة

٤ ـ القوى الدولية وعلاقاتها المتوقعة

تقـــديم

مثلما ارتبط ظهـور الحرب الباردة ببروز الاتحاد السوفيتى بعـد الحرب العالمية الثانية كنظام سياسى واجتماعى وكأيدلوجية منافســة ، وكقوة دولية ذات قدرات عسكرية وتحالفات دولية جعلت منها احدى القوتين الرئيسيتين فى عالم ما بعد الحرب الثانية ، كذلك ارتبط انهيار البناء السوفيتى فى أوائل التسعينات بطوابقه المختلفة ، بانتهاء الحرب الباردة والعلاقات والمفاهيم التى حكمت ووجهت العلاقات الدولية على مدى الحقب الأربع الماضية ·

لذلك لم يكن غريبا القول بأن التطورات التى لحقت بالوضع الدولى نتيجة لذلك وتغييرها للبيئة الدولية ، انما توازى ، وقد تفوق ، فى تأثيراتها أحداثا تاريخية ضــخمة مثل الحرب النابولينية ،والحربين العالميتين الأولى والثانية · كما كان من الطبيعى أن تدفع هــذه التطورات بالمحللين ، والمؤرخين ومراكز البحوث والساسة الى أن يبحثوا ويتأملوا فى معانى ودلالات هذا التطور على المستوى الفلســفى والتاريخى وكذلك مترتباته العملية ·

وكذلك شهدنا ظهور نظريات ترى فيما حـدث « نهاية التاريخ » ، وانتصــارا نهائيا وحاسما للديمقراطية الليبرالية بشــقيها الســياسى والاقتصــادى ، وانتفاء لأى تحـد للغرب الذى خـرج منتصرا من صراع الحرب الباردة · وعلى مستوى التوقعات لسياسات ونظم « العالم الجديد »، وعلاقاته والقوى التى ستحكمه ، اتجهت الأنظار الى المنظمة الدولية التى نشــأت فى أعقاب الحرب الثانية لتقوم بدور فعال فى الأمن والاستقرار الدوليين غير أن جهودها قد أحبطت بفعل الاستقطاب الدولى الســياسى

والأيديولوجى الذى فرضته الحرب البـاردة ، ولذلك كان غيـاب الحرب الباردة وعلاقاتها سببا فى احياء الآمال فى أن تصبح المبادىء الأصيلة للمنظمة وميثاقها أســـاس النظام الدولى الجديد • وباعتبار أن سباق التسلح والبناء العسكرى وما فرضه من انفاق ضخم كان من أهم المظاهر التى صاحبت الحرب الباردة ليس فقط على مستوى القوى الكبرى ، وانما على امتداد مناطق العالم ، لذلك تطلعت أنظار الشعوب خاصة ، الى أن تجنى ثمار السلام المتوقع ، والى توجيه الميزانيات المخصصة للتسلح الى المجالات المدنية والانفاق الاجتماعى والاقتصادى •

غير أن السؤال الرئيسى الذى ثار بعد انسحاب قوة دولية رئيسية وهى الاتحاد السوفيتى من الوضع الدولى ، دار حول ماهية القوى أو القوة التى ستحكم العلاقات الدولية فيما بعد الحرب الباردة ، وعن طبيعة النظام الدولى الجديد وهل سيرتكز على قوة واحدة تنفرد به ، أم على نظام القطبية الثانية من جديد ، أم على قوى متعددة ؟ •

سوف نعرض فى هذا الجزء من دراستنا لهذه التوقعات والتساؤلات ، وهى التوقعات التى ثبت ، حتى الفترة الزمنية التى تتوقف عندها هذه الدراسة وهو عام ١٩٩٢ ، أنها اتسمت بالتبسيط والتفاؤل الشديد ، وأن الواقع الدولى كما تطور بعد انتهاء الحرب البـاردة ثبت أنه أكثر تعقيـدا وغموضا جعله يستعصى على التحديد وربما سيظل كذلك على الأقل لحقبة قادمة •

نهاية التاريخ أم عودته

فى صيف عام ١٩٨٩ ، ومع مظاهر انهيار النظم والنظرية الشيوعية فى الاتحـاد السـوفيتى وما بدا من فشلها على المستوى الفلسفى والسياسى والاقتصادى ، كتب مفكر أمريكى شاب مقالا فى احدى الدوريات الأمريكية المحافظة تحت عنوان « نهاية التاريخ » (*) • فى هذا المقال حاول الكاتب أن يقرأ تصدع النظم الشمولية فى ضوء فلسفة التاريخ وفلاسفته : هيجل، وماركس ، وكانط ونيتشه وشراحهم ، ورأى فى فشل النظـرية والنظم الشيوعية وخروج الغرب منتصرا من مواجهته المتعددة الوجوه انتصارا نهائيا للديمقراطيـــة الليبرالية فى شقيها المتمثل فى النظام الديمقراطى ، والاقتصادى المعتمد على الرأسمالية واقتصاديات السوق •

وفى هذا المقــال اعتبر كاتبه ـ فرانسيس فوكوياما ـ ان القرن العشرين قد بدأ والعــالم المتقـدم يخوض صراعا عنيفـا بين الليبرالية والديموقراطية وبين بقايا الحكم المطلق ثم مع النازية والفاشية والبولشفية، ثم انتصف بما تنبأ به البعض من عملية تلاقى أو تقارب بين الرأسمالية الاشتراكية (١) ، غـير أن القـرن ينهى دورته بالنصر الواثق لليبرالية السياسية والاقتصادية • وقد رأى فوكوياما هذا النصر نهائيا من حيث انه

(*) راجع : السيد أمين شلبى • نظرية التقارب وانعكاساتها على المجتمع الدولى » السياسة الدولية ، القاهرة ، أبريل ، ١٩٧٠ •

(١) Fukuyama, Francis, "The end of History", The National Interest 16, Summer 1989, p. 3-18.

يستبعد بشكل كامل أى نظم بديلة صالحة للحياة الليبرالية الغربية. وحيث ظهرت مقالة فوكوياما فى سياق الجدل العريض حول نهاية الحرب الباردة، فان ما رآه لم يكن مجرد انتهاء الحرب الباردة وانقضاء فترة من فترات التاريخ، وانما نهاية التاريخ نفسه ووصوله الى نقطة نهائية فى التطور الأيديولوجى للبشرية، ولعالمية الديمقراطية الغربية كشكل نهائى من أشكال الحكم.

على أنه رغم الانتقادات والتحديات العنيفة التى وجهت لفوكوياما ونظريته منذ ظهورها (*)، والتى فهم منها منتقدوه أنها تستخلص أن البشرية قد اهتدت أخيرا الى الصيغة المثلى للتنظيم الاجتماعى وهى

(=) فى عام ١٩٩٢ طور فوكوياما نظريته فى كتابه:

The End of history and the last man (The free press).

حيث أراد أن يعود فيه الى السؤال القديم: عما اذا كان، ومع نهاية القرن العشرين يمكن أن يبدو مقبولا أن نتحدث عن تاريخ مترابط للبشرية.

Coherent and directional history.

يتجه بالجزء الأعظم منها نحو الليبرالية الديمقراطية، وكانت اجابته على هذا السؤال نعم، واستند فى هذا على عاملين، الأول هو ما أسماه «بمنطق العلم الحديث»، والثانى الاتجاه الانسانى نحو ما أسماه The struggle for freedom.

وهو ما يعنى اتجاه الانسان لأن يشعر انه مرغوب فيه دون رقابة من الآخرين.

PP. xii, xiii, 146, 147.

(★) تضمن نفس العدد الذى ظهرت فيه مقالة فوكوياما فى مجلة: The National Interest عشر مقالات لأساتذة وكتاب وساسة يفندون فيها نظريته. وكان من أبرز من شاركوا فيها الأستاذ Samuel Huntigton مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد، والذى لاحظ أن تراجع مجموعة من المثل والأفكار لا يعنى اختفاءها تدريجيا فقد تعود الى الظهور بقوة متجددة بعد جيل أو جيلين، كما لاحظ. الانبعاث الدينى فى الثمانينات كظاهرة عالمية، كما نبه الى أن انتصار عقيدة ما لا يعنى انتفاء وعدم توقع ظهور خلافات داخل صفوفها. كذلك كان من أبرز من تحدوا نظرية فوكوياما فى أسسها الفلسفية والتطبيقية: Gertrude Himmelfatb الأستاذ بجامعة نيويورك فقد أعتبر أن هيجل لم يقل أبدا ان التاريخ سوف ينتهى بالمعنى الحرفى فهو عملية مستمرة تظل فيها حركة الديناميكية لا تتوقف، وتساءل متهكما «... وماذا عن الفقر الأسود، وفقر الطبقات الدنيا وحيث يموت الشبان السود كل ليلة فى الخطوط الأمامية لحرب المخدرات، ان التاريخ بهذا المعنى قد انتهى بل ربما انه قد بدأ فعلا».

— Gray, Collin, "War, Peace and victory" strategy and statecraft for the next century" Simon & Schuster, 1992, p. 10.
— Lewis. Berdard, "Rethinking the Middle East" Foreign Affairs, all 1992, p. 112.

الرأسمالية الديمقراطية ، وأن الصراع قد انتهى بشكل لا يتصور معه ظهور أية أيديولوجية أو هياكل اجتماعية أخرى منافسة أو أكثر جاذبية على المستوى العالمى ـ على الرغم من هذه الانتقادات الا أنه كان من الواضح أن مقالته قد ظهرت فى سياق من الاستبشار وروح الانتصار التى شاعت بانتهاء الحرب الباردة وخروج الولايات المتحدة والغرب منتصرين من مواجهاتهـــا ٠

غير أن شهورا قليلة مرت على هذا الشعور العام حين بدأت تظهر سحابات وغيوم فى السماء التى بدت أنها صفت ، وبدأ يتجمع من الشواهد العملية ما يثبت صحة العديد من الانتقادات التى وجهت لفوكوياما ، وما يشير الى انقضاء مواجهة الحرب الباردة وتراجع تهديداتها واخطارها لا يعنى انتفاء الأحداث والتطورات التى تشكل تحديات جديدة وتولد أوضاعا تحمل فى طياتها أخطارا متجددة ٠

ومن المفارقات أن أول التحديات التى واجهها الوضع الدولى الجديد وصنع أول أزمات ما بعد الحرب الباردة ، يجيء من المناطق التى تجاهلها فوكوياما واعتبرها « خارج التـــاريخ » ، أو على أكثر تقدير تقع على حواشيه وعلى « أطراف عصرنا الجديد الشجاع » ، ونعنى بهـــا العالم الثالث ٠ ففى ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ أقدم العراق على غزو دولة صغيرة مجاورة هى الكويت واحتلها ٠ وقد تداخل عـدد من العوامل التى جعلت من هذا الغزو حدثا يتعدى نطـــاقه المحلى والاقليمى : منهـــا الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج وامكاناتها البترولية التى تمثل نصف انتـــاج العالم من بترول اليوم ، وثلثى احتياطيه المحقق غـدا ، وتصور الطبيعة المسيطرة والميالة للتوسع للنظام العراقى ورهافة النظم الخليجية المحيطة به وضعف كياناتها٠غير أن هذه الاعتبارات قد ضاعف منها وأعطى لهذا الغزو بعدا أشمل ، حدوثه فى أعقاب التحول الذى حدث فى الوضع الدولى ، وتصفية مصادر الحرب البـاردة بين قطبى الصراع السابق بمستوياتها الأيديولوجية والعسكرية والسياسية ، وبما تضمنته العلاقة الجديدة من مبادىء نبذ الحرب وعدم استخدام القوة أو التهديد بها وتسوية المنازعات بالطرق السلمية ، ولذلك بدا العمل العراقى كتحد لهذا الوضع الجديد

واختبارا له في نفس الوقت (*) ، وأكثر من هذا تحديا للقوة التى ظهرت منتصرة من المواجهة المنقضية واختبارا لموقعها الجديد فى عالم ما بعد الحرب الباردة ٠

وهكذا تصـــورت الولايات المتحدة هذا التحـــدى ، واستخدمته واستخدمه رئيســـها لكى يثبت قيادتها لعالم ما بعد الحرب الباردة ، والاعلان عن بزوغ نظام دولى جديد ، واستخدمت قوتها العسكرية لكى تثبت أن القيادة الأمريكية أمر لا غنى عنه فى عالم متغير كمـا استخدمت تحالفاتها الدولية وتعبئتها لها لكى تشكل ائتلافا دوليا تبدو فيه الولايات المتحدة فى موضع القيادة ٠ وقد بلور الرئيس الأمريكي جورج بوش ، وهو فى قلب أزمة الخليج ، هذه المعانى فى خطابين رئيسين له أمام اجتماع مشترك للكونجرس الأمريكى فى ١١ سبتمبر ١٩٩٠ ، وكذلك فى خطبته عن حالة الاتحاد فى ٢٩ يناير ١٩٩١ ، فقد تحدث عن النظام العالمى الجديد وتصوره له بأنه النظـــام « ٠٠ الذى يحل القانون محل حكم الغابة ٠٠ » وحيث تعترف الأمم بالمسئولية المشتركة حول الحرية والعدالة

(*) دافع عن هذا المنطق ليس فقط الجانب الأمريكى ، وانما ممثل الشريك فى العلاقات الدولية الجديدة وزير خارجية الاتحاد السوفيتى عندئذ ادوارد شيفرنادزا ، فقد كتب فى مذكراته يدافع عن الموقف الدولى والسوفيتى من الغزو العراقى للكويت يقول : انه ان لم يكن العـالم قد تمكن من رد العدوان فانه لم يكن ليكسب شيئا من انهاء الحرب الباردة ومن التخلى عن المواجهة ، ومن الاتجاهات الايجابية فى الساحة الدولية ٠٠٠ » :
Shevardnadze, Edward, "The future belongs to freedom" Sinclaire-Stevenson, 1991.

– وكتب باحث أمريكى : « ٠٠ بالاضافة الى الرغبة فى ازالة عقدة فيتنام المترسبة ، فقد صمم بوش على استخدام القوة فى حرب الخليج لكى يقيم « النظام الدولى الجديد » ٠ وفى رسالته عن حالة الاتحاد اعلن أن ما هو معرض للخطر هو اكثر من دولة صغيرة انه فكره كبيرة : النظام الدولى الجديد » ، وفى رفضه للفكرة التى شاعت عن اضمحلال امريكا دعا بوش الأمريكيين للاستعداد « للقرن الأمريكى التالى » ٠

— Payne, Richard, "The West European Affairs, The Third World and the U.S. Foreign Policy" Proeger, 1991, p. 140.

كما كتب باحث اخر « كان يبدو أن حماية المصالح الأمريكية والغربية فى الخليج يمكن تحقيقها بدون اللجوء الى هذه الاجراءات العنيفة ، ولكن اتجاه أمريكا الى أبعد ما هو مطلوب وضرورى يمكن تفسيره فقط فى ضوء الرغبة فى الاستفادة من الانهيار السوفيتى لتاكيد النفوذ والتفرد الأمريكى » ٠

Buman, "America and the world" op. cit., p. 189.

•• وحيث يحترم القوى حقوق الضعيف •• وحيث تلتقى الأمم المختلفة معا حول قضية مشتركة للوصول الى الأمانى العالمية البشرية ، السلام والأمن ، الحرية وحكم القانون •• » غير أن الرئيس الأمريكى رأى ان مثل هذا النظام الجديد يمكن أن يتحقق فقط « اذا ما قبلت الولايات المتحدة عبء القيادة التى لا غنى عنها •• وفى هذه اللحظات المحددة الفاصلة فى تاريخ الأمة ، فان أمريكا هى القوة الوحيدة فى هذا العالم التى يمكن أن تجمع قوى السلام » (٢) •

ولم تكن مواجهة هـذا التحـدى قاصرة فقط على تأكيد القيـادة الأمريكية ، وانما قدم فى نفس الوقت تجربة عملية على انتقال العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من التافس والصراع الى التعاون بل والمشاركة Partenership حيث أدان الاتحاد السوفيتى العدوان دبلوماسيا بمشاركته فى كل قرارات مجلس الأمن التى اتخذت حوله ، ووقفه لامدادات السـلاح لنظـام كان حليفـا له وتربطه به معـاهدة للصداقة والتعاون (٣) (*) •

كان هذا هو الوجه الايجابى لأزمة الخليج بالنسبة لنظام وعلاقات ما بعد الحرب الباردة من وجهة نظر الأمريكيين ، غير أن تطورات وأوضاع ما بعد الحرب جاءت لكى تشكك فى حقيقة الانتصار الذى تحقق ، وعن ما اذا كان حقا قد أقام أسسا دائمة للاستقرار تنتفى معه مصادر التوتر

---

(٢) — Robert Tucker, & David Heldrick on, "The Imperial temptation", The New world order and the American's purpose" Council of foreign Relations Press, New York, 1992.

(٣) كان الموقف السوفيتى من ازمة الخليج دليلا عمليا لاقناع الولايات المتحدة والغرب بأن الاتحاد السوفيتى لم يعد معنيا بالتنافس معهم أو بسياسات القوى ، وهكذا كانت ازمة الخليج اختبارا للسلوك السوفيتى الجديد ، وقد تصرفت القيادة السوفيتية وفقا له •

SHARR, Paul, "The Great Test : Soviet Diplomacy and the Gulf War" Diplomacy & State Craft, No. 2, 1992, pp. 272-3.

(*) بذلت الدبلوماسية السوفيتية فى المراحل الأخيرة للأزمة ، وقبل استخدام القوة محاولات لتسوية سلمية ، الا أنها كانت فى النهاية تلتزم وتتلاقى مع الموقف الأمريكى والغرب •

التى يمكن أن تنفجـر ـ بصـــور مختلفة ـ فى أشـكال من الصراعات والمواجهات ، فرغم الانكسار الذى لحق بصدام حسين ونظامه فقد ظل باقيا فى الحكم يبعث مجرد وجوده ويغذى عنـاصر التوتر والتخوف بين جيرانه كما يبدو فى نفس الوقت وجوده الهش مؤشرا لما يمكن أن يتطور اليه وضع العراق وتعاملها الاقليمى وانعكاسات ذلك على استقرار المنطقة ، كما استمرت مصادر التوتر الاجتماعى بين شعوب المنطقة نتيجة لتفاوت الثروة وعدم التوصل بصايغة للتعاون الاقليمى ، كما تصاعدت واتسعت موجة المد الاسلامى فى صوره المتطرفة ، كما لم تبد امكانات كبيرة لقيام نظم ديمقراطية واتســاع المشاركة السياسية ، هذا فضـلا عن تصاعد اتجاهات التسلح بين دول المنطقة تحسبا لمظاهر عدم الاستقرار ومصادره التى ما زالت قائمة ٠

كذلك كان من المفارقات التاريخية ، أن الأخطار والتهديدات التى ستواجه النظام الدولى الجديد سوف تتولد نتيجة للانهيارات التى وقعت داخل الكتلة السوفيتية ٠ ولأن هذا الانهيار حدث على عدة مستويات (٤) لذلك كانت آثاره بالغة التعقيد ٠ فقد انهـار النظام والنظرية الشيوعية التى حكمت لمدة ٧٥ عاما سواء فى بعدها السياسى الشمولى أو الاقتصادى والاجتماعى القائم على نظام التخطيط المركزى ٠ كمـــا انهار نظـــام الامبراطورية التى سبقت قيام الحكم الشيوعى بثلثمائة عام وضمت وحكمت شعوبا وأجناســـا متباينة ٠ كذلك تفككت الامبراطورية السوفيتية كما تشكلت بعد الحرب الثانية وضمت شعوب وبلدان شرق أوربا ، وطبقت العقيدة السوفيتية فى الحكم والمجتمـــع ، وشكلت ، دوليـا ،المنظومة الاشتراكية بمؤسساتها السياســـية العســـكرية (حلف وارسو) ، والاقتصادية (الكوميكون) ٠

وبحجم هذا الانهيار المتعدد الطوابق ، كانت الأخطار التى تولدت عنه وعن الأوضاع التى تكمن فيها عناصر عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ بما ستتطور اليه ٠

---

(٤) — Kissinger, Henry, "Modest help for Soviet than Just the Russians" I.H.T. March 30, 1992.

فنتيجة لانهيار النظام السياسى للحكم الشيوعى وقبضته المركزية ، تفككت وحداته وأعلنت جمهورياته الخمس عشرة استقلالها كدولة مستقلة (٥) ، وتضمن هذا ما يكمن فيها من خلافات حول الحدود ونزاعات عرقية سواء بين هذه الجمهوريات بعضها البعض أو فى داخلها بما تتضمنه من أقليات خاصة الروسية منها • فكما قدرت أكاديمية العلوم الروسية للجغرافيا ثمة أكثر من ١٦٠ نزاعا على الحدود من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، فضلا عن مشكلة الأقليات عبر الحدود ، فهناك ٢٥ مليون روسى يعيشون خارج حدود روسيا ، ويمثل العنصر الروسى ٣٠٪ من سكان استونيا ، ٣٨٪ فى لاتفيا ، وفى روسيا نفسها هناك أكثر من ١٥٠ أقلية (٦) •

وقد قارن بعض المؤرخين معانى وآثار انهيار الاتحاد السوفيتى وقارنوه بتأثير اتفاقية فرساى عام ١٩١٩ بالنسبة لألمانيا بعد الحرب الأولى، وكذلك بالنسبة لفرنسا حين خسرت شمال أفريقيا فى الخمسينات والستينات مشيرين الى أن الشعور بالمهانة الذى نجم عن اتفاقيات فرساى كان من العوامل الحاسمة فى ظهور الاشتراكية القومية فى ألمانيا ، وان كانت الخسائر التى لحقت بألمانيا لم تكن قاضية ، فقد خسرت ألمانيا مستعمراتها غير الهامة ، ومقاطعات مثل الالزاس واللورين ، وعلى العكس من روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتى التى لم تعد تمثل الا أقل من نصف سكانه ، وظل من مليون من أصل روسى خارج روسيا يخضعون لسادة غير متسامحين (٧) •

---

(٥) فى ٨ ديسمبر ١٩٩١ ، أعلن فى مدينة برست فى جمهورية روسيا البيضاء : « نحن جمهورية روسيا البيضاء والاتحاد الروسى ، وأوكرانيا ، باعتبارنا الدول المؤسسة للاتحاد السوفيتى ، والموقعين على معاهدة الاتحاد عام ١٩٢٢ ، والمشار اليهم بعد ذلك باعتبارهم الأطراف العليا المتعاقدة ، نقرر أن الاتحاد السوفيتى كأحد أطراف القانون الدولى وكواقع جيوبولتيكى ، لم يعد قائما » :

— Cruwshaw, Stove, "Good by the USSR, the Collapse of the Soviet Power" Bloom bury, 1992, p. 223.

(٦) — Jacques Attali, "Will Bolkan tribalism speed to the we t ?" The European, 10-13 Sept.

(٧) — Laquer, Walter, "Russian Nationalism" Foreign Affairs Winter 1992-1993, p. 101.

كذلك رأى آخرون فى تفكك الاتحاد السوفيتى حدثا قد لا تتبدى نتائجه كاملة ربما قبل انقضاء قرون أو أكثر مذكرين بأن آثار انهيار امبراطورية الهابسبورج والامبراطورية العثمانية ما زالت تجرى فى البلقان ، وردوا ذلك الى الاتحاد السوفيتى لم يعد قوة عادية ، لوضعه الخطير فى القارى المترامى ، ثم لأنه كان امبراطورية أفكار وعقيدة يبدى حكامها تصميما على نشرها فى العالم ، هذا بالاضافة الى الأسلحة النووية القادرة على الوصول الى أى مكان ، وهذه الخصائص المرتبطة بانهيار الاتحاد السوفيتى بلورها الفيلسوف البريطانى ايزاك برلين بقوله : « لقد كان حدثا فريدا فى التاريخ الانسانى ، فلم يحدث من قبل أن انهارت امبراطورية بدون حرب وبدون ثورة أو غزو ، وهذا يعنى أن هناك قوى غير عادية كانت تفعل فعلها » (٨) ٠

ولعل أبلغ ما صور حالة الأوضاع بعد تفكك الاتحاد السوفيتى داخل واحدة من أكبر وحداته وهى روسيا ماكتبه محلل أوربى زار روسيا عام ١٩٩٢ (٩) « ٠٠٠ ان ما يكمن وراء ما يسود روسيا الآن من احساس بالارتباك والاضطراب والاجهاد هو الاحساس بالمهانة والبحث عن الهوية ٠٠ ويماثل وضع روسيا اليوم وضع ألمانيا عام ١٩١٩ الأمر الذى سيكون من الخطورة تعريضها بشكل أكثر للاهانة والعزلة ٠ لقد واجهت بريطانيا وفرنسا حقا بعد هذه الحرب صعوبات فقد امبراطوريتها ومحاولة التلاؤم مع الوضع الجديد والبحث عن أدوار جديدة ، غير أن اختلافهما عن روسيا اليوم هو أن مستعمراتهما كانت بعيدة وليست كما هى الحال مع روسيا ملاصقة لها بشكل خطير ، فضلا عن ان نظمهم الداخلية كانت متماسكة ولم تنهار مخلفة وراءها مثل هذه الفوضى الاجتماعية والاقتصادية ، فماذا عن روسيا اليوم بعد ان فقدت امبراطوريتها ، بل وتبدو حتى بدون دولة بعد أن ظلت قائمة على نظام الدولة المركزى القومى وترتكز لعدة قرون سابقة على سلطة القيصر المطلقة ، ولعدة حقب على الايدلوجية

---

(٨) — The Economist "The Resumption of History, The Post Soviet World", 26 Dec. 1992.

(٩) — Moisi, Dominique, "Nation searching its soul for true sense of Identity". The European, March 19, 1992.

الشيوعية • ان الهوية الروسية اليوم فى أحسن حالاتها اليوم تبدو غامضة ومشوشة ، فكيف تكون الهوية الروسية بدون أوكرانيا ، أو بدون عاصمتها التاريخية كييف ؟ ومن المفارقة فانه حين تريد روسيا الآن أن تقترب أكثر من الغرب من ناحية الشخصية والقيم ، تقف أوكرانيا ودول البلطيق بعد استقلالهم تفصلها عن تيار أوربى الرئيسى » •

ووسط هذا التشويش والاضطراب القومى يسجل الباحث الأوربى جدلا عميقا يعيد الى الأذهان التيارين التاريخيين المتصارعين حول الهوية والروح الروسية ، التيار المتمسك بالحكم الأسطورى القائم على العودة الى روسيا المقدسة ، والتيار المتطلع الى الغرب وقيمه • كما يسجل تحالفا غريبا بين التيار الأول المعادى للقيم الغربية وبين قوى الشيوعية السابقة والذين يشيعون الخوف من أن روسيا ذاتها سوف تتفكك كما تفكك الاتحاد السوفيتي حين ستطالب الأمم غير الروسية داخل الاتحاد بالاستقلال ورفض الاعتراف بالسلطة الفدرالية (١٠) •

غير أن أخطار تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار السلطة المركزية لم تقف قاصرة عليه وحده وعلى شعوبه بما تضمنته من عوامل عدم الاستقرار وعدم وضوح معالم أو أسس النظام الذى سيقوم على أنقاض النظام القديم المتداعى ، ولم يكن كذلك فيما يتعلق بتأثراته الخارجية ناجما فقط عن أن هذا النظام القديم كان يمثل ويحكم قوة كانت القطب الثانى الذى كان يتحكم فى العلاقات الدولية على مدى سبعين عاما منذ أن برز على الساحة الدولية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وطور قواه العسكرية والاستراتيجية بوجه خاص حتى وصل الى مرتبة القوة الأعظم Super Power ، لم يكن وضع الاتحاد السوفيتي فى ذاته هو سبب القلق الذى أشاعه تصدعه المفاجىء ، فقد عرف التاريخ انهيار امبراطوريات سابقة ، ولكن تميز انهيار الامبراطورية السوفيتية بأنه للمرة الأولى التى تتفكك فيها امبراطورية تمتلك ترسانة من الأسلحة

---

(١٠) — Ibid.

النووية وتحتوى على ٢٧٠٠٠ رأس نووية (١١) ، وأنها موزعة على أربع وحدات من الكيان القديم هى روسيا وأوكرانيا ، وكازخستان وروسيا البيضاء ووسط هذا التفكك وغياب سلطة حقيقية تتحكم وتشرف على هذه القدرات النووية ، وارتباط بالانهيار الاقتصادى (*) الذى تسحب أثره على الأوضاع المعيشية لآلاف العلماء والباحثين الذين يديرون ويتملكون أسرار التكنولوجيا النووية ، برزت المخاوف عن امكانية تسرب مواد نووية الى أيد وقوى خارجية تتطلع لبناء قدراتها النووية ، كما يمكنها اغراء العلماء السوفيت بالعمل لديها ، وعلى هذا نشأ تخوف حقيقى من أن يهز العالم موقف مشابه لهجرة العلماء الألمان بعد انهيار النازية والذين ساهموا فى تطوير القدرات النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وازاء هذه الأخطار التى تعرض للخطر نظام منع الانتشار النووى بذلت عدة محاولات لمواجهتها . فرغم ما بدا فى البداية من اعتراضات من جانب أوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، وكازاخستان ، فقد تم نقل الأسلحة النووية التكتيكية الى روسيا كما خصص الكونجرس الأمريكى ٤٠٠ مليون دولار لتسهيل عملية تصفية الرؤوس النووية ، وأنشىء فى موسكو « المركز الدولى للعلوم والتكنولوجيا » لاستيعاب وتوظيف العلماء السوفيت المشتغلين فى مجال تطوير تكنولوجيا السلاح النووى ، ومن المنتظر أن تساهم دول أخرى فى هذا الشأن ، كما أنه من المتوقع

---

(١١) — Holst, John, "The New Europe, A view from the North". FD. Information No. October 1991.

(★) عبر السيناتور الأمريكى سام نن رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ عن أخطار هذا الوضع بقوله « .. ان التهديد بهجوم نووى شامل ضد الولايات المتحدة هو اليوم منخفض عن أى يوم آخر ، الا أن التهديدات بهجوم نووى بأمر من جهة غير مفوضة Un outhorized أو بالصدفة ربما قد زاد لأن احدى القوتين الأعظم قد حل محلها أربعة بلدان تمتلك أسلحة استراتيجية نووية على أراضيها ، وكل من هذه البلدان الأربعة تواجه حاليا ضغوطا اقتصادية وعرقية وسياسية جادة لا تساهم فى الاشراف المركزى على الأسلحة النووية أو سلامة المفاعلات النووية .. وليس هذا مجرد خطر أو تصور نظرى ، فقد ذكرت لنا شخصيات روسية كبيرة فى موسكو الشهر الماضى أنهم قلقون بشدة على نظام التحكم المركزى وعلى سلامة الأسلحة النووية الاستراتيجية الموجودة فى أوكرانيا » .

"America has to get serious about the Ex-Soviet Union"
sum Nunn & Richard lugar, The Washington Porl, Dec. 23, 92.

انشاء مركز مماثل فى ركان على نطاق أصغر فى أوكرانيا • من ناحية أخرى فان مجلس مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى خلال اجتماعه فى براج فى ٣٠ ـ ٣١ يناير عام ١٩٩٢ تبنى اعلانا حول منع الانتشار ونقل السلاح يلزم دول الكومنولث الجديد Cis بالانضمام واحترام نظام منع الانتشار• ورغم هذه الاجراءات لمعالجة الأخطار التى تضمنها تفكك الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بالانتشار النووى فى تكنولوجيا السلاح ، الا أن هذه المشكلة ما زالت تتطلب تحليلا أشمل للتطورات الجارية وتعاونا استراتيجيا للتعامل معها (١٢) •

ولم تكن التداعيات التى حدثت نتيجة لغياب السيطرة السوفيتية على بلدان شرق أوربا وانهيار النظم الاشتراكية فيها بأقل أثرا من تلك التى نشأت عن تفكك الاتحاد السوفيتى ذاته • وقد أبرزت هذه التداعيات حالة عدم الاستقرار ان لم تكن الفوضى فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى دول أوربا الشرقية فى أعقاب انهيار النظم الشيوعية الحاكمة ، فرغم ابتهاج شعوب ومجتمعات هذه الدول بحرياتها الجديدة الا أنها بدأت تشعر بتأثير عملية الانتقال الحادة من النظام القديم واقتصادياتها القائمة على ضمان قدر من الأمان الاقتصادى والاجتماعى الى الأخذ باقتصاديات السوق ونظام الأسعار • وقد عبر الزعيم التشيكى فاسلاف هافيل بشكل بليغ عن حالة مجتمعه بعد انهيار النظام القديم فيها بقوله : « •• ان مجتمعنا مازال فى حالة صدمة ، وهو وضع كان يمكن تصوره ، ولكن أحدا لم يتوقع أن تكون الصدمة بهذا العمق • ان النظام القديم قد انهار ، ولكن النظام الجديد لم يولد بعد ، وتتصف حياتنا بشكل عام بعدم التأكد الكامن فى اللا وعى حول أى نوع من النظام نريده ، وكيف نبنيه ، وعما اذا كنا أساسا نمتلك وسائل وأدوات بنائه •• » • ورغم أن هافيل كان يتحدث ويصف حالة الأوضاع فى بلده ، الا أن حديثه يمكن أن يصور بدرجة أو بأخرى الأوضاع فى بقية بلدان أوربا الشرقية خلال عملية التحول التى تواجهها •

---

(١٢) — Zagorgki, Andrei "Post Soviet Nuclear Poliferation risks," "Security Dialogue, Sept. 1992, pp. 27-28.

وعبر كل بلدان أوربا الشرقية ، بدت عملية التحول من الاشتراكية الى الرأسمالية عملية تختبر للمرة الأولى فى التاريخ ولايعــرف عمـا ستتكشف عنه ، وكما عبر اقتصادى بولنــدى « انثى أعرف كيف اصنع حساء السمك من حوض تربية الأسماك ، ولكن ليس لدى أدنى فكرة عن كيف أصنع حوض تربية الأسماك ذاته » • وفى خلال عملية التحول هذه بدت أكثر مهامها صعوبة وتحديا هى عملية تحويل المشروعات العامة الى مشروعات وملكية خاصة Privetization وكان من أهم الأسئلة التى آثارتها ولم يتم التوصل الى اجابات محددة عنهـــا الى أى مدى يمكن أن تتقدم هذه العملية ، والى أى حد يمكن أن يلعب رأس المال الأجنبى دورا فيها خاصة مع غياب رأس المال المحلى؟• غير أن ما ضاعف من صعوبة عملية الخصخصة هى طبيعتها التى لاتقوم على الاعتبارات الاقتصادية فقط وانما على عوامل اجتماعية كذلك اذ من المعروف أن أى نظام رأسمالى متطور ونظام ديمقراطى سياسى لا يمكن أن يعمل بكفاءة بدون طبقة برجوازية داخلية مالكة ومتماسكة ، ولهذا بدا من الصعب على بلدان وسط أوربا أن تنتقل بقفزة واحدة الى الأوضاع والعلاقات الاقتصادية والسياسية القائمة فى أوربا الغربية ، وان تحول اقتصادها الذى كان يعتمد على الدولة الى اقتصاد حر يحتاج الى طبقة جديدة تماما من البرجوازية المحلية وهى مهمة قد يتطلب تحققها عقودا ان لم يكن قرونا (١٣) •

ورغم النشوة التى صاحبت اعادة توحيد ألمانيا ، وهو الحدث الذى كان من أبرز العلامات التى سجلت نهـــاية الحرب الباردة ، الا أن هذه النشـــوة وخاصـــة بالنسبة للألمان الغربيين والشرقيين ، ما لبثت أن تبددت أمام ما بدأ يدركه الألمان الغربيين أن رخائهم يمكن أن يتأثر بالوحدة والتى شهدت فى عاميها الأولين توجيـــه ١٧٠ بليون مارك الى المنطقــة الشرقية سنويا (١٤) ، ورغم هذا فان الألمان الشرقيين قد خاب أملهم فى أن أحلامهم التى عاشوا عليها لن تتحقق فى يوم بعيد ، وبدأ الادراك على

---

(١٣) — Banar, IVO (ed), "Eastern European Revolution", Cornell University Press, 1992, pp. 230-34.

(١٤) — The Guardian Weekly ,Sept. 10, 1992.

الجانبين يتزايد بأن أربعين عاما من الانفصال من الصعب تخطيها في ليلة واحدة ، وأن سكان الشطرين الغربي والشرقي سيظلون مختلفين كما كانوا دائما فيما يتعلق بمستويات معيشتهم واتجاهاتهم نحو الحياة وآمالهم (١٥) وقد صاحب هذه الضغوط الاقتصادية التي فرضتها عملية ومتطلبات الوحدة ظواهر اجتماعية خطيرة تمثلت في امكانية انبعاث القومية الألمانية في صورها المتطرفة بل والتيارات النازية وأخذت بالفعل صورة كريهة مثل لاعتداء على الأجانب المقيمين واللاجئين الى ألمانيا واشعال النيران في أماكن اقامتهم ، الأمر الذي جعل الكثير من المحللين يستعيدون خصائص الشخصية الألمانية ويتذكرون قول مؤرخ الدبلوماسية الشهير هارولد نيكلسون « انه تحت كل الفضائل الرائعة والراسخة في الجنس الألماني ثمة طبقة خارجة من العصبية وعدم اليقين ترقد في الأعماق » (١٦).

غير أن انبعاث الروح القومية ذات الجذور التاريخية العميقة والتي تغذيها الخلافات العرقية والأصول الحضارية لم تكن قاصرة فحسب على الكيانات التي ضمها الاتحاد السوفيتي القديم ، وهي النزعات والخلافات التي ساعدت طبيعة الحكم السوفيتي على كبتها وابقائها تحت السطح ، وانما امتدت بل وتفجرت هذه النزعات الى بقية بلدان وسط وشرق أوربا ، وظهرت بوضوح وبشكل مأساوي في يوغوسلافيا بعد أن ظل نظام الحكم والاتحاد الذي تحقق بعد الحرب الثانية وشخصية تيتو ونظامه على ابقائها واحتواء عناصر الخلاف الكامنة فيها ، ولم ينته الأمر باعلان كل جمهورية من جمهوريات يوغوسلافيا الست انفصالها واستقلالها وبحيث لم يبق من الاتحاد القديم الا جمهوريتي الصرب والجبل الأسود ، وانما صاحب ذلك صراع دموي خاصة بين الصرب ، والكروات البوسنيين بلغ من الحدة والتعقيد بحيث وقفت أمامه محاولات المجتمع الدولي عاجزة واكتسب ذلك معاني سياسية أبعد كان منها الأثر السلبي الذي تركته على عملية الوحدة الأوربية حيث رأى فيه المراقبون

---

(١٥) — Luc Veron & Paul Ramadiv, "German Unification" Contemporary European Affairs. Volume 4 1991 No. 213, p. 27-28.

(١٦) — Mayne, Richard, "National Surge of immodest latecomer", European, 3 Sept. 1992.

أول اختبار تواجهه وتفشل فيه عملية الوحدة الأوربية فى صياغة سياسة خارجية موحدة واتخاذ مواقف فعالة وفى منطقة أوربية (١٧) ، كما تضمنت معانى سلبية فيما يتعلق بالعلاقة بين الأديان بالنظـــر الى ما تعرض له المسلمون فى البوسنة والهرسك ، كما تضمنت آثارا انسانية واجتماعية خطيرة تتصل بما أدى اليه الصراع من تدفق اللاجئين من مناطقها الى البلدان المجاورة قدر عددهم بقرابة ٢ مليون لاجىء وبمستوى لم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية .

وقد جعل هذا الذى حدث فى يوغوسلافيـــا عددا من المراقبين يتساءلون عن امكانية تكرار النمـوذج اليوغوســلافى فى مواقع أخـرى تتحقق ويكمن فيها نفس المكونات والعناصر التى أثارت وحركت الصراع داخل يوغوسلافيا من مزيج القوميات والأجناس المختلفـــة والتى يغذيها الاحساس بالمظالم التاريخية والمعاصرة والصعوبات الاقتصادية ، ويثيرون فى هذا الأوضاع فى ألبانيا التى يعيش فيها ٢٠٠ ألف من أصل يونانى ، وبولندا التى تضم ٣٠٠ر٠٠٠ من أصل ألمانى ، ٢٠٠ر٠٠٠ أوكرانى ، والمجـر التى يعيش فيهـا ٢ مليون من أصل مجـرى ، وتشيكوسلوفاكيا التى تضم ٧٠٠ر٠٠٠ (١٨) .

وقد قـرر البرلمان فى سلوفاكيا بالفعل فى يوليـو عـام ١٩٩٢ الانفصال عن تشيكوسلوفاكيا ، وهو التطور الذى جعل المحللين يتساءلون عن خطورة الطـريق الذى تشرع فيه سلوفاكيا وعما آثاره بالفعـل من قلاقل مع المجر حول الأقلية المجرية فى سلوفاكيا ، فضـــلا عن مشروع سلوفاكيا لتحويل مياه الدانوب ، بل جعلهم يتساءلون عن قدرة كيان صغير مثل سلوفاكيا على حياة بين جارتين قويتين ألمانيا ، والنمسا (١٩) .

---

(١٧) — Mather Jan, "How History will gudge the new Europe's First test" The European, 13. August, 1992.

(١٨) — Attali, "Will Balkan tribalism speed to the west". op. cit.

(١٩) — Staff, William, "The western neglect of Eastern European Attali is obscene." I.H.T., 24-25, 1992.

كانت هذه التداعيات التى نجمت أساســا عن عملية التحول ثم تفكك وانهيار الامبراطورية السوفيتية داخليا وخارجيا ، فى تصور بعض خبراء السياسة الدولية الذين توقعوها وهم يراقبون مقدماتها خلال المرحلة التى كان جورباتشوف يحاول فيها اعادة بناء النظام السوفيتى على أسس جديدة. فقد كتب هنرى كيسنجر فى أكتوبر عام ١٩٨٩ : « ان امبراطورية تجمعت بالقوة عبر ٤٠٠ عـام لن تتفكك بشكل سلبى . وان التحالف الغــربى فى سبيله الى أن يهتز من نفس الأحــداث التى سيحتفـل بها » (٢٠) . كما عبر الأستاذ صمويل هانتجتون « ان جورباتشوف قد يستطيع أن ينبذ الشيوعية ، ولكنــه لايستطيع أن ينبذ الجغرافيـا والاعتبارات الجيوبوليتكية التى صاغت الســلوك الروسى لعــدة قرون » (٢١) .

وربما كانت هذه الهـزات التى حـدثت فى أعقـاب انتهاء الحرب الباردة وما تحمله من تهديدات وعدم يقين حول المستقبل هى التى جعلت البعض ينظر بالحنين الى أيام الحرب الباردة ويعتبر اننا « كنــا نعرف أين نحن وماذا نفعل ، وكنا ازاء وضع دولى واضح يمكن فهمه واستيعابه بعدو محدد وحلفاء دائمين واستراتيجيات محددة ، وأهم من هذا كان هذا الوضع يتضمن احساسا بهدف أعلى ويقدم احساسا أيديولوجيا وأخلاقيا بالانجاز » (٢٢) .

كذلك اســتخدم البعض هذه الهزات لكى يدللوا أن عالم الحرب الباردة كان أقل خطورة لأنه كان يمثل المعروف فى الوقت الذى يحمل فيه عالم ما بعد الحرب الباردة المجهول ، وعندهم أن الحرب البــاردة قد استقرت على أنماط روتينية للتفكير والعمل ، وكان الخصمين الكبيرين يعلمان ما الذى يتوقعه كل منهما من الآخر ، ورغم أنه كان ثمة مفاجآت

---

(٢٠) — Kissinger, Henri "Superpowers and the New Europe" The Washington post, Oct. 10, 1991.

(٢١) — Huntigton, Samuel, "No Exit, the Error of Endi m" The National Interest No. 17, Fall, 1989, pp. 3-11.

(٢٢) — Harries, Owin, "America's Purpose, New visions ICS Pers=, 1991, p. 1-2.

الا أنها كانت متباعدة وغير متكررة ، كذلك اعتبروا أن من « فضائل » أوضاع وعلاقات الحرب الباردة انها كانت تكبت وتبقى تحت السطح المشاعر القومية والعرقية ، والتي تفجرت في شكل صراعات دينية وعرقية وأعادت ما يمكن تسميته « بالقبلية الجديدة » New Tribalism والتي كشفت عن نفسها بوضوح في مناطق الاتحاد السوفيتي وجمهورياته السابقة ، وفي يوغوسلافيا ، والتي مازالت تتفاعل في مواضع أخرى من العالم . ومن هنا استخلص أصحاب هذا الرأى أن غياب التأثير والنفوذ الذى كانت تمارسه القوى الأعظم كان نتيجته عالما أقل استقرارا لايمكن التنبؤ بأحداثه (٢٣) .

ولم يقتصر من نظروا بالحنين الى أيام الحرب الباردة على ما كانت تمثله من وضوح فى الأهداف والأخطار وتحديد للعدو والحليف ، وانما تذكروا أيضاما ما تمتعت به الولايات المتحدة من رفاهية اقتصادية ونمو فى اقتصادها وبشكل خاص خلال حقبتي الخمسينيات والستينيات ، وما ارتبط بذلك من سيادة مظاهر الحضارة الأمريكية وتقليد نماذج الحياة الأمريكية وأساليبها فى مجتمعات العالم . كما انعكس نمو وقدرة الاقتصاد الأمريكى فى هذه الفترة على مكانة الولايات المتحدة الدولية وقدرتها على تمويل أية سياسات أو خطط أمريكية خارجية طموح (٢٤) .

غير أنه يجب القول أن هذا التغيير الى مظاهر القوة الأمريكية خلال الحقب الأول للحرب الباردة انما جاء فى الواقع كرد فعل لما بدأ يتكشف عما تحمله مرحلة ما بعد الحرب الباردة بالنسبة للولايات المتحدة من تعقيد وتحديات تكمن فى الواقع الداخلى الأمريكى ، وأن مظاهر القصور فى هذا الواقع هى نتيجة لأعباء الحرب الباردة ، وهو ما دفع الى مراجعة كشف حساب هذه الحرب ، والثمن الحقيقى الذى دفعته الولايات المتحدة سواء على المستوى القيمى أو المستوى الاقتصادى والبشرى وبمعنى ما

---

(٢٣) Lippman, Thomas, "In Post-cold war era, A New set of dangers", The Washington Post, July 2, 1993.

(٢٤) — Tuker, "The Imberial Temptation ..." Op. cit., p. 7.

— Brands, "The devil we knew", op. cit., p. 218.

مستوى مكانتها الدولية • فقد دفعت اعتبارات محـــاربة الشيوعيـــة بالسياسة الأمريكية الى التخلى عن مبادئها الأساســية والتحالف وتأييد ديكتاتوريات ونظم رجعية بما تضمن التضحية بمبادىء حقوق الأنسان وحق تقرير المصير • كما تضمن الثمن الذى دفعته الولايات المتحدة أرواح أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ أمريكي وهم يحاربون حروبا لم تكن تعنى شـــيئا بالنسبة للأمن الأمريكى الحقيقى أما على مســتور الاقتصاد الأمريكى ، والذى كان عام ١٩٤٥ موضع حسد العالم وقاطرة نمو الاقتصاد العالمى وبشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، فان التسعينات قد شهدته وهو يترنح تحت ثقل ٤ حقب من الانفاق العسكرى لم يكن أحد يتصوره قبل الحرب الباردة ، ومن العجز المزمن فى الميزانيـــة الفدراليـة والميزان التجارى ، والذى كان ميراث الانفاق العســكرى ، والذى منع الحكومة الفدرالية من مواجهـــة العديد من المشكلات الخطيرة التى تراكمت على البـــلاد (٢٥) •

ازاء هذه المراجعات لميراث الحرب الحرب الباردة وتأثيره على المجتمع الأمريكى ومصادر القوة الأمريكية ، لم يكن غريبا أن تبدأ العقول المفكرة ، الأمريكية فى التساؤل عمن كسب الحرب الباردة ، وهل خرجت الولايات المتحدة حقا منتصرة من هذه الحرب ، وأن ، يستخلص البعض من هذا التساؤل ومن استعراض الثمن الحقيقى الذى دفعته الولايات فى الحرب الباردة ، أنه اذا شعر الشعب الأمريكى بالغموض والتناقض حول انتصار الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي ، فســـوف يكون محقا فى ذلك(٢٦) •

كما لم تقتصر هذه الظلال على المجتمع الأمريكى بل شملت المجتمعات والحضارة الغربية بأسرها ، حيث وضعتها كاتبة أمريكية تحت الفحص واعتبرت « ان الركود الاقتصــادى الذى يعــانى منه الغرب والمجتمعات الغربية قد أصــبح أكثر بكثير من أن يكون ركودا اقتصاديا • ان ثمــة احساسا سينجلريا بالاضمحلال الحضارى ، وبفقدان القدر – على السير

---

(٢٥) — Calhocoress, Peter, "The cold war as Episode The David Memorial Institute Studies, occasional Papers, No. 5, 1993, p. 14.

(٢٦) — Brands, "The Devil we knew", op. cit., pp. 227-228.

فى الطريق الذى نتوقعه منهـا • فبعد سنوات قليلة من النشـوة التى صاحبت انهيار الشيوعية ، ذابت كلا من التفاؤل وشقه بالنفى • ان الغرب الآن ـ مثل الشرق ـ يواجه الآن الفاتورة الضخمة للحرب الباردة والتى تتضمن تساؤلات أخلاقية وسيكولوجية حول الافتراضات التى تقوم عليها المجتمعات الحرة • ان مضار المخدرات ، وتفكك العائلة ، والاحساس القائم بالعقم ازاء تحديات الحياة ـ انها تتراكم منذ فترة طويلة ـ الا أنهـا تضيق الآن الى الأزمة التى تضع العمود الفقرى للحضارات الغربية موضع شك » (٢٧) •

---

(٢٧) Lewis, Flora, "The depressed west needs a philosopher" New York Times, Dec. 13, 1993.

الأمم المتحدة : توقعات كبيرة

منذ أن بدأت تتأكد مؤشرات الوفاق وامكانات التعاون بين القوتين العظميين مع نهاية الثمانينات ، وبشكل أكثر بعد تصفية الحرب الباردة ومصادرها وصراعاتها ، بدأت الأنظار تتجه الى منظمة الأمم المتحدة سواء لاستذكار وضعها وأدوارها فى قضايا السلم والأمن الدوليين خلال مراحل الحرب الباردة مقارنة بما وعد بها ميثاقها ، أو من حيث ما يمكن أن تقوم به المنظمة فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة وبشكل تصبح مبادئها وميثاقها وقراراتها بحق أساس النظام الدولى الجديد ٠

وقد كان هذا الاهتمام بالمنظمة الدولية طبيعيا وله مبرراته القوية ، فمن ناحية وضع أداء المنظمة منذ انشائها عام ١٩٤٥ ، فقد ظل واضحا أنها كانت المرآة التى انعكست عليها انقسامات الحرب الباردة وحالة الاستقطاب الدولى السياسى والأيديولوجى ، وهو الوضع الذى أعجز المنظمة عن أن يكون لها دور فعال فى معظم المنازعات التي تفجرت خلال العقود الأربعة الماضية ، ويبدو هذا بوضوح فى الحالات التى استخدم فيها الفيتو وبلغت ٢٧٩ من جانب القوى الكبرى لعرقلة قرارات مجلس الأمن التى لاتتلاءم مع مصالحها ٠ وقد نتج عن هذا تضاؤل الثقة الدولية فى المنظمة واتجه البحث خارجها عن حلول للمنازعات الدولية وبغير مشاركتها ٠

وكان مما له دلالة على صورة ومكانة الأمم المتحدة لدى قوة عظمى مثل الولايات المتحدة وتعاونها معها ما تحدث عنه نائب رئيس الوفد

الأمريكي الدائم لدى المنظمة الدوليـــة وهو يغادر منصبه عن نقل الأمم المتحدة من نيويورك ، والتعديلات التى تقدم بها بعض أعضاء مجلس الشيوخ لخفض المساهمات الأمريكيين فى ميزانية الأمم المتحدة ، وانســـحاب الولايات المتحدة من منظمة مهمة مثل اليونسكو بل وحثها دول أخرى أن تفعل مثلها ، بل وبدا للبعض أن انسحاب الولايات المتحدة من الأمم المتحدة نفسها هو مسألة وقت (١) ولم يكن موقف القوة الدولية الأخرى وهى الاتحاد السوفيتى من المنظمة الدولية أحسن حالا وبدا هذا بشكل خاص فى موقفها من عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام وعدم تعاونهـــا معها أو بمساهماتها المالية فيها لذلك كان طبيعيا أن يقدم انحســـار الحرب الباردة ، ومســـتوي التعـاون الذى أتاحه ذلك بين القوتين العظميين في النصف الثاني من الثمانينات ، أملا حقيقيا لدور جديد وفعال للمنظمة الدوليـــة .

وقد تواكب مع هذا جهـــود ومبادرات مخلصـــة من جانب خبراء ومجموعات من الدول المساهمة فى وضع تصور وأسس عملية لاعادة بناء المنظمة وأجهزتها ووكالاتها لجعلهـــا أكثر كفاءة وقدرة وفعالية للقيـــام بمهامها الأصيلة التى قررها ميثـاقها ، وكذلك مواجهـــة المهام الجـديدة والاضافية التى تفرضها احتياجات المجتمع الدولى وهى المهام التى أصبحت تشكل فى ذاتها جدول أعمال جديدا للعائلة الدولية ، ونقصد بهذا تحديد قضايا : البيئة ، والسكان ، واللاجئين ، والديون ، والأمراض ، والمخدرات ، وتزايد الفجوة بين الفقراء والأغنياء فى العالم ، والحواجز التجارية ، وحقوق الانسان ، والأقليات (*) .

---

(١) — Peter R. Baehn & Leon Gordenker, "The United Nations in the 1990s" Macmilan, 1992, p. 152.

(*) كان من ابرز الجهود المخلصة فى اقتراح وتصور اساس تنظيمى لكفاءة العمل فى الأمم المتحدة جهود خبيرين بارزين فى شئون الأمم المتحدة وهما : السير Brian Urquhart ، Erskin Chidess اللذان قدما دراستين مهمتين (١) : A world in need of Leadership Tomorrow's United Nations.

وقد انطلقت الدراسة من اعتبار أن التغييرات الدرامية التى تحدث فى العـالم تمثل تحديات ومهام جديدة للمنظمات الدولية فى نطاق الأمم المتحدة ، وأن الاستجابة الناتجة =

ولعله من الأمور ذات الدلالة فيما يتعلق بأدوات أكثر فعالية للأمم المتحدة بعد أن تحررت من قيود الحرب الباردة ، أن المنازعات الاقليمية ، التى كانت الحرب الباردة تحد من دور للأمم المتحدة فى تحقيق تسويات سلمية لها ، كانت أول المجالات التى انعكس عليها بدء تفاون القوتين العظميين خاصة بعد انسحابهما ، أو انسحاب واحدة منهما ، وهى الاتحاد السوفيتى ، من المنافسة السياسية والأيديولوجية فى هذه المناطق، وقد بدأ دور الأمم المتحدة يتضح فى تحقيق تسويات لمنازعات مثل أفغانستان (وبشكل خاص فيما يتعلق بالوجود العسكرى السوفيتى) ، والخليج (العراق ـ ايران) ، والجنوب الأفريقى (أنجولا ـ ناميبيا) ، والسلفادور ، ثم دور مجلس الأمن فى استصدار القرارات التى أعطت شرعية دولية للتحالف الدولى ضد العدوان العراقى على الكويت رغم التحفظات ووجهات النظر التى وردت على دور الأمم المتحدة فى هذا الشأن .

وقد ارتبط دور الأمم المتحدة فى تحقيق تسويات لهذه المنازعات بتأكيد ، وتوسع ، دور تقليدى وأصيل للمنظمة الدولية وهو دور عمليات حفظ السلام Peace keeping operations غير أن ما يميز هذه

= لهذه المهام والتحديات سوف تعتمد الى حد كبير على طاقة ومستوى قياداتها . ولهذا انصبت الدراسة على اختيار السكرتير العام ، وقيادات المنظمات الدولية والمستويات العليا فى الأمم المتحدة ووكالاتها .

راجع :

Development dialogue : 1990, 1-2. Stcholm.

أما الدراسة الثانية فهى :

Towards A more effective UN.

التى ركزت على اعادة تنظيم سكرتارية الأمم المتحدة ، وتدعيم الاستجابة الدولية لحالات الطوارىء الانسانية راجع :

Development Dialogue 1991, 1-2.

أما الجهود التى اتجهت لدعم نشاطات الأمم المتحدة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، فقد بدت فى المشروع الذى قدمته الدول النوردية التى قصدت به المساهمة فى طرح أفكار ومبادرات حول اصلاح الأمم المتحدة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية راجع :

The U.N. in development. Reform issues in the economic and social fields. A Nordic prespective.

العمليات في الفترة الأخيرة أن ما قامت به الأمم المتحدة من مهام لحفظ السلام خلال السنوات منذ عام ١٩٨٨ وحتى عام ١٩٩٢ ، يكاد يضارع ما قامت به على مدى أربعين عاما ، فقبل عام ١٩٨٨ بلغ عدد عمليات صيانة السلم التي تولتها الأمم المتحدة ١٣ عملية ، ومنذ عام ١٩٨٨ ما مجموعه ١٣ عملية أيضا ، كما تميزت هذه المهام باتساع نطاقها وعدد الأفراد المستخدمين فيها ، ففي عمليتين اثنتين فقط هما كمبوديا ويوغوسلافيا تضاعف عدد أفراد قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام ـ أربعة أمثال من ١١٫٥٠٠ الى ٤٤٫٠٠٠ ، كما انعكس هذا بطبيعة الحال على تكلفة هذه المهام ، ففي عام ١٩٨٧ كان المطلوب من الدول الأعضاء دفعه لعمليات حفظ السلام ٢٢٣ مليون دولار بلغ عام ١١٩١ ، ٤٢١ مليون دولار ، أما فاتورة الحساب المطلوبة في ١٩٩٣ فهي ٣٫٧ بليون دولار (٢) ٠

وقد أثار هذا التوسع في مهام حفظ السلام قضايا رئيسية أبرزها مشكلة التمويل ، وكذلك قضية مشاركة المنظمات الاقليمية في عمليات حفظ السلام في مناطقها ، وفي هذا تساءل السكرتير العام : « هل ينبغي أن تتحمل الأمم المتحدة وحدها هذا العبء ؟ وكيف يمكن تعزيز قدرتها على النهوض به ، وهل الدول الأعضاء مستعدة لتمويل هذا الحجم من أنشطة صيانة السلم ؟ وكيف يمكن تحديد الأولويات على نحو يكفل للمواد المتاحة لصيانة السلم أن يتفق في المواضع التي تحقق فيها أقصى ما يمكن تحقيقه » ٠

واذا كانت مهام حفظ السلام Peace keeping ظلت من المهام التقليدية التي تولتها الأمم المتحدة بنجاح نسبي في عدد من مناطق الصراع على مدى الأربعين عاما الماضية ، فان البحث عن دور أكثر فعالية للأمم المتحدة في بناء الأمن والسلام الدوليين جعل الأنظار تتجه الى أن تنتقل المنظمة الدولية الى مفهوم صنع السلام Peace Making ٠

---

(٢) محاضرة للأمين العام للأمم المتحدة عن « من صيانة السلم لبناء السلم » واشنطون من ١ مايو ١٩٩٢ مجلة السياسة الدولية عدد يوليو ١٩٩٢ ، ص ٢٢٥_٢٢٧ ٠

فاذا كان حفظ السلام قد دور حتى الآن حول اشراف قوات الأمم المتحدة على المنازعات بعد اشتعالها وتم التوصل فيها الى مستوى ما من التوقف وانحسار المواجهة بين أطرافهـا وبهدف تثبيت هذا الوضـع عند هذا المستوى انتظارا لتسوية دائمة ، والوقوف كعازل بين الأطراف المتنازعة حتى يتم التوصـل الى هـذه التسـوية ، فان مفهـوم صناعة السلام يستهدف منع المنازعات من أن تتحول ابتداء الى مواجهات ساخنة . ولكى يتحقق ذلك يتطلب الأمر أن يمتلك جهاز السكرتارية والسكرتير العـام آليات لرصد التطور الذاتى لهذه المنازعات من خلال معلومات دقيقـة وتحليلها وتقييمها ، وكذلك أجهزة لاستطلاع ورصد التحركات العسكرية ومؤشراتها . وتستخدم حرب الخليج ، العراق ـ الكويت . نموذجـا على ما كان يمكن أن يحدث لو قامت الأمم المتحدة بهذا الدور وامتلكت هذه الامكانية ، ويشير بعض الخبراء فى الأمم المتحدة أن الخطاب العراقى فى الشهور القليلة التى سبقت العدوان على الكويت كان يمكن بالتحليل والمتابعة الدقيقة ادراك نوايا العراق (٣) . كذلك عبر السكرتير العام السابق بيريز دى كويلار أنه لو كان يمتلك جهازا للمراقبة لأمكن للأمم المتحدة استطلاع تحركات العراق العسكرية الأولى والعمـل على حصر تقدمهـا .

ولعل ما يؤكد أهمية الحاجة الى انتقـال الأمم المتحدة من مفهوم حفظ السلام الى صناعة وبناء السلام أنه كان موضع التقرير الذى قدمه السكرتير العام للأمم المتحدة بناء على ما طلبـه منـه اجتماع قمة الدول أعضاء مجلس الأمن فى ٣١ ينـاير ١٩٩٢ . ولأهميـة هذا التقرير والقضايا التى أثارها فى نطاق جهود زيادة فعالية المنظمة الدولية وتطوير أدوارها ، فسوف نعرض له بشىء من التفصيل (٤) .

---

(٣) — Urquhart, Brian, "Lessons from the Gulf" the New York Review, March 7, 1991.

(٤) — Boutros Boutros Ghali, "An Agenda for Peace United Nations, N.Y. 1992.

فقد صاغ التقرير وركز على أربعة مفاهيم وفقا لأولياتها :

١ ـ الدبلوماسية الوقائية	Preventive Diplomacy
٢ ـ صنع السـلام	Peace Making
٣ ـ حفظ السـلام	Peace Keeping
٤ ـ بنـاء السـلام	Post-conflict peace-building

وقد اعتبر التقرير الدبلوماسية الوقائية أكثر الأساليب الدبلوماسية فعالية وأكثر الحاحا من حيث انها تستهدف تخفيض التوتر قبل أن يترتب عليه صراع فعلي ، وفي حالة اشتعال الصراع أن تتصرف المنظمة بسرعة لاحتوائه وحل أسبابه الرئيسية · ومثل هذه الدبلوماسية في تقدير التقرير يمكن أن تمارس بواسطة السكرتير العام ، أو كبار معاونيه أو الوكالات المتخصصة أو بواسطة مجلس الأمن أو الجمعية العامة وعن طريق المنظمات الاقليمية بالتعاون مع الأمم المتحدة · وتستعين الدبلوماسية الوقائية باجراءات لبناء الثقة وتتطلب تحذيرا مبكرا يقوم على تجميع المعلومات وتقصى الحقائق ، الأمر الذى يمكن أن يتضمن نشرا للقوات ومن بعض الحالات مناطق منزوعة السلاح · وقد فصل تقرير السكرتير العام هذه الاجراءات فى :

(أ) التبادل المنظم Systematic exchange of military للبعثات العسكرية وانشاء مراكز للتقليل من الأخطار الاقليمية Missions الأخطار الاقليمية Regional or subrigional risk reduction centers وترتبات التدفق الحر للمعلومات بما في ذلك رصد اتفاقيات التسلح الاقليمية ·

(ب) تقصى الحقائق fact finding وهى التى تقدم للخطوات الوقائية معرفة دقيقة وفى ملمها بالحقائق وفهما للتطورات والاتجاهات الدولية الاقليمية يقوم على التحليل السليم ·

(جـ) التحذير المبكر Early warning فمثلما طورت الأمم المتحدة شبكة من نظم التحذير المبكر تتعلق بتهديدات البيئة ، وأخطار الحوادث

النووية ، والكوارث الطبيعية والتحركات الواسعة للسكان وتهديدات المجاعات وانتشار الأمراض وتحركات اللاجئين ، فان هناك حاجة الى ترتيبات من نفس النوع عن معلومات من هذه المصادر يمنن أن تؤلف مع المؤشرات السياسية لتقييم ما اذا كانت تهديدا للسلام وتحليل ما يمكن عمله عن طريق الأمم المتحدة للتخفيف من التوتر ·

(د) نشر قوات وقائية Preventive Deployment ·

ويمكن اللجوء اليها فى حالة نزاع بين دولتين وأن تشعرا أن وجود الأمم المتحدة على الجانبين من حدودهما يمكن أن يبعد العداوات · كذلك يمكن اللجوء الى هذا الاجراء بشكل منفرد حين تشعر دولة ما بالتهديد وتطلب نشر قوات للأمم المتحدة وتواجدها على جانبها من الحدود ·

(هـ) مناطق منزوعة السلاح Demilitarized Zones .

فبالاضافة الى ما هو متبع حتى الآن من انشاء هذه المناطق كجزء من عملية حفظ السلام ، فانه يجب النظر فى جدوى هذه المناطق كشكل من الانتشار الوقائى على الجانبين بموافقة الطرفين كوسيلة لمنع حروب محتملة ·

وهكذا نرى الأهمية التى يعطيها التقرير لمفهوم الدبلوماسية الوقائية والتفصيل الذى عالج به اجراءاتها وأساليبها باعتبارها اجراءات لازمة وضرورية لمنع تحول النزاع الى صراع ساخن وللعمل على احتوائه وحصره ·

أما مفهوم صنع السلام ، فان التقرير يعنى به أنه بين أهداف منع الصراع والمحافظة على السلام تكمن مسئولية محاولة جمع الأطراف المتنازعة بالوسائل السلمية · ويعتمد مفهوم صنع السلام على اعتبار أنه اذا ما استمرت الصراعات بدون حل فان ذلك ليس بسبب أن وسائل وأساليب التسوية السلمية ليست معروفة أو غير كافية ، وانما يكمن الخطأ أولا فى الافتقار للارادة السياسية political will لدى الأطراف للبحث عن حل لخلافاتهم من خلال هذه الوسائل كتلك التى اقترحها الفصل السادس من الميثاق ، وثانيا ، فى الافتقار الى الأدوات المتاحة

للطرف الثالث اذا ما اختير هذا الاجراء • ويحدد تقرير السكرتير العام وسائل وأساليب صنع السلام فى فرض العقوبات وفقاً للمادة ٤١ من الميثاق ، واستخدام القوة العسكرية وفقا للمادة ٤٢ من الفصل السابع وهو الاجراء الذى يلجأ اليه حين تفشل كل الوسائل السلمية ويصبح خياره ضروريا لمصداقيــة الأمم المتحدة • ويتصــور التقرير أن تملك الأمم المتحدة ووجود قوات مسلحة تحت تصرفها جاهزة للاستدعاء يمكن أن يكون فى حد ذاته رادعا لمن يفكر فى خرق السلام حيث سيدرك أن المجلس لديه تحت تصرفه وسائل الرد عليه •

وبالاضافة الى المهمة التقليدية لحفظ الســلام ، يطــور التقرير مفهوما لخدمة مرحلة ما بعد انتهاء الصراع ويسميها مرحلة بنــاء السلام التى تستهدف بناء بيئة جديدة لتفادة انهيار شروط وظروف السلام • ويعتمد هذا المفهوم على انه اذا كان قد تم حصر الصراع ووقفه من خلال مرحلة صنع السلام فان وضع أساس دائم لهذا السلام لايمكن أن يتحقق الا من خــلال عمل مستمر للتعامل مع المشــكلات الأساسية الاقتصــادية والاجتماعية والثقافية والانسانية ومن ثم ما اذا كانت الدبلوماسية الوقائية تستهدف تفادى الصراع فان بناء السلام بعد مرحــلة الصراع يستهدف منع تكرار حدوثه •

ومن القضايا المهمة التى أثارتها الحاجة الى جعــل الأمم المتحــدة جهازا أكثر فعالية واستجابة للتطورات الدولية هى قضية اعادة تشكيل مجلس الأمن ونطاق عضويته • ونقطة الانطلاق فى هذا التفكير هى ان تشــكيل المجلس وخاصة الأعضــاء الخمســة الدائمين فيه قد تحدد وفقا للأوضاع التى ترتبت مباشرة على نتائج الحرب العالمية الثانيــة وعلاقات القوى التى نتجت عنها وحجم العضــوية فى الأمم المتحدة ذاتهــا (*) • غير أنه من الواضح أن تطورا أساسيا قد حدث فى توزيع القوى وعلاقاتها

(★) تشكل مجلس الأمن بشكله الحالى حين كان أعضاء الأمم المتحدة ٥١ عضوا ، وفى عام ١٩٦٥ عندما زادت عضوية الأمم المتحدة الى ١١٥ ، زادت عضوية مجلس الأمن الى ١٥ بما فيهم الخمسة الدائمين • اما عضوية الأمم المتحدة الآن فقد بلغت ١٧٩ (من المنتظر أن يزيدوا) •

النسبية منذ هذا التاريخ حيث برزت قوى ذات وزن اقتصادى وسياسى يكاد يتوازن ان لم دعق فى بعض الوجوه مع الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، وكان من أبرز هذه القوى الجديدة ألمانيا ــ وخاصة بعد توحدها ، واليابان (*) ٠

بالاضافة الى بروز قوى دولية ترقى الى مرتبة القوى العظمى ، برزت كذلك قوى اقليمية تمارس بحكم وزنها الجغرافى والسياسى والبشرى فى مناطقها أدوارا مؤثرة مثل مصر ، والهند ، ونيجيريا ، والبرازجل ٠ ومثلما عبرت الانكونوميست البريطانية فان مجلس الأمن أصبح فى نظر الجنوب علما تحتمى به السياسات القديمة للاستعمار الجديد : : A flag of convenience for the old neo-impiralists الأمر الذى يجعل المجلس بتكوينه الحالى أثرا من آثار الماضى يجب تغييره (٥) ٠ كما انعكس هذا بوضوح خلال اجتماع قمة علم الانحياز فى جاكرتا فى سبتمبر ١٩٩٢ والتى دعت الى جعل المجلس أكثر تمثيلا للمجتمع الدولى (٦) ٠

غير أن أمام منطق هذا التفكير تقف عوائق فنية وسياسية تتمثل فى أن تعديل نظم العضوية الدائمة فى مجلس الأمن يتطلب تعديلا فى الميثاق ذاته ، وسياسيا ، فسوف يصعب على الدول الحالية دائمة العضوية ان تقتسم معهم قوى أخرى هذا الوضع المتميز بما يعنى من توجيه الأحداث الدولية بشكل يتفق مع مصالحها ٠

(★) اعربت اليابان وألمانيا بالفعل عن تطلعهما لعضوية المجلس ٠ فقد أبلغ وزير خارجية المانيا دورة الجمعية العامة عام ١٩٩٢ أن المانيا تريد مقعدا دائما فى مجلس الامن٠ كذلك فعل وزير خارجية اليابان مثلما اشار أمام الدورة السابقة عام ١٩٩١ الى أن اليابان تعتقد أن أهميتها الاقتصادية تجعلها تستحق مقعدا دائما فى مجلس الأمن حين تحتفل الامم المتحدة بعيدها الخمسين عام ١٩٩٥ ٠

International Herald Tribune, 25 Sept. 1992.

(٥) — The Economist, August 29, 1992.

(٦) — Parsson, Antony, "Broaden UN Security Council for a safer World", The European, 3 Sept. 1992.

كذلك ارتبط توقع دور فعال للأمم المتحدة فى المنازعات الدولية بظهور أزمة الخليج ، والموقف الحاسم والسريع لمجلس الأمن فى تقديم الشرعية الدولية للتحالف الذى تكون بزعامة الولايات المتحدة للتصدى للعدوان العراقى على الكويت · ومع الادانة الدولية الواسعة للعدوان العراقى ، والتأييد للشرعية الدولية ، الا أن أصواتا قد ارتفعت ، فى هذا النطاق ، لكى تشكك فى دوافع ونوايا القوة الرئيسية التى شكلت وقادت هذا التحالف وهى الولايات المتحدة وأنها ذهبت بعيدا فى استخدام المنظمة الدولية كغطاء لتصرفاتها وأهدافها الخاصة فى الخليج ، كما ربطت هذه الأصوات وقارنت بين القوة والتصميم فى تنفيذ قرارات مجلس الأمن فى حالة نزاع الخليج واحتلال الكويت ، وبين الموقف من رفض اسرائيل الالتزام بقرارات الأمم المتحدة لعدة سنوات الخاصة بحقوق الفلسطينيين والاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية ، كما قارنوا بين الموقف من متابعة تنفيذ قرارات مجلس الأمن حول افتراض امتلاك العراق لأسلحة نووية أو برامج لانتاجها وبين التسامح مع ما أصبح ثابتا من امتلاك اسرائيل لأسلحة نووية متقدمة منذ عدة سنوات (٧) · كذلك ثارت هذه المقارنة مع تدهور الأوضاع فى يوغوسلافيا بعد تفككها والعدوان الواضح لصربيا ضد البوسنة والهرسك وما رتبه من مآس بشرية على نطاق واسع تتضمن أكثر من مليونى لاجىء ، وحيث لم تتصرف فيه القوى الدولية الرئيسية بنفس القوة والتصميم (*) ، وانعكست مواقفها واستجاباتها

---

(٧)

— Childers, Erskin, "Gulf Crisis Lessons for the U.N." Bulletin of Peace Proposals, No. 2, 1992, p. 135.-145.

(★) عقب محلل أمريكى على هذا الموضوع بالقول بأنه يجعل الحديث عن نظام دولى جديد يثير السخرية ، ونتساءل كيف يمكن مقارنة الرئيس الأمريكى فى استجابته الضعيفة غير الفعالة واللامبالية تجاه الأحداث فى يوغسلافيا بنفس الرئيس الذى جمع العالم ضد صدام حسين ؟

Antony Lewis, "So, what ever happened to the new worlr order 1, 14, T, Sept. 20, 1992.

المترددة والمتناقضة مع مواقف سابقة على المنظمة الدولية وخاصة مجلس الأمن وتناول الأزمة وبدت المنظمة منقسمة حتى فى داخلها (*) .

كذلك كان من القضايا المهمة التى أثارها الصراع فى يوغوسلافيا دور المنظمات الاقليمية فى التعامل مع مثل هذه الصراعات فى مناطقها واحتوائها ، فقد ركز السكرتير العام فى حججه فيما يتعلق بالوضع فى يوغوسلافيا على وجوب أن تقوم الدول الأوربية ومؤسساتها سواء أكانت المجموعة الأوربية ، أم مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى ، بدور رئيسى فى مهام احتواء الصراع وتثبيت ما تم الاتفاق عليه من وقف اطلاق النار بين الأطراف المتصارعة وبشكل يخفف الضغط والمسئوليات على الأمم المتحدة ويمكنها من تلبية احياجات مناطق أخرى ، وقال فى هذا : « اننى على قناعة بأن لابد من مساعدة المنظمات الاقليمية على أن تتحمل نصيبا أكبر من العبء سواء فى صنع السلام Peace Making ، أو صيانته Peace Keeping ، ولهذا السبب كان اصرارى

(★) أكدت محنة مناطق الصراع فى يوغسلافيا وخاصة فى البوسنة والهرسك وما فرضته من متطلبات على الأمم المتحدة خاصة من خلال قوات حفظ السلام ، حدود وامكانات المنظمة الدولية فى هذا المجال أمام تعدد واتساع المهام المطلوبة منها ، وهو الوضع الذى وضع السكرتير العام فى شبه التناقض مع مجلس الأمن . وكانت وجهة نظر السكرتير العام أنه بالنظر الى امكانات الأمم المتحدة ، فان دورا ضخما لقوات حفظ السلام وتعدد مهامها (نزع سلاح القوى المتحاربة) سيكون على حساب مهام المنظمة الملحة فى مناطق أخرى مثل الصومال :

I.H.T, August, 4, 1992.

- ومن ناحية التوقعات التى ارتبطت بانتهاء الحرب الباردة . حول دول الأمم المتحدة ، حيث كشفت عن حدود ما تمتلكه من موارد ، وقدرات تنظيمية ، وتعدد المشكلات التى تتطلب التدخل فيها وتعقدها ، الأمر الذى جعل التوقعات المتحمسة لدور الأمم المتحدة ، كمنقذ عالمى وكقوة بوليس ، تبدو شيئا مسرفا فى الحماس :

Gareth Evans, "Cooperating for Peace, The Global Agenda for the 1990s and beyond" Allen & Unwin, 1993, p. XI.

فى حالة يوغوسلافيا على اجراء تقسيم واضح للعمل بين الاتحاد الأوربى والأمم المتحدة » (٨) (*) ٠

غير أنه رغم المنطق وراء دور فعال للمنظمات الاقليمية فى مهام حفظ السلام فى مناطقها ، الا ان بعض المحللين يجربون عددا من التحفظات على امكانات هذه المنظمات ، ويشيرون الى أن ضعف مثل هذا الدور لم يكن فقط راجعا الى الحرب الباردة ومنافساتها وانما يكمن فى الأسئلة الصعبة والعقبات التى يثيرها افتراق اسناد وظائف للأمن الجماعى للمنظمات الاقليمية ، من هذه الأسئلة المعنى المقصود بالمنظمات الاقليمية والوكالات، ومنها مدى كفاءة وقدرة هذه المنظمات على تحمل مهام الأمن الجماعى وحل الصراعات فى مناطقها ، وهل يتوفر لها الادارة السياسية اللازمة لذلك ، ويوردون فى هذا أنه فى عدد من الصراعات الاقليمية : العراق ـ الكويت ، أمريكا الوسطى ، ليبريا ، كمبوديا ، الصومال ، فانه باستثناء دور منظمة Ecowas فى ليبيريا ، ودور محدود لمنظمة الوحدة الأمريكية فى أمريكا الوسطى ، فان أيا من المنظمات الاقليمية لم تؤد دوليا بشكل مقبول فى المناطق الأخرى (٩) ٠

---

(٨) محاضرته عن « من صيانة السلم الى بناء السلم » مرجع سابق ٠

(*) كان السكرتير العام السابق للأمم المتحدة بيريز دى كويلار قد أثار كذلك خلال أزمة الخليج دور المنظمات الاقليمية فى الصراعات التى تنشأ فى مناطقها ٠ فقد اقترح فى تقرير له فى سبتمبر ١٩٩٠ « انه من أجل التعامل مع أنواع جديدة من تحديات الأمن ، فان ترتيبات اقليمية يمكن أن تقدم مساعدة ذات قيمة كبيرة ، غير أن هذا يفرض ابتداء قيام علاقة بين الأمم المتحدة وبين المنظمات الاقليمية التى يتصورها الميثاق فى الفصل الثامن ٠ ان نزع فتيل التوتر بين الدول والحلول المحددة للمنازعات الاقليمية هى فى حالات كثيرة أمور ملائمة للعمل الاقليمى ٠ غير أن الشرط لذلك أن جهود المنظمات الاقليمية يجب أن تكون فى تناسق مع تلك التى تقوم بها الامم المتحدة وفقا للميثاق »

Report of the Secretary General on the Work of the organization, 1990, N.Y. United Nations, 1990, p. 21.

(٩) Rivlin, Benjamin, "Regional management and the UN System for Collective Security Conflict resolution : A new Road ahead ? "International Relations, August, 1992, pp. 101-1/2.

وهكذا فانه من مجمل النقاش الدولى الواسع الذى دار حول معالم النظام الدولى بعد انقضاء الحرب الباردة والتحديات التى يمـــكن أن تواجهه ، وعن دور الأمم المتحدة فى توفير قاعدة للعمل الدولى الجماعى لمواجهة هذه التحديات ، فان ثمة اتفاقا على أن العالم مقدم على فترة من عدم اليقين وعدم الاستقرار تتميز بخلافات دولية ذات جذور بعيدة من الكراهية ، وأوضـــاع من الغليـــان العرقى والدينى ، وتدفق الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية ، والتفكك الداخلى ، والفقر وعـدم المســـاواة الاقتصـــادية ، وضغوط السكان وتحركاتهـــا الضخمة عبر الحدود ، والكوارث الطبيعية والبيئية •

وازاء مثل هذا الحجم الضخم من التحديات التى تواجه العالم لاتبدو دولة واحدة ، أو حتى شريك أو شريكان لها ، قادران على مواجهة مثل هذه التحديات أو الاضطلاع بدور رجل البوليس الدولى ازاء ما يثور من نزاعات حتى لو افترضنا ان الدول الأخرى سوف تقبل ذلك وهو مالا يحتمل أن يفعلوه • من أجل ذلك فان الأمم المتحدة هى المؤهلة المنطقيـة للاضطلاع بهذا الدور كقاعدة للعمـــل الدولى الجماعى المنســق للتعامل مع هذه التحديات ، وحتى يمكن حقا الحديث عن نظام دولى جديد (١٠) •

ولأن ثقة المجتمع الدولى فى مجمـوعه هى الرصـــيد الذى يكفل المصداقية للمنظمة الدولية وما يمكن أن تقيمه من نظام دولى للأمن ، فان هذا النظـــام يجب أن يستجيب لكافة ما يمـــكن أن ينشأ من نزاعات أو تهـديدات للأمن الســلام وبشـــكل لا تقتصر فيه هذه الاستجابة حين تكون الأزمة مهـددة لمصـــالح الدول القوية فقط ، فنظـام السلام والأمن الدوليين يجب أن يكون شاملا وعالميا وان يحمى مصالح الضعيف مثل

---

(١٠) Unquhart, Brian, "Lessons from the Gulf", op. cit.,

فى تقدير بعض المحللين الأمريكيين ـ وبالنظر الى ان أحد الدروس المهمة التى تعلمتها الولايات المتحدة هو عدم قدرتها على التدخل منفردة فى مناطق العالم المضطربة ، فان الأمم المتحدة تقدم اكثر البدائل مصداقية :

Danial Yankelovich, "Foreign Policy after the election" Foreign Affairs, Fall, 1992, p. 9-10.

القوى وأن تشارك فيه كل الدول وفقا لامكاناتها • ومن ثم فقد أصبحت الحاجة ماسة لانشاء جهاز دولى Multilateral Mechanism يستطيع أن يتعامل مع المشكلات التى سيواجهها المجتمع الدولى حتى فى المستقبل على غرار ما بدا فى الخليج ويوغوسلافيا ، وهنا تبدو ضرورة الرجوع الى الميثاق وما تضمنه من امكانات الأمن الجماعى وفقا للمادة ٤٣ التى تخول للسكرتير العام أن يطلب من الدول الأعضاء تخصيص وحدات عسكرية يمكن استخدامها فى حالات الأزمات « لصيانة السلام والأمن الدوليين » وهو ما طالب به السكرتير العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى بالفعل ، كما أن هذا ما دفع أستاذا بارزا فى القانون الدولى هو ريتشارد جاردنر أن يقترح امكانية أن تساهم ٤٠ ــ ٥٠ دولة من أعضاء الأمم المتحدة فى قوة للانتشار السريع تتكون من ١٠٠ر٠٠٠ متطوع تستطيع أن تتدرب تحت قيادة مشتركة بمعدات موحدة ، كما أنه يمكن الاشتراك فى معلومات المخابرات وبشكل يمكن الأمم المتحدة من توقع المشكلات واتخاذ الاجراءات لاجهاض ما قد تتطور عنه من أزمات (*) •

(*) كان هذا الاتجاه قائما بالفعل بعد نهاية الحرب الثانية مباشرة وعند انشاء الأمم المتحدة فقد خاطب الرئيس الأمريكى ترومان الجمعية العامة فى دورتها الافتتاحية فى أكتوبر عام ١٩٤٦ بقوله « سوف نعمل لاعداد اتفاقيات من أجل أن يصبح تحت تصرف مجلس الأمن قوات سلام ملائمة لمنع أعمال العدوان » • غير أن من الواضح أن هذا الاتجاه قد تراجع مع بروز وتطور علاقات الحرب الباردة :

David boren "The world needs an International Army on Call"
I.H.T. August 27, 1992.

سياسات التسلح بعد الحرب الباردة

كان من مظاهر الاستبشار التى صاحبت انقضاء الحرب الباردة ، توقع انخفاض اتجاهات التسلح والبناء العسكرى فى العالم وما يترتب على هذا من توجيه الانفاق فى هذا المجال الى المجالات المدنية والانفاق الاقتصادى والاجتماعى • ولم يكن هذا التوقع قاصرا فقط على الدول الصـــغيرة والاقليمية والتى أنهك الانفاق العسكرى ميزانياتها وحـولها من ميادين هى فى أمس الحاجة لها اقتصاديا واجتماعيا ، بل ان هذا التوقع امتد الى القوى الكبرى وارتبط بظهور ما سمى بـ Peace Dividens أو أرباح السـلام والتى سـوف توجه الى قطاعات أهملت مثل التعليم والصحة والاسكان والبيئة وأكثر من هذا خلق وظائف ومجالات عمل للحد من أسباب البطالة المتزايدة • وبالاضافة الى المزايا الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على توقعات خفض التسلح ، كان أيضا مفهوم السـلام وانتفاء الحروب والمصدامات العسكرية ، وبمعنى ما كان المناخ الذى ساد بعد انتهاء الحرب الباردة مشابها لما ساد بعد الحربين الأولى والثانية وما يمر عن ميثاق الأمم المتحدة من التطلع الى « انقاذ البشرية من لعنة الحرب » •

غير أن ما تطورت اليه الأمور جـاء على غير هذا التوقع فى مجال التسلح • فقد أوضحت التطورات والسياسات العملية أن البناء العسكرى الضخم الناتج عن الحرب الباردة والتى تكون خلالها سواء أكان هذا فى الشرق أو الغرب أم الشمال لم يزل • فحتى فى نطاق اتفاقيات التسلح ،

---

(١) — Thee, Mark, "Whatever Happened to the Peace Dividend The Post cold man Armament Momentum" Nottingham; Spokenman for European Labour Forum, 1991, p. 6.

ووفقا لاتفاقية مهمة هي اتفاقية خفض القوات التقليدية في أوربا Conventional forces reduction in Europe CFE فسوف يظل في أوربا ٤٠٠٠٠ دبابة ، ٦٠٠٠٠ عربة مدرعة ، ٤٠٠٠٠ قطعة مدفعية ، ١٣٦٠٠ طائرة مقاتلة ، ٤٠٠٠٠ طائرة هيلكوبتر عسكرية • وزيادة على ذلك فان الاتفاقية لم تتضمن المخزون النووى فى أوربا والقوى العسكرية البحرية بما فيها صواريخ كروز • وفى نفس الوقت فان اتفاقية خفض الأسلحة الاستراتيجية START رغم انها خفضت حجم الترسانة الاستراتيجية الأمريكية والسوفيتية الا أنها ستظل عند مستويات أعلى من اتفاقيات سولت لعام ١٩٧٢ حيث سيعوض الجانب النوعى للكميات الباقية اضافية الخفض الكمى الذى تحقق •

كذلك نجد أنه فى خطاب لوزير الطاقة الأمريكى أمام مجلس الشيوخ فى يوليو عام ١٩٩٠ أن وزارته تخطط لاقامة « مجمع حديث تماما » من المصانع والمولدات لانتاج الأسلحة النووية لكى تكون جاهزة للعمل حوالى عام ٢٠١٥ ، ولكى تساهم فى تدعيم قوة الردع الأمريكى حتى منتصف القرن المقبل » (٢) •

وهكذا بدا أن بقايا الاندفاع نحو التسلح والبناء العسكرى بمستوياته المختلفة ما زال حيا وكامنا فى قوى الانتاج العسكرى والتكنولوجى والصناعى ومؤسساتهم والقوى السياسية التى تساندها • فى هذا الشأن فقد سجلت بحوث المعاهد المتخصصة فى شئون التسلح مفارقة خاصة فوفقا لدراسات معهد Sippi بالسويد ، فان معظم نظم التسلح التقليدية والمتقدمة انما تنتج باستثناء حالات قليلة فى الدول المتقدمة وبالمزيد فى الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، وفرنسا ، وانجلترا ، وألمانيا الغربية والصين وتشيكوسلوفاكيا وهولندا والسويد ، وجميع هذه الدول لم تعد فى حاجة الى استخدام هذه النظم الا انه فى نفس الوقت فان صناعات السلاح فى هذه البلدان تمثل مصدراقتصاديا مهما لمناطق كاملة ، ان لم تكن لمجموع اقتصادياتها ، هذا بالاضافة الى محاولة تدمير

---

(٢) — Jeffrey Smith & Thomas Lippman "U.S. mapoplans for the future Atom Arms", I.H.T. July 16, 1990.

فائضها أو تحويله الى خطوط انتاج أخرى أمر مكلف ماليا واجتماعيا فيما يتعلق بعدد الوظائف التى سيوفرها ، فضلا عن صعوبته تكنولوجيا وما قد يتسبب عنه من كوارث بيئية (٣) ٠

لذلك كان من الطبيعى أن تجاهد هذه الصناعات أن تظل قائمة وتنتج لأطول فترة ممكنة ، وأن تساعدها حكوماتها على ذلك (*) ٠

لذلك كان من الطبيعى للاستقرار السياسى والأمنى الذى تحقق لعلاقات القوى الكبرى بعد انقضاء الحرب الباردة وبشكل خاص صراعاتها فى أوربا ، أن تتجه الأنظار الى العالم الثالث ليكون المخرج لتحقيق استمرار انتاج وتصدير السلاح ٠ وقد بدا هذا وتحقق بالفعل مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، فمع بداية عام ١٩٩٠ باعت استراليا طائرات ميراج فرنسية الصنع لباكستان وبأسعار منخفضة ، وتولت بريطانيا تحديث القوات المسلحة لماليزيا ، وباعت أسلحة بما قيمته ٤٠٠ مليون دولار لدولة بروتى وهى الدولة التى لا تواجه أى تهديد من أى مكان ، كما تلقت السعودية قدرا كبيرا من الأسلحة الأمريكية قبل وخلال حرب الخليج وكان ذلك نتيجة التحرك لخفض الفائض من الأسلحة وخفض خسائر صناعاتها ٠ كذلك طلب البيت الأبيض من الكونجرس الموافقة على بيع أسلحة متقدمة بما فيها طائرات F16 ، وقواعد اطلاق صواريخ متعددة ، ودبابات M 1 بما قيمته ١٨ بليون دولار لعدد من أقطار الشرق الأوسط ٠

---

(٣) — Howard, Michael, "The Control of the arms race Nobel Institute Jubilee Symbosium, Dec. 1991.

(*) على الرغم مما عبر عنه الرئيس الأمريكى بوش فى مارس ١٩٩١ عن أمله فى التقليل من انتشار الأسلحة بأنواعها المختلفة وقوله انه سيكون أمرا مأساويا اذا ما شرعت دول الشرق الأوسط والخليج فى سباق للتسلح ، ورغم هذا ، فقد أنفق البنتاجون مئات الملايين من الدولارات لشحن نماذج من طائرات عسكرية ، ومركبات ، وصواريخ الى المعارض التجارية فى العالم نيابة عن صناعة الأسلحة لتشجيع مبيعات السلاح للعالم الثالث ٠

I.H.T., "U.S. Pays Millions to help Industry Sell Arms Abroad", 9-10, 1992.

وقد استتبع هذا توقع قيام منافسة حادة بين الشركات ومنتجى الأسلحة لايجاد أسواق جديدة فى العالم الثالث بما فى ذلك الحث على تطوير مبررات جيدة لسياسة البلد المصدر ، واثارة وخلق تهديدات جديدة محتملة من بلدان العالم الثالث ٠

وفضلا عن المصالح الخاصة للبلدان المنتجة والمصدرة للسلاح وجهود مؤسساتها على خلق ما لا يقتصر على تصورات حول تهديدات محتملة بما فى ذلك الابقاء على بؤر توتر قائمة ، فان مناطق العالم الثالث بها بالفعل من العديد من الجذور والمصادر الذاتية التى تبعث وتذكى أوضاع التوتر والحاجة الى التسلح قائمة مثل نزاعات الحدود ، والمصادر المائية ، والنزعات القومية والدينيــة والعرقية والأيديولوجيـة ، وربما يفسر هذا استمرار صراعات فى مناطق مثل أفغانستان وكمبوديا والنزاع العربى الاسرائيلى ولبنان رغم تحرر هذه المناطق من منافسات وصراعات الحرب الباردة (٤) ٠

وعلى مســتوى آخر ، فقد استخدمت المؤسسات العســكرية والتكنولوجية والصناعات المرتبطة بها ، حرب الخليج لكى تستخرج فيها دروســا ودلالات تؤيد حججها فى ضرورات تحـديث الأسلحة وتجديدها وتطويرها تكنولوجيا ، وامتلاك أسلحة ذات مستوى تكنولوجى متقدم ، وقدمت هذا كشرط رئيسى لاكتســـاب مكانة محترمة فى النظام الدولى الجديد ٠

فعلى المستوى الأمريكى ، عبر وزير الدفاع الأمريكى فى تقديمه الميزانية العسكرية الجديدة لعام ١٩٩١ ــ ١٩٩٢ بقوله : « ان التحديث هو الأساس ٠٠ وســوف ندرس الدروس المستفادة من الصراع فى الخليج لسنوات طويلة قادمة ٠٠٠ وسوف نندفع بقوة لكى تستمر فى البحوث العسكرية والتطوير » (٥) ٠

---

(٤) — Mumi, S.D. "The Post-cold war third world : Uncertain Peace and elusive development" Bulletin of Peace Proposals, 23, 1 (1992), pp. 93-101.

(٥) — Mark, Thee "whatever happened to the peace dividend ?... op. cit. p. 8.

كذلك استخدمت حرب الخليج لاستخلاص دروس لتقوية الحجج لاستمرار نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي SDI ، ففي نفس شهادة وزير الدفاع السابق نجده يقول : « ان مراقبة صواريخ سكود ضد تل أبيب والرياض تجعل مبادرة الدفاع الاستراتيجي مهمة جدا بالنسبة للمستقبل للدفاع ضد الصواريخ البلاستيكية ، وبناء على ذلك فان ميزانية البحوث والتطوير العسكرية الأمريكية سوف تزداد بشكل كبير » (٦) ٠

وذكر أحد المحللين وهو يستخلص دروس حرب الخليج بالنسبة لنظام الدفاع ضد الصواريخ « ٠٠ ان من شاهدوا نجاح صواريخ باترويت في حزب الخليج وهي تنقذ أرواح الاسرائيليين ، لم يعد من الممكن بعدها انتقاد برنامج الدفاع الاستراتيجي واعتباره مبادرة سخيفة وغير فعالة لرئيس يوتوبي ٠٠٠» كما قد تساءل الناس ماذا كان يحدث لو أن صواريخ صدام كانت موجهة ضدنا ، وهو سؤال يستحق النظر ، ذلك أن ١٥ دولة من دول العالم الثالث تمتلك بالفعل صواريخ بلاستيكية ، ومن المنتظر أن تفعل ذلك ٢٤ دولة أخرى حتى عام ٢٠٠٠ ، ومن هؤلاء فان ثمانية منهم يمكن أن يمتلكوا اما قدرات نووية أو برنامجا نوويا متقدما بينما يمكن أن يحصل بعض منهم على قدرات كيماوية هجومية ٠ وربما كان هذا وراء تخلي الكونجرس الأمريكي ــ حتى ادارة بوش ــ عن معارضته السابقة لنظام SDI وتبنيه بحماس لسيرمسيون وتخويله الادارة بدأت رحلة ال Deployment مع عام ١٩٩٦ (٧) ٠

أما على مستوى دول الاتحاد السوفيتي السابق وخاصة روسيا ، فان دروس حرب الخليج ، ورغم ما حدث لها من تفكك ، سـوف تجعل العسكريين فيها يقاومون محاولات تحويل القدرات العسكرية الى خطوط مدنية ٠ وقد أثرت حرب الخليج على المؤسسة الأمنية الروسـية في مناقشتها للمسائل الرئيسية لاستراتيجيتها العسـكرية ٠ واعتبروا أن

---

(٦) — Ibid.

(٧) — Frost, Gerald, "Missile Defense plan is back ..." The European, Feb. 27, 1992.

عاصفة الصحراء تثبت الحاجة الى التطور الجذرى للتكنولوجيا العسكرية وللعمليات ، بل ذهب مؤيدو التحديث الى انتقاد مفاهيم جورباتشوف فى الكفاية sufficiency ، واتخاذ موقف الدفاع Defensiveness ، واعتبرها غير كافية ، حيث أثبتت حرب الصحراء أن العسكرية الحديثة يجب أن تكون قادرة على الهجوم بل حتى على العمل الاجهاضى (٨) .

كما كانت لحرب الخليج ـ فيما يتعلق باتجاهات التسلح ، آثار بلغت الصين ، حيث لاحظت بعض التقارير « ... أن الحرب الالكترونية التى استخدمها الحلفاء أظهرت الفجوة بين قدرات الصين وبين الجيوش الغربية ، ومنذ أن بدأت الحرب ، فان القادة العسكريين الصينيين يتباكون على جوانب القصور فى الترسانة العسكرية الصينية . وكان نتيجة ذلك أن قرر مجلس نواب الشعب الصينى ورغم المشكلات الاقتصادية الحرجة أن يزيد الميزانية العسكرية للصين لعام ١٩٩٢ بنسبة ١١ر٨٩٪ لكى توجه الى تحديث الأسلحة (٩) .

وفى آسيا بوجه عام فقد لوحظ أنه رغم أن الحرب الباردة ونهايتها قد حققت لآسيا أعمق فترة سلام مر بها الآسيويون فى تاريخهم الا أنه من المفارقة أن هذا قد اقترن بأسرع نمو عالمى فى ترسانات وتجارة السلاح فى آسيا . فوفقنا لتقديرات معهد Sipri فى استكهولم ، فقد بلغت فاتورة آسيا للسلاح عام ١٩٩١ حوالى ٨٥ بليون دولار ، وهو ما يزيد بنسبة ٢٥٪ عن ما صرفه العالم كله فى هذا العالم بما فيه الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة (١٠) .

كما اتجه البحث عن أسواق لحماية وتنشيط الصناعات العسكرية الى مناطق جنوب شرق آسيا ، ففى ٢ سبتمبر ١٩٩٢ أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش عن بيع ١٥٠ طائرة F 16 لتايوان . فقد احتوى

---

(٨) — Blank. Stephan, "New Stratigist Who demand the old economy" ORBIS, Summer, 1992. p. 365-366.

(٩) — I.H.T. Nov. 24-25, 1990.

(١٠) — The Economist, Feb. 20, 1993.

هذا القرار على عدة أبعاد ، فهو أولا يتضمن احياء سباق التسلح فى هذه المنطقة ، ويتراجع عن ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اتفقت عليه مع الصين عام ١٩٨٢ وتعهدها بالحد من مبيعاتها للسلاح لتايوان والاتجاه الى خفضها تدريجيا • اما عن دوافع هذا القرار فقد كان من الواضح أنه اتخذ بفعل اعتبارات داخلية وأهمها انتخابات الرئاسة الأمريكية ورغبة الرئيس الأمريكى أن يثبت لناخبيه أنه يفتح لهم فرص عمل ويوفر للاقتصاد الأمريكى المتعب ٤ ملايين دولار هى ثمن هذه الصفقة •

أما البعد الآخر لهذا القرار فكان يتصل بعنصر المنافسة بين الشركات الدولية المنتجة للسلاح ، فقد اعتبرت هذه الصفقة صفعة لفرنسا التى كانت تطمح فى أن تبيع طائرات لتايوان لدعم الصـــناعات العســـكرية الفرنســـية (١١) •

كذلك جاء قرار حكومة الكويت فى أكتوبر عام ١٩٩٢ شراء الدبابة الأمريكية Abrams Mi ورفض الدبابة البريطانية Challenger 2 لكى يعطى أبعادا أشمل للمنافسة بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين حول تجارة السلاح • فقد جاء قرار حكومة الكويت هذا نتيجة لضغط مارسته الادارة الأمريكية وشخصياتها ، الأمر الذى استخلص منه المحللون أنه قرار أمريكى باستبعاد بريطانيا من اعادة تسليح دول الخليج ، والتضحية بآخر حليف لها فى حرب الخليج ، وبالتطور المسلح لمنطقة قال عنها وزير الخارجية الأمريكى : « انها محملة بالسلاح بأكثر مما تحتمل » ، وذلك من أجل ضمان استمرار مصانع السلاح الأمريكى فى العمل • كما كان من المعانى التى استخلصها هؤلاء المحللون من صفقة الدبابات هذه أن الولايات المتحدة لم تعد تقنع بنصيب الأسد فى مبيعات السلاح للشرق الأوسط وانما تريد أن تحتكر هذه المبيعات ، كل هذا يصور بوضوح أن المنافســـة الاقتصادية بين الولايات المتحــدة والدول الغربية قد انتقلت الى مجـــال التسلح ومبيعات السلاح •

---

(١١) — I.H.T. Sept. 3, 92.

القوى الدولية وعلاقتها المتوقعة

بعد انقضاء الحرب الباردة ، واختفاء الاتحاد السوفيتى كأحد القوتين الرئيسيتين اللتين ظلتا تتحكمان فى الوضع الدولى وفقا لنظام القطبية الثنائية Bibolar منذ نهاية الحرب الثانية ، كان السؤال الشاغل للقوى الدولية فى العالم ، ومراكز البحث والمحللين السياسيين والمؤرخين يدور حول ماهية القوة أو القوى التى ستحكم العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة ، وعن طبيعة النظام الدولى الجديد ، وهل سيرتكز على قوة واحدة unibolar تنفرد به ، ام على قوة ثانية تعود به الى نظام القطبية الثانية ، ام على قوى متعددة تشاركه فى توجيه وصياغة النظام الدولى على أساس من تعدد المراكز Multibolar وتداخلها .

وقد تبلور عن هذا التساؤل افتراضان رئيسيان ، ذهب الأول الى القول بأن عالم ما بعد الحرب الباردة هو عالم القوة الواحدة التى لا تتحداها قوة أخرى (١) ، بحكم ما تمتلكه من تجمع فريد Unique compination للقوى العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والجاذبية الحضارية التى لا تتحقق مجتمعة لقوة أخرى واحدة (٢) ، الأمر الذى دفع البعض الى القول بأن «القرن العشرون كان قرنا أمريكيا ، وسيكون

---

(١) Krauthamner, Charles, "The unipolar Moment" Foreign Affair, 1990/1991, p. 21.

(٢) Burman, "America and the world" op. cit., p. 175.

القرن الواحد والعشرون كذلك قرنا أمريكيا » (*) ·

كماتصور آخرون الولايات المتحدة فى أعقاب الحرب الباردة كعملاق وحيد Lonely Giant فى الشـــئون الدولية ، والتى انتصرت على الشيوعية ، وتستطيع الآن ان تهزم أى تهديد محتمل ، والتى تمتلك كل هذه القوى المتعددة المصادر القومية ولا تحتاج أن تخشى من أية قوة جديدة ذات بعد واحد ـ غالبا الاقتصادى ـ فى أوربا وآسيا (٤) ·

---

(٣) The Economist, August 13-19, 1988, p. 30.

(★) وقد أثار هذا التصور وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى واحتمالات ظهور عالم تتحكم فيه الولايات المتحدة قلق دوائر عالمية كثيرة بما فيها خلفاء الولايات المتحدة · فقد حذر وزير الخارجية الفرنسى فى سبتمبر ١٩٩١ من أن الأمريكيين « قد يحكمون العـالم دون قوة أخرى توازنهم » · كما دعا سكرتير عام المجموعة الأوربية الى أن يقدموا هذه القوة التى توازن الولايات المتحدة · كما نبه عدد من المحللين الى أن الولايات المتحدة انما تمثل قوة مخيفة سوف تفرض سلاما امريكيا ستكون القوى الأخرى معه مجبرة على أن تقبل ادوارا ضئيلة بالنسبة لأمريكا ، أما الصين فقد اعتبرت أن عالم القطب الواحد أسوأ بكثير من العـالم ثنائى القطبية ·

أما دول العالم الثالث ، ففى اجتماع قمة دول عدم الانحياز عام ١٩٩٢ حذر سوهارتو من أن النظام العالمى الجديد لا يجب أن يسمح له أن يصبح صورة جديدة للصور القديمة من سيطرة القوى على الضعيف ، وفى نفس الاجتماع حذر سكرتير عام الأمم المتحدة بطرس غالى من « أن احتواء السيطرة سواء عالميا أم اقليميا مازال قائما » ·

Layne, Christopher, "The Unipoler illusion" International Security, 1993, p. 36-37.

(٤) Oslen, Edward, "Taryet Japan as America's Foe" Orpis, fall, 1992, p. 492.

من أكثر الممثلين لاتجاه التأكيد على القوة الأمريكية وتفوقها وقدراتها على القيادة العالمية ، والذين ظهروا كرد على المؤرخ الأمريكى بول كنيدى ومدرسة الاضمحلال ·

The Declinists.

Henry, Nou, "The Myth of America's decline, Leading the World Economy into the 1990s" Oxford University Press, 1990.

Joseph Nye, "Bound to lead, The Changing nature of American Power" New York, Banckooks, 1990.

ويبرر بعض الكتاب من أنصار هذا الاتجاه قولهم بضرورة أن تحتفظ أمريكا بدور قيادى بعد الحرب الباردة وأن سلام العالم واستقراره يحتاج دائما لقوة قادرة على أن تفرض قواعد السلام ، وقادرة على التدخل بقوة اذا اقتضت الضرورة للمحافظة على استقرار النظام الدولى ، ويستعيدون فى هذا ما قاله مورجانتو من أن أمة ما يجب أن تمسك بالميزان ، وأن تكون هى الحكم فى النظام الدولى وتضفى ضبط النفس والسلم عليه :

Abrams ,Elliot, "Why America must Lead ?" The National Interest. p. 58-59.

اما الافتراض الثانى فهو الذى ذهب الى أن النظام القديم الثنائى القطبية سوف يستبدل بنظام تتعدد وتتوزع فية مراكز القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وحدد هذه القوى بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأوربا الموحدة ، بما فيها ألمانيا المتحدة ، واليابان (٥) ، تشاركها مجموعة دول شرق آسـيا الصـناعية الجديدة • وقد تعرض هذا الافتراض الى التخطىء من أنصار من توقعوا أن تبرز الولايات المتحدة كالقوة الدولية القائدة فى العالم معتبرين أن القول بأن المنافسين للولايات المتحدة خاصة ألمانيا واليابان يمكن أن تتحول قوتهم الاقتصادية وتترجم الى قوة جيوبولتيكية هو مجرد وهم مارى materialistic Illusion ، ويستدلون على هذا بتجربة الخليج حين « اختفت الدولتان تحت المائدة » ، وبدا تشتت أوربا الموحدة خلال الحرب وبشكل أثبت أنها غير مؤهلة بعد لقيادة العالم فضلا عن أن تكون مجرد لاعب على المسرح الدولى (٦) مذلك يستدلون بما قاله مورجانتو من ان أمة ما يجب أن تمسك بالتوازن الدولى وأن تسـلك باعتبارها المتحكم Arbiter فى النظـام تضـفى السلم وضبط النفس عليه ، ومن ثم فان سلاح العالم واستقراره يحتاج لقوة قادرة على أن تفرض قواعد السلام وقادرة على التدخل بالقوة اذا اقتضت الضرورة للمحافظة على استقرار النظام الدولى ، وباعتبار أنه لاعتبارات استراتيجية فان قوى مثل اليابان وألمانيا ليستا مؤهلتين لخلافة الولايات المتحدة ، كذلك قضى تقديرهم أن أمريكا يجب أن يكون لهـا الدور القيـادى بعد الحرب البـاردة (٧) •

غير أن الرأى الذى قال بتفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم بعد الحرب الباردة قد تعرض لانتقادات عديدة تتصل بحالة الولايات المتحدة التى خرجت بها من الحرب الباردة وجوانب القصور فى أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية ، وقد اعتمد هذا النقـد على أن صراع الحرب

---

(٥) — Hogan, Michael, (ed.) "The end of the Cold War, its meaning and implications" Cambridge University, Press, 1992, p. 7.

(٦) — Krauthammer, "The Unipolar Moment", op. cit., p. 24.

(٧) — Abrams, Elliot, "Why America must lead ?" The National Interest, p. 58-59.

الباردة قد ادى بالولايات المتحدة الى أن تعتمد بشكل زائد على القوة العسكرية وبنائها ، وتحويلها للموارد من الحاجات الاجتماعية والسياسية الى برامج الأمن القومى التى شوهت أساس الاقتصاد الأمريكى واضعفت السوق الحرة وأدت الى عجز الميزانية وضعف الاستثمار وتحلل البنية الأساسية (٨) • ويواصل أنصار هذا النقد قولهم بأنه مع انقضاء تنافس الحرب الباردة بدأت تطفو عناصر هذا الضعف ، وتبدو امكانية أن تتخلف الولايات المتحدة في مجالات مهمة عن قوى أخرى منافسة لم ترهقها الحرب الباردة (٩) • كذلك كان لانتهاء الحرب الباردة تأثيرها على اهتزاز النفوذ السياسى الدولى للولايات المتحدة وخاصة تجاه حلفائها فى أوربا واليابان والذين كان قلقهم من دفع القوة السياسية وشـــكوكهم فى الطموحات السوفيتية يجبرهم على أن يضعوا أمتهم فى أيد أمريكية وأن يقبلوا دورا سلبيا فى الشئون الدولية ، وأن يدفعوا ثمنا اقتصاديا وسياسيا نتيجة الاذعان للولايات المتحدة • غير أن تراجع الاتحاد السوفيتى من المنافسة بل واختفاء الدولة ذاتها ، قد غير بشل جذرى الميزان داخل تحالف الحرب الباردة والذى كانت تتمتع فيه الولايات المتحدة بالقيادة ، واليوم ، فيما يواصل هذا التيار ، فان الولايات المتحدة ، جزئيا بسبب سياسات مالية غير مسئولة ومن صنعها ، وجزئيا بسبب مشاغل مبالغ فيها فى الحرب الباردة ، قد فقدت حرية العمل اقتصاديا وسياســـيا ، بحيث أصبحت واشنطون لا تستطيع أن تمول عجزها المزمن بدون استعداد الأوربيين واليابانيين لشراء أذونات الخزانة ، وهى لا تستطيع أن تقـوم بتدخلات عسكرية على نطـاق واسع بدون مساهمتهم المالية كما حـدث فى حرب الخليج • وهكذا ، فى رأى هذا الاتجاه ، فان نهاية الحرب الباردة ، وبشكل لا يمكن تفاديه ، تمثل انحدارا دراميا فى قدرة الولايات المتحدة على تقرير اتجاهات الأحداث ، وأن تكون قوة أعظم فى عالم تتعدد فيه أدوات القوة ، وعلى هذا فسوف ترغم نهـاية الحرب البـاردة الولايات المتحدة على أن

---

(٨) — Steel, Garthoff, "Nuclear Weapons in the Cold War" in, "The end of the Cold War" edited by : Michael Hogan, p. 6.

(٩) — Steel, Ronald, "The end of the beginning" in, "The end of the cold Water", op. cit., pp. 103-112.

تكيف نفسها مع منافسة لم تعد أدواتها التقليدية قابلة للاستعمال ، وحيث أصبح حلفاؤوها ومن كانوا يعتمدون عليها متنافسين لها وبشكل متزايد (١٠) .

كذلك أشار أنصار هذا الافتراض وسجلوا وجود تيارات أعمق حول رؤية الأمريكيين لأنفسهم بعد انقضاء الحرب الباردة وتصاعد الشك حول مجتمعهم ، وأن هذا لم يكن لمجرد هبوط مستويات المعيشة وتهديد قيمة كانت دائما ملاصقة للنمو الأمريكى وهى ان كل جيل كان يتوقع أن يكون مستواه أعلى من الجيل الماضى ، بل ان الخوف تعدى هذا الى الخوف حول حالة الأمة ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية (١١) .

كما أرجع هذا التيار هذه الظواهر السلبية فى الوضع الأمريكى الى ما قبل انتهاء الحرب الباردة وبداية الاحساس بها وظهورها الى السطح مع منتصف الثمانينات حيث بدأ يظهر ان الولايات المتحدة تتعامل مع حقائق قاسية فى ميزانياتها ، ومع حاجة اجتماعية متزايدة ، وخدمات وبنية تحتية متداعية ، ومؤسسات عامة يثقلها ما تواجهه من ضغط ، ومع ظهور هذه الأعراض بدأ يظهر مفهوم جديد للأمن القومى الأمريكى الذى لم يعد يقاس بما تملكه الولايات المتحدة من أسلحة وصواريخ وانما بعدد عريض من العوامل التى تحدد عناصر الرفاهية الاجتماعية ومن أبرزها عنصر القوة والسلامة الاقتصادية .

ومن ناحية أخرى استخدم أنصار هذا الرأى علاقات الولايات المتحدة بحلفائها الأوربيين واليابان للتدليل على تراجع عناصر قوتها الاقتصادية

---

(١٠) — Ibid.

(١١) — Antony Lewis, "He leads the World, but waters don't Care," IFH.T. feb. 21, 1991.

وقد ذهب بعض المحللين الأمريكيين فى تفسير هذه الأوضاع فى الاقتصاد والسياسة الأمريكية الى حد القول بأن الولايات المتحدة تتحول الى دولة من دول العالم الثالث ، وأنه لن ينقذها من ذلك الا سياسات صناعية ومالية مغامرة واعادة بناء المؤسسات التعليمية :

راجع : F. Robatyn فى عرضه لكتاب : E. Luttwak
"The Endangered American Dreams" Foreign Affair , Fall, 1993, p. 150.

ازاء هذه القوة واستخدموا فى هذا التحليل على هـذا عددا من الوقائع ذات الدلالة ، فقد أثاروا اعلان بيت المال الأمريكى Derxl Burnham وهو المؤسسة التى كانت أحد رموز القرن الأمريكى ، افلاسه وجاء هذا الاعلان للمفارقة فى نفس اليوم الذى تحققت فيه الوحدة الألمانية ـ ٩ فبراير ١٩٩٠ · كمـا اثاروا بيع مركز ـ روكفلر للمبيعات لمؤسسة يابانية ، وتوقف الكونسورتيوم الأمريكى للتكنولوجيا المتقدمة فى منتصف يناير ١٩٩٠ والذى كان قد تأسس لمنافسة اليابان (١٢) ·

كما كانت العلاقة مع اليابان بوجه خاص من أكثر ما ركز عليه من نبهوا الى تعرض الولايات المتحـدة للتحدى من قلب معسكرها وحلفائها أنفسهم ، وفى هذا أبرزوا دراسة اشرفت عليها وكالة المخابرات الأمريكية خلصت فيها الى أن اليابان « هى قوة أعظم اقتصادية تبدو سيطرتها العالمية لا مفر منها ولا يمكن زحزحتها » · كما أشاروا الى ما أظهرته استثناءات الرأى العام عام ١٩٩٠ أن ٣٣٪ يرون الاتحاد السوفيتى مصـدر تهديد بينما اعتبر ٦٦٪ أن التهديد الحقيقى يأتى من اليابان · ومن ثم استخلص هذا الاتجاه ان الحرب الحقيقية للولايات المتحدة هى مع اليابان وان الولايات المتحدة تخسر هذه الحرب ، وأن الولايات المتحدة أصبحت فى حاجة الى « عاصفة صحراء اقتصادية » (١٣) · وقد بلور أحد المحللين هذه المعارك بقوله انه فى الوقت الذى بدأت فيه الولايات المتحدة تخرج منتصرة فى صراعها مع الاتحاد السوفيتى ، فقد شرعت تواجه بشكل مكشوف وأكثر حدة صراعا آخر يقف فيه الأمريكيون مذهولين من أسباب الاحباط فى التعامل مع اليابان على القوة التكنولوجية والاقتصادية الى الحد الذى أصبح فيه بعض الأمريكيين يعتبرون ان عليهم ان يحاربوها مرة أخرى ولكن من مركز ضعف اقتصادى (١٤) ·

---

(١٢) — Holberstam, David, "The Next Century" Morrow, New York, 1991, pp. 16-17.

(١٣) — America's enemy is not Japan, "New York Times, Dec. 9.

(١٤) — Stefen Rosenfeld ,"The uninew faces new challenges The Washington post, Dec. 10, 1991.

وذهب أحد أساتذة علم السياسة الأمريكية البارزين وهو صامويل هنتجتون الى « أن الولايات المتحدة يتسلط عليها الاهتمام باليابان لنفس الأسباب التى كانت تهتم بها بالاتحاد السوفيتى ، فهى ترى هذا البلد باعتبـــاره تهـديدا رئيســيا فى نقطـة حاسمة وعلصر مهم من عنــاصر القوة » (١٥) وكان يعنى بذلك القوة الاقتصادية التى اعتبر « ان فقدان الولايات المتحدة لمركز الصدارة العالمية فيها يمكن ان يكون ضارا بشكل كبير مثلما كان فقدان الصدارة العسكرية أمام الاتحاد السوفيتى » (١٦) ٠

وقد نبه هؤلاء الذين تعرضوا بالنقد لقدرات أمريكا الاقتصادية كما تطورت اليه مع نهاية الحرب الباردة ، نبهوا الى أن النجاح الأمريكى خلال الحقيقة الماضية فى الداخل والخارج يمكن ارجاعه الى الأساس القوى الذى بنته الأجيــال الماضية متمثلا فى استثمارات قوية ، مصـــانع ، مدارس وجامعات ، وزراعة ، وصيغة التربية والتكنولوجيا ، الا أن السنوات الأخيرة قد شهدت اهمالا لجذور القوة الاقتصـــادية الأمريكية ، ونتيجة لســياسات داخليـــة ، ولأســباب تكمن فى عمق المجتمـــع الأمريكى وتتمثل في :

(أ) عدم القدرة على مواصلة تعليم وتعبئة مواردها البشرية ٠

(ب) الفشـــل فى استيعاب وتوظيف أعداد كبيرة من أقلياتها القـــومية ٠

(جـ) انهيار عقدها الاجتماعى ٠

(د) انشغالها باهتماماتها القصيرة الأجل والمحدودة على حســاب مصالحها الطويلة الأجل (١٧) ٠

---

(١٥) — Tenvio, Robert, "International Primacy". International Security, Spring, 1993, p. 53.

(١٦) — Huntington, Samuel, "Why International Primacy matters". International Security., Spring 1993, p. 81.

(١٧) Harmots, Robert, "The roots of American Power", Foreign Affairs, Summer, 1991, pp. 132-149.

وهكذا ، فان هذا الذى تكشف عن حالة أمريكا بعد انقضاء الحرب الباردة وتراجعها فى مجالات حاسمة فى موازين القوة الدولية ، هو الذى دفع حتى هؤلاء الذين قالوا بأن الولايات المتحدة تملك عناصر قوة مجتمعة لا تتوفر لقوى أخرى الى أن يشرطوا مكانة أمريكية متميزة واستمرارها كقوة أعظم بضرورة توفر قوة عسكرية وقدرة مالية واقتصادية تنافسية ، ونظام له جاذبيته العالمية ، وان كانوا قد تشـككوا بأنه بخلاف القوة العسكرية ، فان متطلبات القوة الأخرى ليست متاحة اليوم ، وانه من أجل توفيرها فلابد من سياسات داخلية توضع موضع التنفيذ وان كانت الظواهر كما رأوها لا تشير أنها قادرة على انجاز ذلك (١٨) ٠

وقد بلور زبجنيو برجنسكى وضع أمريكا فى الحقبة الأخيرة من القرن العشرين ووصفه بأنه وضع متناقض ٠ فهى من ناحية لا تواجه منافسـين قـادرين عـلى مسـايرة قوتهـا العـالمية الشـاملة Comprehensive Global Power باعتبارها القوة التى تجمع بينه أبعاد أربعـة :

(أ) قوة عسكرية تستطيع أن تصل الى أى مكان فى العالم ٠

(ب) تأثير اقتصادى عالمى ٠

(جـ) جاذبية ثقافية وأيديولوجية ٠

(د) عضلات سياسة عالمية نتيجة للأبعاد السابقة ٠

غير أنه من ناحية أخرى فان ديناميكية التغيير الاجتماعى ــ الاقتصادى ــ الثقافى ، يفرغ هذه الأبعاد من مضمونها ومن أية رسالة مقنعة للعالم الأمـر الذى يهدد بتقويض الدور الخاص لأمريكا فى العالم وقدرتها على التأثير بشكل فعال وبناء فى اتجاه التغيير العالمى ٠

ويستخدم برجنسكى مثلين ليدلل بهما على حدود مكانة أمريكا كقوة أعظم :

---

(١٨) — Rohostyn, Felix, "The New Domestie Order" The New York Review of books, Nov. 21, 1991.

(أ) فشل الولايات المتحدة فى مؤتمر البيئة العالمى فى ريو – يونيو عام ١٩٩٢ – فى أن تشكل ائتلافا من الدول الغنية تؤيد موقعها المحافظ من قضايا البيئة ، الأمر الذى وجدت فيه أمريكا نفسها خارج الاتفاق العالمى فيما يتعلق بأولوية الاهتمامات البيئية،الأمر الذى أوضح أن القوة الأمريكية لم تكن كافية لدعم الموقف الأمريكى ٠

(ب) رغم الأداء العسكرى الأمريكى المرموق فى حرب الخليج ، فان الولايات المتحدة كى تشن الحرب كان عليها أن تحبث عن التأييد المالى والسياسى ٠ الأمر الذى حد من النطاق السياسى لأهـداف الحرب وأبقى النزاع غير محسوم والنصر الأمريكى جزئيا ٠

ومن ثم يستخلص برجنسكى أن التفوق الأمريكى هو واقـع ووهم معـا : Reality and Illusion (١٩) ٠

فاذا كان الأمر كذلك ، واذا كانت الولايات المتحدة ، ورغم تصدع الخصم الرئيسى الذى كان يشاركها التحكم فى النظام الدولى ، لا تبدو أن لديها عناصر القوة المتكاملة والمتوازنة ، وتتعرض للمنافسة من قلب معسكرها ، فما هى الأوضاع المتوقعة للقوى الدولية فى النظام الجديد ، وما هى علاقات القوى المتصورة فيه على الأقل حتى نهاية القرن ؟

بداءة ، فان حالة السيولة Fluidity التى تتميز بهـا علاقات القوى الدولية فى اعقاب تصدع النظام القديم ، الأمر الذى قد يستمر ربما لحقبة قادمة ، تجعل المحللين يتصورون أن هيكل القوة سيكون ذا طابع فريد يصعب تصنيفه فى ضوء مواصفات الحرب الباردة وفض نظـام القطبية سواء أكان أحاديا ، أم ثنائيا ، أم متعدد الأقطاب ٠ فى ضـوء ذلك يبدو النظام الجديد غريبا أو سوف يصعب تحديد المحور الرئيسى للصراع ، ففى كل علاقات الحرب الباردة كانت الدولتان القائدتان فى خصومة لأن كلا منهما كانت تشكل خطرا محتملا ان لم يكن فعليا للأخرى ٠

---

(١٩) Brezezinski, Zbigniew, "Out of Control : Global Turmoil on the eve of the Twenty-First Century" A Robert Stewart book, 1993.

أما بعد الحرب الباردة ، ورغم كل ما يقال عن احتمال صراع بين أمريكا واليابان ، فانه من الصعب تصور أن هذا سيكون أكثر مصادر التوتر الدولى حدة أو أنه سيأخذ شكلا صراعيا مشابها لما أخذه صراع الحرب الباردة . كذلك ورغم ما يبدو أن أكثر الخطوط الفاصلة اليوم هى بين الدول الفقيرة والغنية ، الا أن هذا الصراع - بين الشمال والجنوب ، سيكون مختلفا بشكل أساسى عما رأيناه من قبل لأنه - ببساطة ، سيكون صراعا بين قوتين غير متكافئتين (٢٠) .

غير أنه رغم هذه السيولة وعدم التحديد فى علاقات القوى المقبلة فى العالم ، فانه يمكن القول أن مراكز القوة المتصارعة ، أو المتداخلة ، فى مستقبل القوة بعد الحرب الباردة هى الولايات المتحدة ، واليابان ، وأوربا الموحدة ، وفى مركزها ألمانيا ، وأن لكل منها عناصر قدرتها الخاصة والتى تستطيع أن تدعى بها أن المستقبل لها ، ولكنها فى نفس الوقت ترد عليها من الضغوط والحدود التى لا تجعل منها قوة متميزة بذاتها أو مؤهلة - بمفردها - لقيادة العالم .

ولنبدأ باليابان ، باعتبارها مركز التركيز فى القوى المنافسة للولايات المتحدة وخاصة فى الحقل التجارى والاقتصادى ، فالواقع أنه لم تستفد أو تزدهر دولة من فترة الحرب الباردة مثلما استفادت اليابان ، ففى الوقت الذى كانت فيه أمريكا وأوربا مشغولة بصراع الحرب الباردة وتنافساتها واعداد أدواتها العسكرية والدبلوماسية ، كانت اليابان تركز بشكل كامل على بناء اقتصادها وبشكل كان مدعاة لحسد العالم (٢١) ، وتمكنت بذلك اليابان ، وخلال عشرين عاما ، من أن تكتسب قوة الاندفاع من حقيقة نموها الأسرع واستثمارها فى النمو للمستقبل ، وتحركت من مجرد امتلاك بعض الناتج القومى لأمريكا الى وضع تفوقت فيه عليها بنسبة ٢٢٪ ، كما تقف اليوم كأكبر دائن فى العالم ، وأكثر فى المساعدات

---

(٢٠) — Jenui-, Robert, "Ausable Past for the future", Diplomatic History, Winter, 1992, pp. 76-77.

(٢١) — Sargar, David, "Cold war over, Japan seeks to define its role", I.H.T., May 6, 1992.

وأكثرها في المساعدات الخارجية ، كما أن أكبر عشرة بنوك عالمية هي بنوك يابانية ، وتمتلك فائضا في العالم يبلغ ١٢٠ بليون دولار سنويا ، وهي في تنافسها مع الشركات الأمريكية والأوربية يبدو من الصعب بل ومن المستحيل هزيمة شركاتها ، فتجانسها وتماسكها يمكنها من التركيز على قدرتها الاقتصادية بشكل لا يستطيع أن ينافسها فيه الا القليل (٢٢) .

ولكن هل تستطيع اليابان ، بعنصر القوة الاقتصادى هذا ، وكذلك ما تتميز به من تجانس وقيم اجتماعية وأولوياتها التى تجعل الولاء للمجتمع يقدم على الولاء للفرد ، أن تتحدى بشكل فعال تفوق الولايات المتحدة العالمى ؟ الواقع أن العديد من المراقبين يتصورون عددا من القيود التى ترد على الوضع اليابانى وتجعل من الصعب عليه أن يمتلك عناصر القوة الشاملة التى تؤهله لقيادة العالم ، وتدور هذه الشكوك حول :

١ ـ ان قيادة اليابان الاقتصادية عالميا ليست أمرا مقدرا ، لأن ذلك يعتمد على القدرة التنافسية الأمريكية وهى القدرة التى لا يستبعد أن تتطور وتصمد أمام المنافسة اليابانية .

٢ ـ اعتماد اليابان على التجارة الخارجية والموارد الأولية .

٣ ـ التركيبة السكانية لليابان والتى يمكن أن تفرض تهديدا خطيرا على توقعات اليابان على المدى الطويل ، إذ من المتوقع مع حلول عام ٢٠٠٠ أن نسبة كبيرة (٦٥٪) من سكان اليابان سيكونون قوة عمل غير منتجة الأمر الذى سوف يؤثر على المدخرات والاستثمارات .

٤ ـ تحول الأولويات الاقتصادية من التركيز على الانتاج والتصدير الخارجى الى الاستهلاك .

٥ ـ هذا فضلا عن أن القوة الاقتصادية وحدها لا تقدم رؤية فلسفية أو اجتماعية للعالم ، واليابان ، بتاريخها ، وتقاليد شعبها

---

(٢٢) — The Next Century will belong to Europeans" Lester Thurow, Washington port, April 2, 1992.

وثقافتها ولغتها ، التى تتميز بالخصوصية الشديدة ، وتجعل من الصعب عليها أن تندمج فى العالم ، لا تستطيع أن تنقل مثل هذه الرؤية الفلسفية والاجتماعية للعالم (٢٣) ٠

هذه الاعتبارات ، والحدود التى ترد على القدرة اليابانية ، هى التى جعلت بعض المؤرخين ينتهون الى القول بأن الشمس اليابانية ربما مازالت تسطع ، الا أنها تعدت ساعة الظهيرة وبدأت فى الغروب (٢٤) كما جعلت هذه المفارقة القائمة فى الوضع اليابانى ـ بين القدرات والحدود ـ بمراقبين آخرين الى أن لا يروا فى اليابان ـ شأنها فى ذلك شأن ألمانيا ـ مرشحا مقنعا ، لأنفسهم والعالم ، لخلافة أمريكا كقائدة النظام العالمى ، خاصة وأنه قد سبق لها ، وكذلك لألمانيا ـ أن أقدمتا على تجربة غير ناجحة لتحقيق السيطرة عالميا الأمر الذى عانت كل منهما منها هزيمة مطلقة واحتلالا تركت جروحا ستظل تذكرها ، كما أن كلا منهما تدرك أنه ينظر اليها بالشك من بلدان منطقتها ، وفى حالة اليابان بوجه خاص فان أية محاولة لتجميع وممارسة نفوذ سياسى ستواجه بالاعتراض من اليابانيين أنفسهم لحماية أنفسهم من التورط فى أزمات خطيرة (٢٥) ٠

(جـ) فماذا عن أوربا ؟ ٠٠ ان قوتها ومكانتها الدولية الذاتية وفى علاقتها مع كل من أمريكا واليابان هى أيضا مشروطة باختبارها واجتيازها للخطوات الصحيحة التى تتطلب تحقيق دمج المجموعة الأوربية فى اقتصاد واسع يستوعب تدريجيا معظم أوربا ، فاذا فعلت ذلك فان القارة سوف تمتلك قاعدة انتاجية واقتصادية ذات نطاق واسع لا تستطيع قوة أخرى أن تجاريها ٠ ولعل ما تتميز به أوربا فيما يتعلق بامكانات قوتها ومكانتها الدولية هو أنه فيما يتطلب الأمر من أمريكا واليابان احداث تغيرات واسعة فى نظامهما ، فان كل ما هو مطلوب من أوربا أن تسير فيما

---

(٢٣) برجنسكى ٠

(٢٤) — Kennedy, Paul, "Preparing for the 21 Century" Random House, 1993, pp. 164-167.

(٢٥) — Elliott. Abrams, "Why America must lead ?" The National Interest, p. 58-59.

هي سبـــائرة فيـه بخفض الحواجز التجارية والداخلية وتكاملهـــا مع أوربا الشرقية ، وأن تصـــيغ توازنا معقولا بين الصيـــغ الاجتماعيـة والرأسمالية (٢٦) ٠

غير أنه رغم صحة الإطار العام لامكانات القوة الأوربية في ضـوء اتجاهها نحو الوحدة الاقتصادية ، الا أن متابعة التطورات الداخلية فى كل بلد أوربى على حدة ومجتمعة يوحى ببروز عناصر عدم الاستقرار وعدم اليقين حول اتجاهات المستقبل ، وفى عام ١٩٩٢ بوجه خاص ،وهو العام الذى كان مفروضا أن تبدأ فيه عهدا جديدا من الرخاء وسوق أوربية واحدة، كان الاقتصاد فى كل بلد أوربى يبدو فى ركود ، وبدلا من الأمن الذى كان من المفروض أن يوفره اختفاء التهديد العسكرى السوفيتى ثمة توتر اجتماعى داخلى فى كل بلد أوربى ٠ وقد بدا هذا بوضوح فى الانتخابات التى جرت فى البلدان الأوربية الرئيسية المانيا وفرنسا وايطاليا والى حد كبير بريطانيا من حيث ظهور التيارات اليمينية المتطرفة والتى رغم أنها قد لا تنجح فى الوصول الى الحكم الا أنها قد تفرض تآلفات غير مستقرة ٠ كما بدا هذا بوضوح بوجه خاص فى ألمانيا التى من المفروض أن تكون دعامة الوحدة الأوربية اقتصاديا وباعتبارها الدور الذى برزت فيه القارة بعد الحرب الباردة ، الا أن نفس هذا الدور هو الذى فرض تحديات جديدة وأعباء جديدة نتيجة للوحدة وبشكل بدت معه المانيا الموحدة غير واثقة من دورها الجديد ، بل ان بعض الألمان بدءوا ينظرون بالحنين الى الأوقات والاختيارات السهلة التى كانت سائدة قبل سقوط حائط برلين فضلا عما وعرته فترة الحرب الباردة لألمانيا من تكريس كل طاقاتها لكى تحقق بشكل منهجى أوسع اقتصادا أوربيا ، وأكثر طاقة تصديرية وأكثر العملات استقرارا (٢٧) ٠ كما بدأت تظهر تيارات من القومية الألمانية التى أخذت شكل الهجوم على مفهـوم وركن أســاسى من أركان الوحدة الأوربية وهى الوحدة النقدية بما سيتضمنه هذا من اختفاء المارك الألمانى

---

(٢٦) — Lester Thurow, "The coming economic battle among Japan, Europe and America", The New York, Review of books, April, 23, 1992.

(٢٧) — Leslie Gelb, Angry Voters are tined of the stench. I.H.T., 11-21 March, 1992.

بما يحمله من معان تاريخية بالنسبة للفرد الألماني الذى دعا شخصية ألمانية مثل هيلموت شميت الى التحذير من هذه الاتجاهات (٢٨) •

هذه الظواهر تشير الى أنه من غير المحتمل أن تحقق أوربا فى المستقبل القريب وحدة سياسية حقيقية ، ومن ثم على هوية عسكرية محددة • ورغم أن عملية الوحدة ليست من المحتمل أن تتوقف كلية أو ترتد ، ولكن ما هو أكثر احتمالا انها ستكون عملية صعبة من التعامل وحيث ستقاطع مراحل التقدم من وقت لآخر بعض التكسات •

واذا كانت ترجمة امكانات أوربا الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية والحضارية الى ثقل ونفوذ سياسى عالمى يصمد على افتراض حاسم وهو أن أوربا سوف تذهب أبعد من الوحدة الاقتصادية الى وحدة سياسية ، فانه فى نظر المحللين ، لكى تتحد أوربا بحق ، فان عليها أن تحقق درجة ملحوظة من الاجماع ، أو أن يظهر فيهـا قائد معترف به توجهه رؤية تاريخية تفرض نفسها ، غير انه باعتبار التنوع العميق الجذور فى التربة البيئية الأوربية فان الشرط الأول قد يتطلب سنوات ، بينما يبدو الشرط الثانى فى الظروف الحالية من المستحيل التحقيق • يعنى هذا ، والفترة طويلة قادمة ، وعبر عملية من التـكامل البىء النمــو ، فان أوربا لن تستطيع أن تتحدث أو تتصرف سياسيا كوحدة واحدة ، وقد جاء فشل أوربا فى الاستجابة للوضع فى يوغوسلافيا لكى يظهر بوضوح كيف أن الطريق ما زال طويلا أمام أوربا قبل أن تصبح قــوة سياسة بنـاءة وفعالة فى شئون العالم ، ومثلما استخلص برجنسكى بشكل بليغ أنه حتى تصــل أوربا على هوية سياسة وتشرب وحدتها بمضـمون أكثر طموحا وأكثر جاذبية على نطاق عالمى ، فان أوربا ستظل بلا رأس وبلا روح (٢٩) •

يشير التحليل السابق لأوضـاع أوربا واليابان ، وللمفارقة التى تتضمنها هذه الأوضاع من حيث تناقص ما يمتلكونه من عنـاصر القوة

---

(٢٨) Richard Smith, "As il takes conter stage, nation unsure of role", I.H.T., A pril 1, 1992.

(٢٩) Brazezinski, Zbigniev, "Out of control ; Global Turmoil on the eve of the Twenty-first century," oj. cit., 1993, pp. 134-135,

وخاصة الاقتصادية ـ مع الحدود والقيود التى ترد على هذه القوة ، الى أن القوتين غير مؤهلتين لممارسة قيادة عالمية غير أن هذا لا يعنى تلقائيا تفرد الولايات المتحدة بالزعامة العالمية وامكان قيامها بأدوار منفردة فى الشئون والأحداث الدولية • فقد أظهر تحليل الوضع الأمريكى كذلك أنه يتضمن أيضـــا نفس عناصر التناقض بين ما تملكه من عناصر قوة مجتمعة ، وبين الحدود التى تحول دون ترجمة هذه القوة الى ســـلطة سياسية ومعنوية على نطاق عالمى •

فاذا كان الأمر كذلك فما هى صورة الخريطة الجيوبولكتيكية للعالم خلال الحقب القادمة ؟

كاطار عام لهذه الخريطة ، يرصد المحللون قوتين سوف تتفاعلان فى العلاقات الدولية تبدو الأولى فى قوى التكامل Integeration وتتمثل الثانية فى قور التفتت وتجزئة Fragmentation ، وتتبدى قوى التكامل فى ثورة المواصلات والاتصالات ، والتجمع والتكتل الاقتصادى وما يتضمنه من ضرورات الاعتماد المتبادل Interdependence الذى لم يعد يجعل فى مقدور دولة أن تعيش منفردة أو منعزلة عن العالم ، أن مجموعة القضايا العالمية التى لم تعد فى امكان دولة أو قوة واحدة أيا كانت قدراتها التعامل معها بمفردها ، وفى الاتجاه الى الاعتماد على المحافظة على الأمن القومى وعلى الأمن الجماعى الاقليمى والدولى ، كما تتبدى قوة التكامل والاستتباب النسبى للسلام وانتشار الديمقراطية واقتصاديات السوق • أما قوى التجزئة ، فتبدو أساسا فى بروز النزعات العرقية والقومية مثلما بدت فى بلدان شرق أوربا وجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابقة ، وبروز نزعات الأصولية الدينية (٣٠) والتى تحمل فى طياتهـــا عوامل المجابهة بين الحضارات والمجتمعات (*) •

---

(٣٠) Gaddis, John Lewis, "Toward the Post Cold man World" Foreign Affairs, spring, 1991, pp. 102-122.

(★) طور الأستاذ صاموئيل هنتنجتون استاذ الحكومات بجامعة هارفارد مفهوم الصراع بين الحضارات كأحد المصادر الرئيسية للصراع فى عالم ما بعد الحرب الباردة وذلك فى مقالته الشهيرة :

The Clash of civilisations ? Foreign Affairs, summer 1993, pp. 22-44.

وفى داخل هذا الإطار العام ، فان الخريطة الجيوبولتيكية للعالم سوف تصبح أكثر تعقيدا وأكثر تقلبا ، فصديق اليوم قد يكون هو عدو الأمس والعكس ، كما أن التحالفات الدائمة التى كانت من دعائم النظام القديم مثل حلف الأطلنطى ستعنى أقل أهمية رغم ما قد يتطلبه أطرافه ، أما ما سيكون أكثر أهمية فهى الائتلافات المؤقتة AD Hoc حول قضايا مثل حرب الخليج ، فى هذا الإطار كذلك فان العلاقات بين الأمم سوف تتسم بالغموض Ambivelance فالعالم الذى كان ينقسم من « الطيبين والأشرار » سوف يستبدل بعالم ــ مادى Grey Guys ، وقد تتحول العلاقات بين القوى الكبرى الى خليط ردىء من التعاون والتنافس ، وقد تستبدل الحرب الباردة بمفهومها الواسع بعدد متنوع من الحروب الباردة الصغيرة Lesser cold wars (٣١) ٠

أما الأشكال المحددة لصورة النظام الجديد فسوف تأخذ صورة مجموعات Clusters تتجمع حولها الدول التى تمتلك القوة والثروة حتى يمكن أن تواجه منافسيها وتحمى مصالحها ، وهذه التجمعات سوف تكون فى الواقع تكتلات اقليمية تنافسية ، تتضمن كذلك تحالفات سياسية ٠

هذه المجموعات العالمية المحتملة ، والتى سوف تتصادم ، وتتعاون وتتنافس مع بعضها البعض فى نطاق بيئة من الاعتماد المتبادل ، وكذلك من عدم الاستقرار ، من المحتمل أن تتضمن :

والتى افترض فيها « أن المصدر الرئيسى للصراع فى هذا العالم الجديد لن يكون أيديولوجيا أو اقتصاديا فى المقام الأول ، فالانقسامات الكبيرة بين البشرية والمصدر الرئيسى للصراع سيكون ثقافيا ، وسوف تظل الدول Nation states اكثر الأمين قوة فى الشئون الدولية وخلال الحرب الباردة كان العالم مقسما الى العالم الأول والثانى والثالث ، وهذه التقسيمات لم تعد صالحة وغير ذات موضوع ، أما ما أصبح ذا معنى الآن فهو أن الأمم سوف تتجمع لا وفقا لنظمها السياسية أو الاقتصادية أو وفقا لمستوى نموها الاقتصادى وانما وفقا لثقافاتها ٠٠٠ فى أقل قابلية للتحول والتغير ومن ثم أقل قبولا للحلول الوسط من الخصائص السياسية والاقتصادية ٠٠ ومن هذه الخصائص الثقافية فان الدين يفرق بشكل جاد وقاطع بين الشعوب ٠٠٠ »

(٣١) — Hantigton, Samuel, "America's changing stratigic interests", survival, Feb. 1991, pp. 3-18.

١ ـ أمريكا الشمالية ، والتي سـوف تسيطر عليها الولايات المتحدة ؛ وتقوم على أساس اتفاقية أمريكا الشمالية للتجارة الحرة NAFTA والتي ستضم ٣٦٠ مليون نسـمة ويبلغ مجموع ناتجها المحلى G.D.P. ، ٦ر٢ ترليون دولار ، وربما تقود في الوقت المناسب الى التكامل التدريجي بين الولايات المتحدة وكندا •

٢ ـ أوربا ، وبلدان المجموعة الأوربية EC ، ومجموعة التجارة الحرة ، EFTA ، وستضم ٣٨٠ مليون نسمة ، ويبلغ مجموع ناتجها المحلى ٥ر٦ ترليون دولار • ومع احتمال تكاملها الاقتصادى الا ان وحدتها السياسية سوف تتخلف طويلا عن وحدتها الاقتصـادية ، وهكذا ستظل تواجه بشبح المانيا القوية ، كما ستظل حدودها الشرقية في حالة عدم استقرار باعتبار حالة عدم التأكد التى تلت اختفـاء لنظم الشيوعية •

٣ ـ شرق آسيا ، حيث تيسيطر عليها اقتصاديات اليابان (*) ؛ ولكنها تفتقر الى اطار سياسى وأمنى ، ومن ثم ستظل معرضـة للتوترات الاقليمية خاصة بعد أن بدأت الصين تظهر امانات القوة الاقتصادية والسياسية بل وربما ترتدى عبـاءة الدفاع عن الأمم الضـعيفة وقيادتها •

(*) فى نطاق المجموعتين الثانية والثالثة ، يركز بعض الباحثين على كل من المانيا واليابان ، باعتبار أن كلا منهما هى Core power بالنسبة للقوى الاقليمية فى كل من أوربا وآسيا • وبالنسبة لليابان بوجه خاص يرون ان ثمة تقسيما اقتصاديا يتشكل فى علاقاتها بشرق اسيا تقع اليابان فى قمته وحيث تقوم اليابان بتزويده بالسلع الرأسالية والتكنولوجيا والسلع الإستهلاكية المتقدمة وتستمد منه الطاقة والموارد والمنتجات ذات الدرجة الأقل كما يلاحظون السرعة المدهشة التى تتزايد بها التجارة بين اليابان ومناطق شرق آسيا وبنسب تصل الى ٤٠ ـ ٥٠٪ •

راجع :

— Bergner, Jeffry, "Germany, Japan, the U.S. and the New World Order "St. Martin's Press, 1993, p. 199.

— Waltz, kenneth, "The New World Order" Millenaium" Summer 1993, p. 192.

٤ ـ جنوب آسـيا ، وهى المجموعة التى تفتقد التماسـك السياسى والاقتصادى ولكنها فى نفس الوقت لا تخضـع لسيطرة خارجية سياسية أو اقتصادية ، وفى هذه المجموعة تقف الهند لكى تؤكد مركزها كقوة اقليمية مسيطرة وان كانت تواجه معا فيه الدول الاسلامية فى غربها وشمالها الغرب وربما فى ذلك آسيا الوسطى) ٠

٥ ـ هلال اسلامى غير محدد ، يشمل شمال أفريقيا ، والشرق الأوسط (فيما عدا اسرائيل) ، الخليج الفارسى والعراق ، وسوف تشارك هذه المجموعة مشاعر الغضب ضد الغرب ، ونفس الآمال ، ولكنها ستظل معرضة للتدخل الأجنبى وستظل تفتقر لأى تماسك سياسى أو اقتصادى فعال ٠

٦ ـ قد تتشـكل الى جانب هذه المجموعات السـابقة ، مجموعة أوربية آسيوية ، تسيطر عليهـا روسيا التى ستظل لفترة طويلة قادمة تناضـل من أجل تحديد هويتها وتنظيم أوضاعها ، غير أن هـذه المجموعة سوف تتداخل وبطريقة غير دقيقة وربما متوترة مع ثلاث من المجموعات السابقة : أوربا ، وآسيا ، والاسلام (٣٢) ٠

ولكن أين مكان الصين بحجمها الجغرافى والتاريخى والبشرى بين هذه القوى والتجمعات ومكانها المقبل فى النظام الدولى ؟ يلاحظ المراقبون لوضع الصين ما حققته فى الثمانينات من معدل نمو فى ناتجها القومى بلـغ ١٠٪ سنويـا ، وهو المعدل الذى يذكر بسرعة النمو الذى حققته اليابان وكوريا وتايوان عندما بدأت مرحلة انطلاقتها ، كما يلاحظون أن معدل النمو هذا قد ارتفع فى بعض المناطق الساحلية منها الى ١٣٪ سنويا ، فاذا ما استمرت هذه المعدلات فان الصين عام ١٠١٠ يمكن أن تصبح القوة

---

(٣٢) — Brzezinski, "out of control..." op. cit., pp. 207-208.

راجع ايضا :

— Dwen, David, "Atlantic Partnerski or rival ?" in "The future of us-European Relations : in search of new order. Henry Brundon (ed.), the Brookings Inst. Washington 1992, p. 15.

الاقتصادية الرابعة فى العالم بعد الولايات المتحدة وأوربا واليابان ·
ويضيف مراقبون آخرون الى القوة الصينية الذاتية ، قاعدتها الاقتصادية الآسيوية والتى تبرز بشكل سريع كمركز للصناعة والتجارة والمال ·
فهذه المنطقة الاستراتيجية تحتوى قدرا كبيرا من القدرة التكنولوجية والانتاجية مثلما يتمثل فى تايوان ، ومشروعات متميزة التسويق والخدمات كما هو متحقق فى هونج كونج ، وشبكة رائعة من الاتصالات كما فى سنغافورة ، ومجمع ضخم من رأس المال فى ثلاثتهم هذا فضلا عما تقدمه الصين وما وهبته لها الطبيعة من أرض ومصادر وأيد عاملة ·· ويتصور الخبراء الذين يتوقعون بروز الصين كقوة اقتصادية معا فى أشمل مما يتعلق بالنموذج الذى ستقدمه خاصة لكثير من الدول النامية وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، فنجاح تجربة الصين الاقتصادية والاجتماعية التى تدير بها هذا التطور وتربط فيها ما بين العناصر الرئيسية فى نظام السوق الحرة والانتاج وبين دور مهم للدولة ، فسوف يجعلها تبدو كبديل للنموذجين اللذين ثبت فشلهما وطريقا ثالثا بين النموذج السوفيتى والديمقراطية الرأسمالية (٣٣) ·

غير أنه رغم النجاح والانجاز الاقتصادى الذى حققته الصين فى الثمانينات ، الا أن بعض المراكز البحثية تتحفظ تجاه الحجم الحقيقى لهذا التقدم لامكانات القوة الاقتصادية المستقلة للصين ، فوفقا لتقرير معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن 11 SS (World survey, 1992) ، يقدر مجموع الناتج المحلى للصين GDP عام ١٩٩١ بمقدار ٣٧١ بليون دولار مقارنة بدولة مثل أسبانيا ٥٢٧ بليون دولار ، وترليون دولار لايطاليا (٣٤) ·

— Weidenbaum, Murray, "Greater China : The next Economic... = Superpower ? Washington University Center for the Study of American Puzeness, Contemporary issue services 57, february 1993, pp. 2-3.

(٣٤) — Pfaff, William, "China, Superpowerdom isn't around the corner" I.H.T., July 20, 1993.

على أية حال ، فان الاحتمالات المتصـــلة بمكانة الصين المستقبلة اقتصاديا وسياسيا ســوف تتوقف على مدى الاستقرار السياسى الذى ستحققه فى الحقبتين القادمتين (٣٥) ، وتفاديها لما يمكن أن يفتت وحدتها ويشتت برامجها فى النمو ويجعلها تنكفىء على نفسها وتستوعبها نزاعاتها الداخلية ، فاذا ما تفادت الصين ذلك فانها يمكن أن تمثل تحديا للتوزيع القائم للقوى العالمية ٠

فاذا كانت هذه هى التكتلات التى ستشكل الوضع والنظام الدولى لما بعد الحرب الباردة ، فما هى طبيعة هذه التكتلات ، والعوامل التى ستحكم العلاقات فيما بينها ؟ ٠ من الواضح ان هذه التكتلات وان كانت تعكس وتتشكل حول أوضاع وعلاقات جيوبولتيكية ، الا أنها تتشكل فى الأساس ويجمعها مصالح اقتصادية وتجارية ، وانها بهذه الطبيعة تتضمن من عناصر الصراع والتنافس أكثر مما تتضمن من عوامل التعاون ، ومما قد يدعم هذه الطبيعة أن هذه التكتلات وخاصة تلك التى تدور حول أمريكا ، وأوربا ، واليابان ، سوف تعمل فى بيئة دولية تراجعت فيها بفعل انتهاء الحرب الباردة وما كانت تمليه من اعتبارات أمنية كان يفرضها وجـود الاتحاد الســوفيتى ، تراجعت اعتبارات القوة العســـكرية أمام القوة الاقتصادية ، وحيث لم تعد أوربا أو اليابان نعتمد أو تحتاج الى الحماية العسكرية الأمريكية (٣٦) ٠ ومثل هذا الوضع يمكن بسهولة أن ينزلق الى عداوات قاسية ومنافسات حول الأسواق والاستثمارات فى العالم (*)

---

(٣٥) — Waltz, Kenneth, "The New world order", op. cit

(٣٦) — Hogan, Michael,

(*) لم يعد هذا مجرد تصور نظرى وانما هو واقع يتطور خاصة بين أمريكا ، واليابان ، وأوروبا ، بالاضافة الى ما اشرنا اليه من مظاهر التنافس الاقتصادى والتجارى بين الولايات المتحدة واليابان ، فان عوامل التنافس قد طغت كذلك بالفعل على سطح العلاقات الأمريكية الأوربية فى المجالات التجارية والتنافسية ، وقد برز هذا بوضـوح خـلال مراحل المفاوضات لعقد اتفاقية الجات ، ففى أنه احدى مراحلها المتعثرة حذر انئب الرئيس الأمريكى كويل من أن أمريكا سوف تنسحب من حلف الأطلنطى اذا لم يعدل الأوربيون مواقفهم من الاتفاقية وتنهى أوربا دعمها للمنتجات الزراعية الذى اعتبره انه يعرض أمريكا لصمت لا تحتمله :

Milliers, Peyer, "Man with small stick speak big," The European February 13, 1992.

الأمر الذى اذا ما تحقق فانه سوف يتضمن حقا احدى سخريات التاريخ الكبرى حيث ستتحقق بها نبوءة ماركس حول حتمية الصراع بين الدول الرأسمالية ، وان تحقق هذا فلن يكون بفعل انتصار الماركسية ونظمها السياسية وانما نتيجة لانهيار هذه النظم (٣٧) • ويبقى أن نرى عما اذا كان حلفاء الأمس سوف يتركون أنفسهم لعوامل التنافس والصراع أم سيغلبون عليها دوافع التعاون والاعتماد المتبادل ويصيغون نظرية احتواء جديدة تستهدف هذه المرة احتواء مخاطر الصراع بين القوى الاقتصادية الكبرى ، آخذة فى الاعتبار ما ينبه اليه عدد من الباحثين من ان الروابط الاقتصادية بين الولايات المتحدة وغرب أوربا وشرق آسيا هى روابط حاسمة لازدهارهم جميعا ، وعلى هذا فان أية حرب بينهم أو أية حروب تؤثر عليهم ستكون أمرا باهظ التكلفة اقتصاديا بشكل يصعب التفكير فيه (٣٨) •

---

(٣٧) — Berysten, Fred, "The primacy of Economico" Foreign Policy, Summer, 1992, p. 11.

(٣٨) — Schwartz, Benjamin, "American Hegemony without an enemy" Foreign Policy, Fall, 1993, p. 13.

المـؤلف

من مواليد المنصورة عام ١٩٣٦ ·

أولا : حاصل على ليسانس الآداب ـ جامعة القاهرة ـ عام ١٩٥٧ ·

« على ماجستير العلوم السياسية ـ جامعة القاهرة ـ عام ١٩٦٠

« على دبلوم العلاقات الدولية ـ جامعة اكسفورد ١٩٧٦ ·

« على الدكتوراة فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة ١٩٨٠ ·

ثانيا : التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦١ ·

عمل فى سـفارات مصر فى : براج بلجراد ـ موسـكو ـ لاجوس ووزيرا مفوضا بسفارة مصر فى واشنطن ثم سفيرا لمصر فى النرويج وآيسلندة · حاصل على وسام الاستحقاق النرويجى ·

ثالثا : صدر له :

ـ منهج التخطيط والدول النامية ·

ـ التنظيم الدولى فى مفترق الطرق ·

ـ هنرى كيسنجر ـ حياته وفكره ·

ـ الوفاق الأمريكى السوفيتى ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦ ·

ـ قراءة جديدة فى الحرب الباردة ·

- فى الدبلوماسية المعاصرة ٠

- العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ (مترجم) ٠

نشر العديد من الدراسات والمقالات فى الصحف والدوريات المصرية العربية والأجنبية ٠

كما حاضر فى معهد الدراسات الدبلوماسية ، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية واشترك فى العديد من الندوات فى مصر والخارج ٠

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٩٦٤٢

ISBN — 977 — 01 4575 — 0

يعالج هذا الكتاب مرحلة فاصلة فى علاقات القوى والنظام الدولى لما بعد الحرب العالمية الثانية، ونعنى بها تلك التى بدأت مع نهاية السبعينات ومجيىء ادارة كارتر فى الولايات المتحدة ومحاولتها اعاده الحياه إلى علاقات الوفاق التى كانت قد تراجعت. غير أن هذه المحاولة قد أنتكست بشكل خطير فى أعقاب الغزو العسكرى السوفيتى لأفغانستان وسقوط ادارة كارتر ومجيىء ادارة أمريكية محافظة تتبنى خطا متشددا تجاه الأتحاد السوفيتى وصلت به العلاقات الى أدنى مستوياتها. ثم يرصد الكتاب بداية تحول التيار نحو التهدئه وتوافق هذا مع مجيىء جورباتشوف بفكره الداخلى والخارجى الجديد ثم التطورات الداخلية فى الأتحاد السوفيتى التى أدت إلى زعزعته وتفككه داخليا وخارجيا كنظام وكدولة وكقوة عظمى منافسة منهيا بذلك فى الواقع ظاهرة الحرب البارده وبداية عصر جديد فى علاقات القوى والنظام الدولى.

ومثلما يحدث مع كل انهيار للنظام الدولى، فأن نهاية النظام الدولى لما بعد الحرب الثانية قد أدى إلى البحث عن نظام دولى جديد، وهو البحث الذى حاول الجزء الثانى من هذا الكتاب رصد أصدائه وتفاعلاته حول القوة أو القوى التى ستحكمه.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب